تفسير

سورة النمل[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿طسّ﴾ . قال ابن عباس : هو اسم من أسماء الله عز وجل ، أقسم الله به[(٢)] .

---

(١) سورة النمل مكية ، وهي ثلاث وتسعون آية . تفسير مقاتل ٥٦ب ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٩ب ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٤٦ من دون ذكر العدد ، والوسيط ٣/ ٣٦٨ ، ولم يقع خلاف في مكيتها . تفسير القرطبي ١٣/ ١٥٤ ، وتفسير أبي حيان ٧/ ٥١ ، وحكى ابن الجوزي ٦/ ١٥٣ الإجماع على ذلك وسمَّاها أبو بكر بن مجاهد سورة سليمان . السبعة في القراءات ٤٧٨ ، وذكر ابن عاشور ١٩/ ٢١٥ عن ابن العربي في أحكام القرآن أنها تُسمَّى سورة الهدهد ، ولكني لم أجده عنده ، ثم قال : ووجه الأسماء الثلاثة أن لفظ : النمل ، ولفظ : الهدهد ، لم يذكرا في سورة من القرآن غيرها ، وأمَّا تسميتها : سليمان ؛ فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلاً لم يذكر مثله في غيرها . وذكر الألوسي ١٩/ ١٥٤ الخلاف في مدنية بعض آياتها . قال المهايمي : سُمِّيت سورة النمل لاشتمالها على مقالتها الدالة على علم الحيوان بنزاهة الأنبياء وأتباعهم عن ارتكاب المكاره عمداً ، وهو مما يوجب الثقة بهم ، وهو من أعظم مقاصد القرآن . تفسير المهايمي ٢/ ٩٩ .

وذكر الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٦٨ حديث أُبي بن كعب في فضل هذه السورة ، وهو حديث موضوع . تخريج الزيلعي للكشاف ٣/ ٢٣ ، والفتح السماوي ٢/ ٨٩٢ ، وقد سبق الحديث عنه في أول سورة الفرقان .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٣١ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣٨ من طريق علي بن أبي طلحة ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٠ ، وفي تنوير المقباس ٣١٥ : ط ، طوله ، وسين ، سناؤه ، ويقال : قسم أقسم به .

وقال قتادة : إنه اسم من أسماء القرآن[١] .

قوله تعالى : ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ تفسيره قد تقدَّم في أوائل سور[٢] .

٢. وقوله : ﴿هُدًى﴾ . قال أبو إسحاق : يجوز أن يكون ﴿هُدًى﴾ في موضع نصب على الحال . المعنى : تلك آيات الكتاب هاديةً ومبشرةً ، ويجوز أن يكون في موضع رفع من جهتين ؛ إحداهما : على إضمار : هو هدى ، وإن شئت على البدل من آيات ، على معنى : تلك هدى وبشرى . قال : وفي الرفع وجه ثالث ، وهو حسن ، على أن يكون خبراً بعد خبر ، وهما جميعاً خبر لتلك ، كقولهم : هو حلو حامض ؛ أي قد جمع الطعمين ، فيكون خبر (تِلْكَ) : (آيَاتُ)[٣] و(هُدًى) أيضاً فتجمع أنها آيات ، وأنها هادية ومبشرة[٤] .

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي : بيان من الضلالة لأولياء الله ، ولمن عمل به ، وبشرى[٥] بما فيه من الثواب للمصدقين بالقرآن أنه من عند الله ، وبالجنة لمن آمن بمحمد عليه السلام . ثم نعتهم فقال[٦] : ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٩ ، وذكر الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٦٨ عن مجاهد : هو من الحروف المقطعة ، التي هي فواتح يفتح الله بها القرآن ، وليست من أسمائه ، وذكر البرسوي ٦/ ٣١٨ تأويلات باطلة لهذه الحروف .

(٢) سبق ذكر ما أحال عليه الواحدي في أول سورة الشعراء .

(٣) (آيات) سقطت من نسخة (أ) و(ب) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٧ .

(٥) (وبشرى) ساقطة من نسخة (أ) و(ب) .

(٦) تفسير مقاتل ٥٦ب .

٤. قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ لا يصدقون بالبعث[١] . ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يعني : ضلالتهم حتى رأوها حسنة[٢] . وفي هذا تكذيب للقدرية ، حيث أضاف الله تزيين القبيح لهم إلى نفسه[٣] .

وقال أبو إسحاق : أي جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينا لهم ما هم فيه[٤] ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون فيها متحيرين[٥] .

٥. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ : شدة العذاب[٦] . وقال ابن عباس : أشد العذاب[٧] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٦ب ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٨٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٦ب .

(٣) قال ابن كثير ٦/ ١٧٨ : أي حسَّنَّا لهم ما هم فيه ، ومددنا لهم في غيهم ، فهم يتيهون في ضلالهم . وذكر الزمخشري ٣/ ٣٣٧ أن إسناد التزيين إلى الله تعالى هنا مجاز ، وإسناده إلى الشيطان في قوله تعالى : ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ حقيقة . قال أبو حيان ٧/ ٥٢ : وهذا تأويل على طريق المجاز . قال البقاعي ١٤/ ١٢٧ : والإسناد إليه سبحانه حقيقي ، عند أهل السُّنة ؛ لأنه الموجد الحقيقي ، وإلى الشيطان مجاز سببي .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٨ ، قال البرسوي ٦/ ٣١٩ : حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس ، كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام : «حفت النار بالشهوات» ؛ أي جعلت محفوفة ومحاطة بالأمور المحبوبة المشتهاة . واعلم أن كل مشيئة وتزيين وإضلال ونحو ذلك منسوبة إلى الله تعالى بالأصالة ، وإلى غيره بالتبعية . والحديث أخرجه مسلم ٤/ ٢١٧٤ ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، رقم ٢٨٢٣ ، والترمذي ٤/ ٥٩٨ ، كتاب : صفة الجنة ، رقم ٢٥٥٩ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٦ب . قال مجاهد : فهم في ضلالهم يترددون . تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٩ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤١ عن ابن عباس : في كفرهم يترددون .

(٦) تنوير المقباس ٣١٥ ، وتفسير مقاتل ٥٦ب ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٤٦ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٨٩ .

(٧) تفسير الوسيط ٣/ ٣٦٨ ، من دون نسبة .

قال مقاتل والكلبي : يعني في الآخرة[١] .

وقال غيرهما : يعني في الدنيا ؛ وهو القتل والأسر ببدر[٢] .

﴿ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : خسروا أنفسهم وأهليهم ، وقرنوا بالشياطين .

٦ . ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ ﴾ . قال مجاهد ومقاتل : لتؤتى بالقرآن[٣] .

وقال السدِّي : يلقى عليك الوحي[٤] .

وقال الكلبي : لتعطى القرآن[٥] . ومضى تفسير التلقية والتلقي عند قوله : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ ﴾ [البقرة :٣٧][٦] .

قال أبو إسحاق : أي يُلقى إليك القرآن وحياً من عند الله عز وجل ، أنزله بعلمه وحكمته[٧] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٦ب ، وتنوير المقباس :٣١٥ .

(٢) ذكره ابن جرير ١٩/ ١٣٢ ، ولم ينسبه .

(٣) تفسير مقاتل ٥٦ب .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٢ ، واقتصر على هذا القول في تفسيره الوسيط ٣/ ٣٦٨ ، والوجيز ٢/ ٧٩٩ .

(٥) تنوير المقباس ٣١٥ بلفظ : (ينزل عليك جبريل بالقرآن) . أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤١ عن قتادة : لتأخذ القرآن .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : التلقي في اللغة معناه : الاستقبال ، ومنه الحديث : «أنه نهى عن تلقي الركبان» . قالوا معناه : الاستقبال ، الليث يقول : خرجنا نتلقى الحاج ؛ أي نستقبلهم ، وفي حديث آخر : «لا تتلقوا الركبان والأجلاب» ، هذا معنى التلقي في اللغة .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٨ .

٧. قوله : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ . قال الزَّجَّاج : موضع (إِذْ) نصب . المعنى : اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ ؛ أي اذكر قصته[١] .

وقوله : ﴿لِأَهْلِهِۦٓ﴾ . قال مقاتل : لامرأته[٢] . ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ مُفسَّر في سورة طه[٣] .

﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ : أين الطريق ؛ أي بخبر عن الطريق ، وقد كان تَحيَّر ، وترك الطريق ، قاله ابن عباس ومقاتل[٤] . ﴿أَوْ ءَاتِيكُم﴾ ؛ أي فإن لم أجد أحداً يخبرني عن الطريق ﴿ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾[٥] .

قال ابن السكيت : الشهاب : العود الذي فيه نار[٦] .

وقال أبو الهيثم : الشهاب : أصل خشبة فيها نار ساطعة[٧] .

وقال الليث : الشهاب شُعلةٌ نارٍ ساطعة ، والجمعُ : الشُّهب والشُّهبان[٨] .

وقال الزَّجَّاج : كل أبيض ذي نور فهو شهاب[٩] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٨ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٦ب .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه : ١٠] .

(٤) تفسير مقاتل ٥٦ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٢ عن ابن عباس وذكره عنه الماوردي ٤/ ١٩٤ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٦ب .

(٦) تهذيب اللغة (شهب) ٦/ ٨٨ .

(٧) تهذيب اللغة (شهب) ٦/ ٨٨ ، وتفسير الوسيط ٣/ ٣٦٩ ، من دون نسبة .

(٨) العين (شهب) ٣/ ٤٠٣ ، ونقله الأزهري في تهذيب اللغة (شهب) ٦/ ٨٧ .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٤٣ .

ويدخل في هذا النجم والنار والسنان[١] ، وقد استعمل الشهاب في هذا كله .

وقال أبو علي : الذي قاله أبو إسحاق لا أدري أقاله رواية أم استدلالاً[٢] . وتفسير القبس قد سبق في سورة طه[٣] .

وقُرِئ قوله : ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بالتنوين ، وبالإضافة[٤] . قال أبو إسحاق : فَمَنْ نَوَّن جعل قبس من صفة الشهاب[٥] ، ومن أضاف فقال الفرَّاء : هو مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف الاسمان ، كقوله : ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [يوسف :١٠٩][٦] .

قال أبو علي : القبس يجوز أن يكون صفة ، ويجوز أن يكون اسماً غير صفة ، فأمَّا جواز كونه وصفاً فلأنهم يقولون : قَبَسْتُه أَقْبِسُه قَبْساً ، والقَبْسُ : اسم للشيء المقبوس ، وكذلك الحَلْب قد يكون بمعنى : المحلوب ، والقَبَس ما اقتبست ، من

---

(١) السنان : سنان الرمح ، وجمعه : أسنة ، وسنان الرمح : حديدته لصقالتها ومَلاستها . تهذيب اللغة (سنن) ١٢/ ٢٩٨ ، ولسان العرب ١٣/ ٢٢٣ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٧٣ .

(٣) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ [طه :١٠] : القبس شعلة من نار يقتبسها من معظم النار . قال أبو زيد : أقبست الرجل عِلماً ، بالألف واللام ، وقبسته ناراً إذا جئته بها ، فإن كان طلبها قال : أقبسته بالألف . وقال الكسائي : أقبسته ناراً وعِلماً سواء ، وقد يجوز طرح الألف منهما . قال المبرِّد : والأصل واحد ؛ لأن كلاهما مستضاء به .

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتنوين ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالإضافة . انظر السبعة في القراءات ٤٧٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٧٢ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٣٣٧ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٨ ، ويجوز أن يكون بدلًا منه . معاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٣٣ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٦ .
وقد ردَّ النحاس قول الفرَّاء ، فقال : إضافة الشيء إلى نفسه محال عند البصريين ؛ لأن معنى الإضافة في اللغة ضم شيء إلى شيء ، فمحال أن يضم الشيء إلى نفسه ، وإنما يضاف الشيء إلى الشيء ؛ ليبين به معنى الملك والنوع ، فمحال أن يبين أنه مالك نفسه أو من نوعها ، و﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ إضافة النوع إلى الجسم ، كما تقول : هذا ثوب خز . إعراب القرآن ٣/ ١٩٨ .

قولهم : قَبَسْتُه ناراً إذا جئته بها . وإذا كان قوله : (قَبَسٍ) صفة فالأحسن التنوين ؛ لأن الموصوف لا يضاف إلى صفة[١] .

وقال أبو الحسن : الإضافة أكثر وأجود في القراءة ، كما تقول : دار آجُرٍّ ، وسوارُ ذهب ، قال : ولو قلت : سوارٌ ذهبٌ ، ودارٌ آجرٌّ كان عربيّاً ، والأكثر في كلام العرب الإضافة[٢] .

قال أبو علي : فأبو الحسن : جعل القبس غير صفة ، ألا ترى أنه جعله بمنزلة الآجرِّ والذهب ، وليس واحد منهما صفة[٣] .

وقال المفسرون : شعلة نار[٤] . ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ : لكي تصطلوا من البرد[٥] . قال الكلبي : وكان ذلك في شدة الشتاء[٦] .

ويقال : صَلى بالنار واصطلى بها إذا استدفأ . واستقصاء تفسير هذه الآية قد تقدَّم في سورة طه .

٨. وقوله : ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنْ﴾ . قال الفرَّاء : (أن) في موضع نصب إذا أضمرت اسم موسى في (نُودِيَ) ، وإن لم تضمر اسم موسى كانت (أن) في موضع رفع ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج[٧] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٧٣ مختصراً .

(٢) ذكر قول أبي الحسن ، أبو علي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٧٧ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٧٧ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٧أ ، ومجاز القرآن ٢/ ٩٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٢ ، وتفسير ابن جرير ١٩/ ١٣٣ .

(٥) تفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٤٧ ، وتفسير ابن جرير ١٩/ ١٣٣ ، وتفسير الماوردي ٤/ ١٩٤ .

(٦) تنوير المقباس :٣١٦ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٤٧ ، ولم ينسبه . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٢ عن ابن عباس ، وذكره الماوردي ٤/ ١٩٤ عن قتادة .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٦ ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٩ .

وقوله : ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ . قال الفرَّاء : العرب تقول : باركه الله ، وبارك عليه ، وبارك فيه[١] . قال الشاعر :

فبُورِكْتَ مولوداً وبُوْرِكْتَ ناشِئاً
وبُوْرِكْتَ عِنْدَ الشَّيبِ إذْ أنتَ أَشْيَبُ[٢]

والمعنى : بورك في من في النار ، أو على من في النار . وقال آخر :

بورِكَ الميتُ الغريبُ كما بورِكَ نَظْمُ الرُّمانِ والزيتونِ[٣]

واختلفوا في من في النار ؟ فالأحسن أن الآية من باب حذف المضاف على تقدير : بورك من في طلب النار ، وهو موسى عليه السلام ، وكأنه تحية من الله -عز وجل- لموسى بالبركة ، كما حيا إبراهيمَ بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه ، فقالوا : ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود :٧٣][٤] .

وقال أبو علي : ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ مَنْ في قرب النار ليس يراد به : متوغلها .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٦ ، وذكره النحاس عن الكسائي . إعراب القرآن ٣/ ١٩٩ .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢١أ ، ولم ينسبه ، وعنه القرطبي ١٣/ ١٥٨ ، وذكره أبو حيان ٧/ ٥٤ ، ولم ينسبه . والبيت للكميت يمدح فيه النبي ﷺ . شرح هاشميات الكميت :٦١ .

(٣) أنشده الزَّجَّاج ٤/ ٤٥ ، غير منسوب بلفظ : (نظم) ، واستشهد به على أنه ليس شيء يورق غصنه من أوله إلى آخره مثل الزيتون والرمان . وذكره البغدادي في خزانة الأدب ١٠/ ٤٦٧ بلفظ : (نضح) ، وبلفظ : (غصن الريحان) ، ونسبه إلى أبي طالب عم النبي ﷺ من قصيدة له يرثي بها مسافر بن أبي عمرو . ديوان أبي طالب ٩٣ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٠ب . ولم ينسبه . واقتصر على هذا القول في الوسيط ٣/ ٣٦٩ ، والوجيز ٢/ ٨٠٠ ، وجعله الرازي ٢٤/ ١٨٢ أقرب الأقوال ، واقتصر عليه ابن عاشور ١٩/ ٢٢٦ .

وقال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة في قوله : ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ : قُدِّس من في النار ، وهو الله سبحانه ، عنى به نفسه[١] ، وعلى هذا إسناد البركة إلى الله كقوله : تبارك الله ، وقد ذكرناه .

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٣٣ عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٥ عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وأخرجه عن ابن عباس ، عبدالله بن الإمام أحمد ، كتاب : السُّنة ١/ ٣٠٠ ، رقم ٥٨٢ ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٩ عن قتادة بلفظ : (نور الله بورك) ، وعن الحسن بلفظ : (هو النور) ، وهو موافق لما عند ابن جرير ، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية مقرراً له . مجموع الفتاوى ٥/ ٤٦١ ، ومن الروايات التي ذكرها شيخ الإسلام عن ابن أبي حاتم رواية سعيد بن أبي مريم ثنا مفضل ابن أبي فضالة حدثني ابن ضمرة : ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . قال : إن موسى كان على شاطئ الوادي . . . إلى أن قال : فلمَّا قام أبصر النار فسار اليها ، فلمَّا أتاها ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . قال : إنها لم تكن ناراً ، ولكن كان نور الله ، وهو الذى كان فى ذلك النور ، وانما كان ذلك النور منه ، وموسى حوله . وعلى هذا فلا وجه لردِّ هذه الأخبار أو تأويلها كما فعل بعض المفسرين ، كالرازي ٢٤/ ١٨٢ ، وابن جزي ٥٠٢ ، وأبي حيان ٧/ ٥٤ ، وتوجيه الواحدي لهذا القول توجيه حسن . وذكر الألوسي عن الشيخ إبراهيم الكوراني تصحيحه لخبر ابن عباس ، وأنه لا يحتاج إلى تأويل ، وأن معناه ظاهر .

والمراد بالنار هاهنا : النور ؛ وذلك أن موسى رأى نوراً عظيماً فظنَّه ناراً لذلك ذكرها هنا بلفظ النار[١] ، والمعنى : بورك الله الذي في النار ، وحسن هذا ؛ لأنه ظهر لموسى بآياته وكلامه من النار[٢] .

وهذا كما روي أنه مكتوب في التوراة : جاء الله من سيناء يعني : بعث الله موسى من سيناء حتى يدعو الخلق إليه ، ويعرفهم توحيده ودينه وشرائعه ، فلمَّا عرفوا بعثة موسى من سيناء قيل : جاء الله من سيناء ، كذلك لمَّا ظهر لموسى بآياته وكلامه من النار ، وصف بأنه في النار ، على معنى أنه عُرف منها[٣] .

---

(١) الوسيط ٣/ ٣٦٩ ، وصدَّره بقوله : ومذهب المفسرين . ونقله عنه الشوكاني ٤/ ١٢٢ ، ولم يعترض عليه ، وذكره الماوردي ٤/ ١٩٥ ، ولم ينسبه ، واقتصر عليه ابن كثير ٦/ ١٧٩ ، وذكر عن ابن عباس أنه قال : نور رب العالمين . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٣٤ بلفظ : (يعني نفسه) ، قال : كان نور رب العالمين في الشجرة . ثم ذكر ابن كثير بعد ذلك حديثَ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : «إِنَّ الله لَا يَنَامُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كَشَفَهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ ، أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ» ، ثُمَّ قَرَأَ أَبُو عُبَيْدَةَ : ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . أخرجه ابن ماجه ١/ ٧١ ، المقدمة ، رقم ١٩٦ ، ومسلم ١/ ١٦٢ ، كتاب : الإيمان ، رقم ١٧٩ من دون ذكر الآية ، وصحَّحه الألباني ، صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٣٩ ، رقم ١٦٢ ، وجوَّد إسناده محقق مسند أبي يعلى الموصلي ١٣/ ٢٤٥ ، قال السيوطي : أخرج ابن المنذر عن محمد بن كعب ، قال : النار : نور الرحمن . الدر المنثور ٦/ ٣٤١ .

قال سعيد بن جبير : كانت النار بعينها . تفسير البغوي ٦/ ١٤٥ ، ثم قال البغوي : والنار إحدى حجب الله تعالى ، كما جاء في الحديث : «حجابه النار» . وهي رواية للحديث السابق أخرجها الإمام أحمد ، مسند الكوفيين ، رقم ١٩٠٩٠ ، والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ صحة هذا التأويل ، ولا يلزم من القول به لوازم باطلة ، فإن الله تعالى قد أخبر بنفسه عن نفسه بذلك ، كما أخبرنا عن تجليه ـ سبحانه وتعالى ـ للجبل ، فقال : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف :١٤٣] ، والله أعلم .

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٧٧ .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٠أ . قال النيسابوري في وضح البرهان ٢/ ١٣٨ : وفي التوراة : جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ؛ أي من هذه المواضع جاءت آياته ، وظهرت رحمته ، حيث كلم موسى بسيناء ، وبعث عيسى من ساعير ، ومحمداً من فاران جبال مكة . وضح البرهان ٢/ ١٣٨ .

وقال بعضهم : على هذا القول تقدير الآية :﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ سلطانه وقدرته ، فحذف للإحاطة[١] .

وروي عن مجاهد في هذه الآية أنه قال : معناه : وبوركت النار[٢] . والتبرك عائد إلى النار . وهذا يكون على قراءة [أُبي ، فإنه كان يقرأ : أن بوركت النار ومن حولها[٣] .

ولا يتوجه قول مجاهد على قراءة][٤] العامَّة .

وقال السدِّي : كان في النار ملائكة[٥] ، فعلى هذا ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ الملائكة[٦] .

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٠ب .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٩ ، وفيه : (قال مجاهد : وكذلك قال ابن عباس) ، وهو كذلك عند ابن جرير ١٩/ ١٣٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٥ .

(٣) أخرجها ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٦ ، وذكرها الثعلبي ٨/ ١٢٠ب . قال النحاس : ومثل هذا لا يوجد بإسناد صحيح ، ولو صح لكان على التفسير . إعراب القرآن ٣/ ١٩٩ ، وذكر هذه القراءة ابن جني بلفظ : (تباركت الأرض) . المحتسب ٢/ ١٣٤ ، واختار هذا القول لهذه القراءة الزمخشري ٣/ ٣٣٨ ، وذكره أبو السعود ٦/ ٢٧٣ ، وصدَّر غيره بـ قيل ، واختاره البيضاوي ٢/ ١٧١ ، والبرسوي ٦/ ٣٢١ ، قال : أي من في مكان النار ، وهو البقعة المباركة ، ورجح هذا القول شيخنا عبدالله الوهيبي في تحقيقه لتفسير العز بن عبدالسلام ٢/ ٤٥٧ ، مع أن العز لم يذكر هذا القول . وأمَّا قول السعدي ٥/ ٥٦٢ : أي ناداه الله تعالى ، وأخبره أن هذا محل مقدس مبارك ، ومن بركته أن جعله موضعاً لتكليم الله لموسى وإرساله ؛ فإنه لا يلزم منه نفي ما عداه من الأقوال إذ لم يصرح بذلك ، والله أعلم . وقد ذكر القاسمي : ١٣/ ٥٨ ، هذه الأقوال كلها ولم يرجح ، لكنه قدَّم القول الذي اختاره الزمخشري ، وقدَّمه أيضاً المراغي ١٩/ ١٢٣ .

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في نسخة (ج) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٦ عن السدِّي ، وذكره عنه الماوردي ٤/ ١٩٥ .

(٦) وذكر هذا القول النيسابوري في وضح البرهان ٢/ ١٣٨ ، ولم ينسبه .

وروي أيضاً عن جماعة من أهل التفسير أنهم قالوا : ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ نور الله[١] ، وعلى هذا تكون (مَن) بمعنى ما ، والله تعالى خلق نوراً في النار التي رآها موسى فكانت ناراً ونوراً[٢] .

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ : هم الملائكة وموسى في قول الجميع[٣] ؛ وذلك أنه كان حول ذلك النور الذي رأى موسى ملائكةٌ ، لهم زَجَل بالتسبيح والتقديس[٤] .

وقال أبو علي :﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ . ومن لم يقرب منها قرب الآخذ فيها وهو موسى ، يعني أن موسى هو الآخذ منها ، ألا ترى إلى قوله : ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ [التوبة :١٠١] ، لم يَقرب المنافقون الذين حولهم قرب المخالِطين لهم ، حيث يحضرونهم ويشهدونهم في مشاهدهم[٥] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٩ ، وابن جرير ١٩/ ١٣٤ عن قتادة بلفظ : (نور الله بورك) ، وعن الحسن بلفظ : (هو النور) ، وذكره الزَّجَّاج ٤/ ١٠٩ ، ولم ينسبه .

(٢) حكى هذا القول الماوردي ٤/ ١٩٥ ، والنيسابوري ٢/ ١٣٨ ، ولم ينسباه .

(٣) هما قولان ؛ الأول : الملائكة ، تفسير مقاتل ٥٧أ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٤٧ ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٩ عن الحسن ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٣٥ عن ابن عباس والحسن ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٧ عن ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وأخرجه عن ابن عباس ، عبدالله بن الإمام أحمد ، كتاب : السُّنة ١/ ٣٠٠ ، رقم ٥٨٢ ، وذكره الفرَّاء ٢/ ٢٨٦ غير منسوب . والثاني : موسى والملائكة ، أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٣٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٦ عن محمد بن كعب ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢١أ ، ولم ينسبه . والقولان في تنوير المقباس ٣١٦ ، وتفسير الماوردي ٤/ ١٩٥ ، ونسبه ابن عطية ١١/ ١٧٢ ، إلى الحسن وابن عباس ، وذكر ابن الجوزي ٦/ ١٥٥ قولاً ثالثاً ، هو : موسى فقط . والمعنى : بورك في مَن يطلبها وهو قريب منها ، وذكر هذا القول العز في تفسيره ٢/ ٤٥٧ .

(٤) تفسير الوسيط ٣/ ٣٦٩ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٤٥ ، ولم ينسبه . الزَّجَل : رفع الصوت الطَّرِب . تهذيب اللغة (زجل) ١٠/ ٦١٦ .

(٥) هكذا في نسخة (ج) ، وفي نسخة (أ) : (لم يقرب المنافق الذي حولهم قرب بالمخاطبين لهم) ، وفي نسخة (ب) : (لم يقرب المنافقون الذي حولهم قرب بالمخاطبين لهم) .

﴿وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . قال ابن عباس : نزه نفسه[١] .

٩. قوله تعالى : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ . قال مقاتل : إن النور الذي رأيت ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢] .

[وقال الكلبي : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ﴾ إن ذلك النور ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾][٣] ، فجعلا الكناية في (إِنَّهُ) عن النور ، وهو فاسد من وجهين ؛ أحدهما : إن النور لا يجوز أن يكون الله تعالى ، والثاني : إن المذكور في القرآن النار ، وكني عنها بالتأنيث كقوله : ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ [القصص :٣٠] ، وقوله : ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ . فلو كان الأمر على ما ذُكر لقيل : إنها ، والصحيح أن الكناية في قوله : (إِنَّهُ) كناية عن الشأن والأمر ، أراد : الشأن والأمر (أَنَا الله) ، وقد ذكرنا نظائر هذا عند قوله : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الحج :٤٦] ، وفي مواضع[٤] .

وقال الفرَّاء : هذه الهاء عماد ، وهو اسم لا يظهر[٥] ، وعلى هذا الهاء ليست بكناية[٦] ، ولكنها عماد تذكر تأكيداً .

---

(١) تنوير المقباس :٣١٦ . وذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٦٩ ، غير منسوب ، وذكره الماوردي ٤/ ١٩٥ عن السدِّي من كلام موسى عليه الصلاة والسلام .

(٢) تفسير مقاتل ٥٧أ .

(٣) ما بين المعقوفين غير موجود في نسخة (ج) .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال الفرَّاء : الهاء هاء عماد يوفى بها : إن ، ويجوز مكانها : إنه ، وكذلك هي في قراءة عبدالله .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٧ . وفي الحاشية : هو المعروف عند البصريين بضمير الشأن . وذكر ذلك الطوسي ، فقال : يسميها البصريون : إضمار الشأن والقصة . التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٧٧ ، واستظهر هذا القول أبو حيان ٧/ ٥٥ ، وهو قول البيضاوي ٢/ ١٧١ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢١ب . قال ابن الجوزي ٦/ ١٥٦ : وعلى قول السدِّي : هي كناية عن المنادي ؛ لأن موسى قال : من هذا الذي يناديني ؟ فقيل : ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ . وصحَّح كونها كناية القرطبي ١٣/ ١٦٠ .

١٠. قوله : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ : في الآية محذوف تقديره : فألقاها فصارت حية تهتزُّ ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وحذف فألقاها ؛ لأنه ذُكِر في سورتين ؛ الأعراف ، والشعراء[١] .

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ . قال الليث : الجانُّ : حية بيضاء[٢] ، وقال ابن شميل : الجانُّ حية أبيض دقيق أملس لا يضر أحداً ، وجمع الجانِّ : جنان[٣] .

وفي الحديث : نهى عن قتل جنان البيوت ، وهي حيات بيض تكون في البيوت ، لا تضر ولا تؤذي[٤] .

قال أبو إسحاق : المعنى أن العصا صارت تتحرك كما يتحرك الجانُّ حركة خفيفة وكانت في صورة ثعبان[٥] .

---

(١) في سورة [الأعراف :١٠٧] ، و[الشعراء :٣٢] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ، وفي سورة : [طه :١٩ ، ٢٠] ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ .

(٢) العين (جن) ٦/ ٢١ . ونقله الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/ ٤٩٦ .

(٣) في تنوير المقباس :٣١٦ : حية لا صغيرة ، ولا كبيرة ، وكذا في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٢ ، ولم أجده في تهذيب اللغة .

(٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـرضَي اللهُ عنهماـ أَنَّه سَمِعَ النبي ﷺ يَخْطُبُ عَلَىَ الْمِنْبَرَ ، يَقُولُ : «اقْتُلُوا الحَيَّاتِ وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالأَبْتَرَ فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ الْبَصَرَ وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبَلَ» . قَالَ عَبْدُ الله : فَبَيْنَا أَنَا أُطَارِدُ حَيَّةً لأَقْتُلَهَا فَنَادَانِي أَبُو لُبَابَةَ : لا تَقْتُلْهَ . فَقُلْتُ : إِنَّ رسول الله ﷺ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ . قَالَ : إِنَّهُ نَهَى بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ وَهِيَ الْعَوَامِرُ . أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، رقم ٣٢٩٧ ، ٣٢٩٨ ، فتح الباري ٦/ ٣٤٧ ، وفيه : (وذا الطفيتين جنس من الحيات يكون على ظهره خطان أبيضان ، والأبتر : مقطوع الذنب . والعوامر : عمار البيوت ؛ أي سكانها من الجن) ، وأخرج مسلم ٤/ ١٧٥٦ عن أبي سعيد مرفوعاً : «إن لهذه البيوت عوامر ، فإذا رأيتم منها شيئاً فحرجوا عليه ثلاثاً ، فإن ذهب وإلا فاقتلوه» . صحيح مسلم ، كتاب : السلام ٢٢٣٦ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٩ .

ونحو هذا قال ثعلب : شبهها في عظمها بالثعبان ، وفي خفتها بالجانِّ ، فلذلك قال الله تعالى مرة : ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ ، ومرة : ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ [الأعراف :١٠٧ ، والشعراء :٣٢][(١)] .

وقيل : الاختلاف في التشبيه لاختلاف الحالين ؛ فالجانُّ عبارة عن أول حالها ، ثم لا تزال تزيد وتربو حتى تصير ثعباناً عظيماً[(٢)] .

قوله تعالى :﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ . قال مقاتل : من الخوف من الحية ، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يعني : ولم يرجع[(٣)] .

يقال : عَقَّبَ فلان إذا رجع يقاتل بعد أن ولَّى[(٤)] .

وهذا قول مجاهد[(٥)] ، وأهل اللغة[(٦)] .

قال شمِر : وكل راجع مُعَقِّب[(٧)] .

---

(١) تهذيب اللغة (جن) ١٠/ ٤٩٦ ، وتفسير الوسيط ٣/ ٣٦٩ ، غير منسوب .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢١أ . من دون نسبة . قال أبو الليث : الثعبان كان عند فرعون ، والجان عند الطور . تفسير السمرقندي ٢/ ٤٩٠ ، وذكره الطوسي ، ولم ينسبه . التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٧٨ ، وهذا التفريق له وجه ، لكنه يحتاج إلى دليل يشهد له ، والله أعلم .

(٣) تفسير مقاتل ٥٧أ ، ومجاز القرآن ٢/ ٩٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٢ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٣٦ عن ابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٨ عن مجاهد ، وهو قول السمرقندي ٢/ ٤٩٠ ، والثعلبي ٨/ ١٢١أ .

(٤) ذكر نحوه الأزهري عن أبي الهيثم . تهذيب اللغة (عقب) ١/ ٢٧٢ .

(٥) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٩ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٣٦ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٩ بلفظ : (وأهل اللغة يقولون : لم يرجع ، يقال : قد عقب فلان إذا رجع يقاتل بعد أن ولَّى) .

(٧) تهذيب اللغة (عقب) ١/ ٢٧٣ .

وقال ابن عباس : ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ : لم يقف[١] .

وقال قتادة : لم يلتفت[٢] . وهذان معنى ، وليس بتفسير .

وروى شِمِر عن عبدالصمد عن سفيان : لم يمكث ، قال : وهو من كلام العرب[٣] .

قوله تعالى : ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ . قال ابن عباس : لا يخاف عندي من أرسلته برسالتي[٤] ، والمعنى : لا يُخيف الله الأنبياء ؛ أي إذا أمنهم فلا يخافونه ، فيكف يخاف الحية ، فنهى عن الخوف من الحية ، ونبه على أمن المرسلين عند الله ؛ ليعلم أن من أمنه الله من عذابه بالنبوة ودرجة الرسالة لا يستحق أن يخاف الحية[٥] .

١١. ثم قال : ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ : يعني أذنب[٦] ، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ ؛ أي توبةً وندماً ، ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ عمله فإنه يخاف ويرجو ، ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، وعلى هذا الاستثناء صحيح

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٨ عن السدِّي : لم ينتظر .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٩ ، وابن جرير ١٩/ ١٣٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٨ ، وتنوير المقباس :٣١٦ ، واقتصر عليه الفرَّاء ٢/ ٢٨٧ ، وذكره الهوَّاري ٣/ ٢٤٧ ، ولم ينسبه .

(٣) تهذيب اللغة (عقب) ١/ ٢٧٣ ، من دون قوله : وهو من كلام العرب ، وإنما ذكر أبياتاً بعد ذلك تدل عليه . وعبدالصمد هو ابن حسان ، أبو يحيى المروزي ، قاضي هراة ، حدَّث عن زائدة ، والثوري ، وإسرائيل ، والكوفيين ، وحدَّث عنه الذهلي ، ومحمد بن عبدالوهاب الفرَّاء ، وأحمد بن يوسف السلمي ، توفي سنة ٢١٠هـ انظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٥١٧ .

(٤) تفسير الوسيط ٣/ ٣٦٩ عن ابن عباس . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٩ عن قتادة بلفظ : (أي عندي المرسلون) ، وهو قول ابن جرير ١٩/ ١٣٦ ، والزَّجَّاج ٤/ ١١٠ .

(٥) تفسير الوسيط ٣/ ٣٦٩ ، من دون نسبة .

(٦) تفسير مقاتل ٥٧أ ، وذكر لذلك أمثلة فقال : فكان منهم آدم ، ويونس ، وسليمان ، وإخوة يوسف ، وموسى بقتله النفس ، عليهم السلام . قال ابن عطية ١١/ ١٧٦ : أجمع العلماء أن الأنبياء ـعليهم السلامـ معصومون من الكبائر ، ومن الصغائر التي هي رذائل ، واختلف في ما عدا هذا .

من المرسلين ، ويكون المعنى : إلا من ظلم نفسه [في ما فعل من صغيرة ، فالاستثناء متصل . وفيه إشـــارة إلى أن موسى وإن ظلم نفسه][(١)] بقتل القبطي ، وخاف من ذلك فإن الله يغفر لـــه ؛ لأنه ندم على ذلك وتاب منه[(٢)] ، وهذا أحد قولي الفرَّاء ، واختيار ابن قتيبة[(٣)] .

القـــول الثاني : قال : هذا الاســـتثناء ليس من المرســـلين ، ولكنه من متروكٍ في الكلام عـــلى تقدير : ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إنـــما الخوف على غيرهم ، ثم اســـتثنى فقال : ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ ؛ أي أشرك ، فهو يخاف عذابي[(٤)] ، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ : يعنـــي توحيداً بعد شرك ؛ أي فتاب وعمل حســـناً ، فذلك مغفور له ليس بخائف[(٥)] .

قـــال ابن قتيبة : وهذا يبعد ؛ لأن العرب إنما تحـــذف من الكلام ما يدل عليه ما يظهر ، وليس في ظاهر الـــكلام دليل على هذا التأويل[(٦)] . والقول الأول قول مقاتل[(٧)] ، والثاني قول الكلبي[(٨)] .

---

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في نسخة (ج) .

(٢) الوسيط ٣/ ٣٧٠ ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص :١٥-١٦] .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٢١٩ ، واختاره ابن جرير ١٩/ ١٣٧ ، ورجحه .

(٤) اختار هذا القول ابن جزي ٥٠٣ ، وردَّ هذا القول النحاس ، فقال : اســـتثناء من محذوف محال ؛ لأنه استثناء من شيء لم يذكر ، ولو جاز هذا لجاز : إني أضرب القوم إلا زيداً ، بمعنى : لا أضرب القوم إنما أضرب غيرهم إلا زيداً ، وهذا ضد البيان ، والمجيء بما لا يعرف معناه . إعراب القرآن ٣/ ٢٠٠ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٧ ، وذكره السمرقندي ٢/ ٤٩٠ عن الكلبي .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٢١٩ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٧أ .

(٨) تنوير المقباس :٣١٦ .

قال ابن الأنباري : الذي استقبحه ابن قتيبة من قول الفرَّاء عندي جيد غير قبيح ؛ لأنه لمَّا قال : ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ كان معناه : يأمن المرسلون عندي ويخاف غيرهم ، فاكتفى بالشيء من ضده ، كما قال : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل :٨١][(١)] . وذهب قوم إلى أن هذا من الاستثناء المنقطع . المعنى : لكن من ظلم من العباد ثم تاب ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ؛ أي فإني أغفر له ، والمعنى : لا يخاف الأنبياء والتائبون ، وهذا اختيار أبي إسحاق[(٢)] .

وذهب آخرون إلى أن معنى (إلا) هاهنا : ولا ، كأنه قال : لا يخاف لديَّ المرسلون ، ولا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ، فيكون المعنى في هذا الوجه كالمعنى في الاستثناء المنقطع ، ولم يُجز الفرَّاء هذا الوجه[(٣)] . وذكرنا جواز كون (إلا) بمعنى ولا عند قوله : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [البقرة :١٥٠][(٤)] .

---

(١) ذكر هذا الخطيب الإسكافي في درة التنزيل ٣٣٦ ، من دون نسبة ، وفيه : (فحذف البرد لعلم المخاطبين به) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٠ ، وبه قال أبو حيان ٧/ ٥٥ ، والبيضاوي ٢/ ١٧٢ ، وابن الأنباري في البيان ٢/ ٢١٨ ، والمراغي ١٩/ ١٢٤ ، والبرسوي ٦/ ٣٢٣ ، لكنه جعل المعنى راجعاً إلى الأنبياء ، فقال : استثناء منقطع ؛ أي لكن من ظلم نفسه من المرسلين بذنب صدر منه ، كآدم ويونس وداود وموسى ، وتعبير الظلم لقول آدم : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف :٢٣] ، وموسى : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص :١٦] .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٧ . قال الفرَّاء : لم أجد العربية تحتمل ما قالوا ؛ لأني لا أجيز : قام الناس إلا عبدالله ، وهو قائم ، إنما الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلا من معنى الأسماء قبل إلا . واعترض على هذا القول أيضاً النحاس ، فقال : معنى : إلا خلاف معنى : الواو ، لأنك إذا قلت : جاءني إخوتك إلا زيداً ، أخرجت زيداً مما دخل في الأخوة ، وإذا قلت : جاءني إخوتك وزيدٌ ، أدخلت زيداً في ما دخل فيه الأخوة ، فلا شبه بينهما ولا تقارب . إعراب القرآن ٣/ ٢٠٠ ، واعترض عليه أيضاً ابن الأنباري في البيان ٢/ ٢١٩ ، وذكر هذا القول ابن قتيبة ، ولم يعترض عليه . تأويل مشكل القرآن ٢٢٠ .

(٤) ذكر الواحدي في تفسيره لهذه الآية الخلاف في الاستثناء ، واستطرد بذكر أقوال أهل اللغة ، ثم قال : وقال معمر بن المثنى : إلا هاهنا معناها : الواو ، فهو عطف ، عُطف به : الذين ، على : الناس ، =

١٢. قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾. قال مجاهد: كفك في جيبك[١].

قال المفسرون: كانت عليه مِدْرَعةٌ إلى بعض يده[٢]، ولو كان لها كُمٌّ أمره أن يُدخل يده في كُمِّه[٣]. والجَيْب: حيث جِيبَ من القميص: أي قُطع[٤].

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾. قال أبو إسحاق: المعنى وأخرجها تخرج بيضاء.

قال مقاتل: لها شعاع مثل شعاع الشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ من غير برص[٥]. وهذا مما فسَّرناه في سورة [طه: ٢٢][٦].

= والمعنى: لئلا يكون للناس والذين ظلموا عليكم حجة، واحتج على هذا المذهب بأبيات، منها:

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوهُ لعمرَ أبيكَ إلَّا الفرقدانِ

قال: أراد: والفرقدان أيضاً يفترقان، ثم ذكر تخطئة الفرَّاء لهذا الوجه، ثم قال: ومن الناس من صوَّب أبا عبيدة في مذهبه، وصحَّح قوله بما احتج من الشعر.

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٣٨.

(٢) تفسير مقاتل ٥٧أ.

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٣٨ عن مجاهد، وكذا ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٠، وأخرج نحوه عن ابن عباس. قال الزَّجَّاج ٤/ ١١٠: وجاء أيضاً أنه كانت عليه مدرعة صوف بغير كُمين. وذكره الثعلبي ٨/ ١٢١ب.

(٤) تهذيب اللغة (جاب) ١١/ ٢١٨، وفيه: (يقال: جِبتُ القميص وجُبته). وذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٧٠، وكذا ابن الجوزي ٦/ ١٥٨، أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٠ عن السدِّي: الجيب جيب القميص. قال ابن عطية ١١/ ١٧٨: الجيب: الفتح في الثوب لرأس الإنسان.

(٥) تفسير مقاتل ٥٧أ. وذكره الهوَّاري ٣/ ٢٤٨، وابن جرير ١٩/ ١٣٩، والثعلبي ٨/ ١٢١ب، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥١ عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدِّي، وعطاء الخراساني، والربيع بن أنس. وذكر ابن الأنباري أن السوء يطلق ويراد به: الآفة والعلة، قال تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣]؛ أي بآفة وعقر. الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٣٦٥. وأمَّا أبو عبيدة ٢/ ١٨ فقد قيَّد السوء بالمرض والبرص، فقال: السوء: كل داء معضل من جذام أو برص، أو غير ذلك.

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: من غير برص في قول جميع المفسرين. قال الليث: ويكنى بالسوء عن اسم البرص، وقال أبو عمرو: ﴿سُوٓءٍ﴾؛ أي برص، وقال المبرِّد: السوء إذا أطلق فهو البرص، وإذا وصلوه بشيء فهو كل ما يسوء، والأغلب عند العرب من الأدواء: البرص.

قوله : ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ . قال أبو إسحاق : (في) من صلة قوله : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ ، والتأويل : وأظهر هاتين الآيتين ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ ، والمعنى : من تسع آيات ، كما تقول : خذ لي عشرة من الإبل فيها فحلان ، والمعنى : منها فحلان[(١)] .

وفسّر الآيات التسع في سورة بني إسرائيل[(٢)] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٠ ، وذكره السمرقندي ٢/ ٤٩٠ ، غير منسوب ،وتفسير الوجيز ٢/ ٨٠٠ ، وهو قول ابن كثير ٦/ ١٨٠ .
قال الهوَّاري ٣/ ٢٤٨ : ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ ؛ أي مع تسع آيات ، وذكر ذلك ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢١٧ ، وغريب القرآن ٣٢٣ ، من دون نسبة ، وهو قول الثعلبي ٨/ ١٢٢أ . وأمَّا ابن جرير فقد جعل (في) على ظاهرها ، فقال ١٩/ ١٣٩ : فهي آية في تسع آيات مرسل أنت بهن إلى فرعون ، ولم يذكر غير هذا القول ، واستحسنه النحاس . إعراب القرآن ٣/ ٢٠١ .

(٢) ليس في سورة بني إسرائيل تفصيل الآيات التسع ، وإنما فيها ذكر العدد جملة ، في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء : ١٠١] . قال الواحدي في تفسير هذه الآية : اختلفوا في الآيات التسع مع اتفاقهم أن منها : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، فهذه خمس ، وأمَّا الأربعة الباقية فروى قتادة عن ابن عباس قال : هي يده البيضاء عن غير سوء ، وعصاه إذا ألقاها ، وما ذكر في قوله : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف :١٣٠] . قال : ﴿ٱلسِّنِينَ﴾ لأهل البوادي حتى هلكت مواشيهم ، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لأهل القرى ، وهاتان آيتان ، ونحو هذا روى أبو صالح وعكرمة ، وهذا قول مجاهد ، وقال محمد بن كعب القرظي : بدل السنين ونقص من الثمرات فلق البحر والطمس ، وهي أن الله تعالى مسخ أموالهم حجارة من النخل والدقيق والأطعمة والدراهم والدنانير ، وهذا الذي ذكرنا أجود ما قيل في تفسير الآيات . البسيط ٣/ ١٦٥ب ، النسخة الأزهرية . ويعني بالطمس قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس :٨٨] . ومن جعل الآية التاسعة : الطمس ، أو : نقص الثمرات ، فلا تعارض بينهما ، لما في ذلك من التلازم ، والله أعلم .

وقوله : ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦ﴾ . قال الفرَّاء : (إلَى) من صلة الإرسال والبعث . المعنى : مرسلاً إلى فرعون أو مبعوثاً ، فترك ذكر الإرسال والبعث ؛ لأن شأن موسى في أنه كان مبعوثاً إلى فرعون معروف[١] .

١٣. قوله : ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ؛ أي بيِّنة[٢] واضحة ، كقوله : ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء :٥٩] ، وقد مرَّ[٣] . قالوا : هذا الذي تراه عياناً ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ، كقوله : ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام :٧٨] ، وقد مرَّ[٤] .

١٤. قوله : ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ ؛ أي أنكروها ، ولم يقروا بأنها من عند الله . قال قتادة : الجحود لا يكون إلا من بعد المعرفة[٥] ، وقال المبرِّد : لا

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٨ بمعناه ، وكذا ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢١٧ ، وذكره أبو علي في الإيضاح العضدي ١/ ٢٦٥ ، وكذا الثعلبي ٨/ ١٢٢أ .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٠ عن ابن جريج .

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية :
قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ . قال ابن عباس : يريد كانت لهم عياناً ، وقال قتادة : بيِّنة ، وقال مجاهد : آية مبصرة ، وقال الأخفش : المُبْصِرةُ : البَيِّنَة ، كما تقول المُوضِّحَة والمُبَيِّنَة ، فعلى هذا أبصر واقع بمعنى بصر ، وقال الفرَّاء : جعل الفعل لها ، ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ : مضيئة ، كما قال تعالى : ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس :٦٧] ؛ أي مضيئاً ، وقال الأزهري : والقول ما قال الفرَّاء ؛ أراد آتينا ثمود الناقة آية مبصرة ؛ أي مضيئة ، وقد ذكرنا هذا في سورة يونس ، وفي هذه السورة عند قوله : ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء : ١٢] .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال أبو بكر بن الأنباري : إنما قال : هذا ، والشمس مؤنثة ؛ لأن الشمس بمعنى : الضياء والنور ، فحمل الكلام على تأويلها فذُكِّر ، وأعان على التذكير أيضاً أن الشمس ليست فيها علامة التأنيث ، فلمَّا أشبه لفظها المذكر وكان تأويلها تأويل النور صلح التذكير من هاتين الجهتين .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٢ .

يكون الجحود إلا لما قد علمه الجاحد ، كما قال الله عز وجل : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام :٣٣][١] .

قال أبو عبيدة : ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ جحدوها ، والباء : زائدة ، وأنشد :

نضربُ بالسيفِ ونرجو بالفرَجِ[٢]

﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أنها من الله[٣] ، وأنها ليست بسحر[٤] ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ . قال السدِّي : هذا من التقديم والتأخير ، ونحو هذا قال مقاتل[٥] .

قال الزَّجَّاج : المعنى : وجحدوا بها ظلماً وعلواً ، ترفعاً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى ، فجحدوا بها وهم يعلمون أنها من الله[٦] .

وقال مقاتل : ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ شركاً وتكبراً[٧] ، وهذا يدل على أن اليقين بالقلب مع الجحود والإنكار باللسان لا ينفع ولا يكون إيماناً .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٣٢٢ ، من دون نسبة .

(٢) أنشده كاملًا أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٥٦ ، ولم ينسبه ، وقبله :

نحنُ بنو جعدةَ أصحابُ الفَلَجْ

وأنشده ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٤٩ ، ولم ينسبه ، وكذا البغدادي في الخزانة ٩/ ٥٢١ ، ثم نقل عن أبي عبيدة : الفلج : بفتح الفاء واللام ، موضع لبني قيس ، وهو في ديوان النابغة الجعدي ٢١٦ ، والشاهد الباء الثانية ، أمَّا الأولى فللاستعانة . مغني اللبيب ١/ ١٠٨ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٧أ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٧أ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١١ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٧أ .

﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ في الأرض بالمعاصي[١] .

١٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : علماً بالقضاء ، وبكلام الطير والدواب[٢] ، وتسبيح الجبال[٣] .

﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ ؛ أي بالنبوة والكتاب ، وإلانة الحديد ، وتسخير الشياطين والجن والإنس[٤] ، والمُلْك الذي أعطاهما الله وفضلهما به[٥] ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦] .

١٦ . وقوله : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ . قال ابن عباس : ورث منه النبوة .

وقال السدِّي : ورث نبوته .

وقال مقاتل : ورث سليمان علم داود وملكه[٧] .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٥أ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٧ب . وذكره السمرقندي ٢/ ٤٩١ ، ولم ينسبه . وفي تنوير المقباس ٣١٦ : فهمًا بالنبوة والقضاء .

(٣) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٠ عن ابن عباس .

(٤) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٠ ، من دون نسبة ، وتفسير الطبرسي ٧/ ٣٣٤ ، وتفسير ابن الجوزي ٦/ ١٥٩ .

(٥) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٩١ .

(٦) قال الشوكاني ٤/ ١٢٥ : وفي الآية دليل على شرف العلم ، وارتفاع محله ، وأن نعمة العلم من أَجَلِّ النعم التي ينعم الله بها على عباده ، وأن من أوتيه فقد أُوتي فضلاً على كثير من العباد ، ومُنح شرفاً جليلاً .

(٧) تفسير مقاتل ٥٧ب ، وهو قول ابن جرير ١٩/ ١٤١ .

وقال قتادة : كان لداود تسعة عشر ذكراً ، فورث سليمان مُلْكه من بينهم ونبوته[١] . فمعنى تخصيص سليمان بالوراثة هو هذا[٢] .

وذكر الفرَّاء والزَّجَّاج معنى قول قتادة[٣] .

---

(١) تنوير المقباس :٣١٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٤ عن قتادة من دون ذكر العدد ، وذكره الزَّجَّاج ٤/ ١١١ ، ولم ينسبه ، وكذا الثعلبي ٨/ ١٢٢أ ، وذكره الماوردي ٤/ ١٩٨ ، والقرطبي ١٣/ ١٦٤ عن الكلبي .

(٢) قال الماوردي ٤/ ١٩٨ : وإنما خص سليمان بوراثته ؛ لأنها وراثة نبوة وملك ، ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء . والرافضة يخالفون هذا ، فيجعلون الوراثة هنا وراثة مال أيضاً ، قال الطوسي : قال أصحابنا : إنه ورث المال ، والعلم ، وقال مخالفونا : إنه ورث العلم ، لقوله ﷺ : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» ، ثم أجاب عن الحديث بقوله : والخبر المروي عن النبي ﷺ خبر واحد لا يجوز أن يخص به عموم القرآن ، ولا نسخه به . التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٨٢ .
قال ابن القيم : فلو كان الموروث هو المال لم يكن سليمان مختصاً به ، وأيضاً فإن كلام الله يصان عن الإخبار بمثل هذا ، فإنه بمنزلة أن يقال : مات فلان وورثه ابنه . ومن المعلوم أن كل أحد يرثه ابنه ، وليس في الإخبار بمثل هذا فائدة ، وأيضاً فإن ما قبل الآية ، وما بعدها يبين أن المراد بهذه الوراثة وراثة العلم والنبوة ، لا وراثة المال ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وإنما سيق هذا لبيان فضل سليمان ، وما خصَّه الله به من كرامته ، وميراثه ، وما كان لأبيه من أعلى المواهب ، وهو العلم والنبوة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ ، وكذلك قول زكريا عليه الصلاة والسلام : ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم :٥ ، ٦] ، فهذا ميراث العلم والنبوة والدعوة إلى الله ، وإلا فلا يظن بنبي كريم أنه يخاف عصبته أن يرثوه ماله ، فيسأل الله العظيم ولداً يمنعهم ميراثه ، ويكون أحق به منهم ، وقد نزَّه الله أنبياءه ورسله عن هذا وأمثاله ، فبُعداً لمن حرَّف كلامه ، ونسب الأنبياء إلى ما هم برآء منزهون عنه . مفتاح دار السعادة ٦٧ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٨ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١١ .

قوله : (وَقَالَ) ؛ أي قال سليمان لبني إسرائيل[١] ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[٢] ، وهذا كالتحدث من سليمان بما أنعم الله به عليه .

قال الليث : كلام كل شيء منطقه ، وتلا الآية[٣] .

وقال الأصمعي : صوت كل شيء منطقه ، ونُطقُه ، ومنه قولهم : مالَه صامت ولا ناطق ؛ الناطق : الحيوان من الرقيق وغيره سُمِّي ناطقاً لصوته[٤] .

قال الفرَّاء : منطق الطير يعني كلام الطير ، فجعله كمنطق الرجل إذ فُهِم ، وأنشد لحميد بن ثور :

عجبتُ لهَا أنَّى يكونُ غِناؤُها فصيحاً ولَمْ تفغرْ بمنطقِهَا فمَا

فجعله كالكلام لَمَّا ذهب به إلى أنها تغني[٥] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٧ب . أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٥ عن الأوزاعي : الناس عندنا : أهل العلم .

(٢) وقد استدل قتادة بهذه الآية على أن النملة من الطير . أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٩ ، وعنه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٥ ، وهذا ليس بلازم ، قال ابن العربي : فجعل الله لسليمان معجزة فهم كلام الطير ، والبهائم ، والحشرات ، وإنما خص الطير لأجل سوق قصة الهدهد بعدها ، ألا تراه كيف ذكر قصة النمل معها ، وليست من الطير . أحكام القرآن ٣/ ٤٧٢ ، وزاده بياناً في ٤٧٥ ، قال الشوكاني ٤/ ١٢٥ : إنه عُلِّم منطق جميع الحيوانات ، وإنما ذكر الطير لأنه كان جنداً من جنده يسير معه لتظليله من الشمس .

(٣) العين (نطق) ٥/ ١٠٤ ، وليس فيه ذكر الآية ، وإنما ذكرها الأزهري في تهذيب اللغة ١٦/ ٢٧٥ .

(٤) تهذيب اللغة (نطق) ١٦/ ٢٧٩ ، وفيه الصامت : الذهب والفضة والجوهر .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٨ ، وفيه : (تبكي) بدل : (تغني) ، ولم ينسب البيت ، وفيه : (بليغاً) بدل : (رفيعاً) ، و(تفتح) بدل (تفغر) . وأنشده الطوسي في التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٨٥ ، وأنشده في الوسيط ٣/ ٣٧٢ ، وكذا في وضح البرهان ٢/ ١٣٩ منسوباً ، وذكره ابن الجوزي ٦/ ١٦٠ من دون نسبة ، وهو في ديوان حميد بن ثور ٤٢ .

وقال أبو علي الفارسي : القول والكلام والمنطق يستعمل كل واحد من ذلك في موضع الآخر ، ويُعبَّر بكل واحد منها عما عُبِّر بالآخر . قال رؤبة :

لـوْ أنَّني أعـطـيتُ علمَ الحُكْلِ علـــمَ ســـليمانَ كلامَ النَّملِ[١]

وقال الله تعالى : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ [النمل :١٨] ، وقال إخباراً عن الهدهد : ﴿فَقَالَ أَحَطتُ﴾ [النمل :٢٢] ، فذَكَر له القول . وأنشد الأخفش :

صدَّهَا منطقُ الدَّجاجِ عنِ القصدِ وصوتُ النَّاقوسِ بالأســـحارِ[٢]

وأنشد أيضاً :

فَصبَّحتْ والطَّيرُ لمْ تَكَلَّمِ

فوضع كل واحد من الكلام والنطق موضع الصوت .

---

(١) تهذيب اللغة (حكل) ٤/ ١٠٠ ، ونســبه إلى رؤبة ، وهو في ديوانه ١٣٣ ، وأنشده ابن فارس من دون نســبة ، وفيه :(أوتيت) ، وقال : الحاء والكاف واللام أصل صحيــح منقاس ، وهو الشيء الذي لا يبين ، يقال : إن الحُــكل الشيء الذي لا نطق له من الحيوان ، كالنمل وغــيره . معجم مقاييس اللغة ٢/ ٩١ ، وأنشده ابن جني ، ولم ينسبه في الخصائص :١/ ٢٢ ، وذكر الواحدي كلمة الحكل في مقدمة تفسيره ، فقال : ويعلم قول الحُكل . تفسير الواحدي ١/ ٢٠١ ، تحقق : الفوزان .

(٢) أنشده الأخفش ٢/ ٥٨٨ كاملاً في سورة يوسف ، وعجزه :

وضَرْبُ الناقوسِ فاجتُنبا

وأنشــده ٢/ ٦٤٨ في ســورة النمل مقتصراً على صدره ، ولم ينسبه في الموضعين . وفي الحاشية : لم تفد المراجع شيئاً في القائل والقول .

وقال الراعي يصف ثوراً يحفر كِناساً[١] إلى الصباح :

حتَّى إذا نطقَ العصفورُ وانكشفتْ عَمَايَـةُ الليلِ عنهُ وهـوَ مُعتمِدُ[٢]

ومعنى الآية : فهمنا ما يقول الطير .

قولـه تعـالى : ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ . قـال ابن عباس : يريد مـن أمر الدنيا والآخرة[٣] .

وقال مقاتل : يعني أُعطينا المُلك والنبوة والكتاب في تسخير الرياح ، وسُخرت الجن والشياطين ، ومنطق الطير[٤] .

وقال الزَّجَّـاج : المعنى ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يجوز أن يؤتاه الأنبياء والناس . وكذلك قوله : ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل :٢٣] يؤتى مثلها ، وعلى هذا جرى كلام الناس . يقول القائل : قد قصد فلاناً كلُّ أحد ؛ أي قَصَدَه كثير من الناس[٥] .

قولـه تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ . قال مقاتل : إن هـذا الذي أعطينا[٦] ﴿لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ . قال ابن عباس : مِن الله علينا[٧] .

---

(١) الـمَكْنِس : مَوْلِجُ الوحش من البقر تسكن فيه من الحر ، وهو الكِناس ، والجمع : أكنسة ، وكُنُس ، واشتقاقه من الكَنْس ؛ وهو : كَسْحُ القُمَام عن وجه الأرض ، فهي تكْنِس الرمل حتى تصل إلى الثرى . تهذيب اللغة (كنس) ١٠/ ٦٣ ، ولسان العرب ٦/ ١٩٧ .

(٢) ديوان الراعي ٩٢ . نطق العصفور : كناية عن انبلاج الصبح ، وعماية الليل : ظلمته ، والمعتمِد : الذي يمشي طوال الليل . حاشية الديوان . وفي لسان العرب (عمد) ٣/ ٣٠٥ : اعتمد فلان ليلته إذا ركبها يسير فيها .

(٣) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٧ب .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١١ .

(٦) تفسير مقاتل ٥٧ب .

(٧) تنوير المقباس :٣١٦ بلفظ : (المن العظيم من الله عليَّ) .

١٧. قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ وجُمع له ﴿جُنُودُهُۥ﴾[١] جموعه، وكل صنف من الخلق جند على حدة، يدل عليه قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾[٢]. قال المفسرون والكلبي: كان سليمان إذا أراد سفراً أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط له عظيم، ثم يأمر الريح فتحملهم، فتجعلهم بين السماء والأرض[٣]. وكان سليمان يعرف ألسنتهم ويقضي بينهم، فمعنى قوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾؛ أي في مسير له.

وقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: معنى الوزع في اللغة: الكف[٤]. وزَعْتُه، أَزَعُه، وَزْعاً؛ أي كففته[٥]. والشيب وازع؛ أي مانع[٦].

---

(١) تفسير مقاتل ٥٧ب. قال الراغب: الحشر: إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب، ونحوها. المفردات ١١٩، وقد أحسن الواحدي صنعاً في تركه الحديث عن عدد جند نبي الله سليمان عليه السلام. قال ابن عطية ١١/ ١٨٣: واختلف الناس في مقدار جند سليمان ـ عليه السلام ـ اختلافاً شديداً لم أُرد ذكره لعدم صحته.
وقال الشوكاني ٤/ ١٢٥: وقد أطال المفسرون في ذكر مقدار جنده، وبالغ كثير منهم مبالغة تستبعدها العقول، ولا تصح من جهة النقل، ولو صحَّت لكان في القدرة الربانية ما هو أعظم من ذلك.

(٢) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٢، من دون نسبة.

(٣) تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٠ عن عبدالله بن شداد، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٠ عن الحسن، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣ب. وذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٢، وصدَّره بقوله: قال المفسرون.

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٢، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣أ، وتفسير البغوي ٦/ ١٥٠، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٣٩٨.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٣، وتهذيب اللغة (وزع) ٣/ ٩٩.

(٦) قال النابغة الذبياني:
على حينَ عاتبتُ المشيبَ عَلى الصِّبا وقلتُ: ألما تصحُّ والشيبُ وازعُ
الكتاب ٢/ ٣٣٠، والأضداد لابن الأنباري ١٤٠.

وتقول العرب : لأزعنكم عن الظلم[١] .

قال الليث : والوازع في الحرب : الموكل بالصفوف يَزَع مَنْ تقدَّم منهم بغير أمره ، وقال الله عز وجل : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ؛ أي يُكفون[٢] .

قال الكلبي وأكثر أهل التفسير : يُحبس أولهم على آخرهم[٣] .

وقال قتادة : يُرَدُّ أولُهم على آخرهم[٤] ، يعني ليجتمعوا ويتلاحقوا[٥] .

وقال السدِّي : يُوقفون[٦] .

وقال الوالبي عن ابن عباس : ﴿يُوزَعُونَ﴾ : يدفعون[٧] .

وقال ابن زيد ومقاتل : يساقون[٨] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٨ .

(٢) العين ٢/ ٢٠٧ بلفظ : (الوازع : الحابس للعسكر) . قال الله عز وجل : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ؛ أي يكف أولهم على آخرهم . وما ذكره الواحدي عن الليث بنصه عند الأزهري . تهذيب اللغة (وزع) ٣/ ٩٩ .

(٣) تنوير المقباس :٣١٦ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤١ عن ابن عباس ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٦ عن مجاهد ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣أ ، وتفسير الماوردي ٤/ ١٩٩ ، واقتصر عليه في الوجيز ٢/ ٨٠١ ، وذكره ابن الأنباري في الأضداد ١٣٩ ، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٣٩٨ ، واقتصر عليه ابن كثير ٦/ ١٨٣ ، والبيضاوي ٢/ ١٧٣ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٩ ، وعنه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٧ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٢ ، ورجح هذا القول على غيره .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٩ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣أ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٥٠ .

(٧) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣أ . وأخرج ابن جرير ١٩/ ١٤٢ عن الحسن : يتقدمون .

(٨) تفسير مقاتل ٥٧ب . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٢ عن ابن زيد . وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣أ .

والدفع والسوق ضد الوقف والكف . وقد ذكر المبرِّد وجه هذا ، فقال : تأويل ذلك أنه يُدفع آخرهم على أولهم ، وقولهم : وزعته بمعنى كففته ، كلمة عامة ، تقول : وزعته ؛ أي كففته عن الإبطاء ، بمعنى : دفعته وسقته ، وتكون بمعنى كففته عن الإسراع ؛ أي حبسته ، ووقفته[١] . فمن قال في تفسير ﴿يُوزَعُونَ﴾ : يدفعون ويساقون أراد أن الآخِرين يُمنعون عن الإبطاء والتوقف .

وذكر أبو عبيدة الوجهين ، فقال : يُدفع أُخراهم ، ويُحبس أولاهم[٢] ، يعني إذا تقدَّم الأولون وسرعانهم وزعوا ، وإذا توقف المتأخرون دفعوا ووزعوا عن الإبطاء . وهكذا يفعل الشُّرَط والوزعة للعساكر[٣] .

١٨. قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ ؛ أي أشرفوا عليه[٤] . ولهذا المعنى أُدخل (عَلَى) ولم يكن : أتوا وادي النمل . قال كعب : هو بالطائف[٥] ، وقال قتادة ومقاتل : هو بالشام[٦] .

---

(١) قال ابن الأنباري : الصحيح عندنا أن يكون : أوزعت بمعنى : أمرت وأغريت ، ووزعت بمعنى : حبست . الأضداد ١٣٩ ، قال ابن العربي : وقد يكون بمعنى : يلهمون . أحكام القرآن ٣/ ٤٧٤ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٩٢ .

(٣) أخرج نحوه ابن جرير ١٩/ ١٤١ عن ابن عباس ، وأخرج نحوه أيضاً ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٧ عن مجاهد . قال الحسن لَمَّا ولي القضاء : لا بدَّ للناس من وزعة ؛ أي شرط يكفونهم عن القاضي . الأضداد ١٤٠ .

(٤) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٣ من دون نسبة .

(٥) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٤ أ ، وتفسير الماوردي ٤/ ١٩٩ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٥٠ ، قال البقاعي ١٤/ ١٤٢ : وهو الذي تميل إليه النفس ، فإنه معروف عندهم بهذا الاسم ، ويسمى أيضاً : نخب ، وزن كتف ، وقد رأيته لَمَّا قصدت تلك الديار . والطائف مدينة معروفة في غرب المملكة العربية السعودية ، على بُعْد ١٠٠كم من مكة المكرمة .

(٦) تفسير مقاتل ٥٧ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٧ عن قتادة . وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٤أ ، وتنوير المقباس ٣١٦ ، واقتصر عليه الهوَّاري ٣/ ٢٤٩ ، ولم ينسبه ، وذكره الزَّجَّاج ٤/ ١١٢ ، ولم ينسبه ، واقتصر عليه في الوجيز ٢/ ٨٠١ ، وذكر القولين في تفسيره الوسيط ٣/ ٣٧٣ ، وكذا البغوي ٦/ ١٥٠ .

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ . ذكرنا أن القول والكلام والمنطق يستعمل كل واحد منهما مكان الآخر ، ويُعبَّر به عن الصوت ، كقولـه : حتى إذا نطق العصفور ؛ أي صاح[١] . كذلك قولـه : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ؛ أي صاحت بصوت خلـق الله لها . ولمَّا كان ذلك الصوت مفهوماً لسليمان عليه السلام عبَّر عنه بالقول على ما ذكر الفرَّاء في منطق الطير[٢] ، وهذان وجهان في قول النملة .

قـال الكلبي : وكانـت نملة صغيرة مثـل النمل[٣] ، وقال نوف الشـامي وشقيق بن سلمة : كانت نمل ذلك الوادي كهيئة الذئاب في العظم[٤] .

وعن بريدة الأسلمي أنها كانت كهيئة النعاج[٥] . ولعل الأقرب قول الكلبي ، لقوله : ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ ولـو كانت كالذئاب والنعاج ما حطمت بالوطء ولا خافت ذلك[٦] .

---

(١) تقدَّم ذكر البيت عند قول الله تعالى : ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل :١٦] .

(٢) وذهب إلى هذا سيبويه في الكتاب ٢/ ٤٦ ، وكذا المبرِّد في المقتضب ٢/ ٢٢٦ .

(٣) نسـبه القرطبي ١٣/ ١٧١ إلى الكلبي . وفي تنوير المقبـاس ٣١٦ : نملة عرجاء يقال لها : منذرة ! وما دليل ذلك ؟

(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ١٧١ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٢ عن عوف بلفظ : (الذباب) ، واقتصر عليه في الوجيز ٢/ ٨٠١ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٨ عن نوف الحميري : كان نمل سليمان مثل أمثال الذئاب ، وذكره كذلك الثعلبي ٨/ ١٢٤أ ، وذكر السـيوطي في الـدر المنثور : ٦/ ٣٤٧ عن كعب : وكانت مثل الذئب في العظم ، وذكره الزَّجَّاج ٤/ ١١٢ ، من دون نسبة ، وذكره ابن كثير ٦/ ١٨٣ عن الحسن ، ثم نقد ابن كثير هذه الأقوال بقوله : ومَن قال من المفسرين : إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره ، وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب ، أو غير ذلك من الأقاويل ، فلا حاصل لها . وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٧ عن الشعبي : النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين .

(٥) ذكره عنه القرطبي ١٣/ ١٧١ .

(٦) ورجـح ذلـك القرطبي ١٣/ ١٧١ ، ولم يذكر مَن سـبقه لـه . قال البغوي ٦/ ١٥١ ، والبرسـوي ٦/ ٣٣٣ : والمشهور أنه النمل الصغير .

والنملة ، جمعها : نَمْل ، ونِمَال[١] ، ومنه قول الأخطل :

دبيبُ نِمَالٍ في نَقاً يتهيَّلُ[٢]

ويقال : رجل نَمِل الأصابع إذا كان خفيف الأصابع في العمل ، وفرسٌ نَمِل القوائم لا يكاد يستقر[٣] . والنمل إذا خرجت من قريتها لا تُرى مُستقرة ثابتة ، بل تتحرك وتعدُو يمنة ويسرة ، وهي كثيرة الحركة .

قال أهل المعاني : ومعرفة النملة سليمان معجزة له ألهمها الله تعالى معرفته حتى عرفت ، وحَذَّرت النملَ حَطْمَه ، والنمل تعرف كثيراً مما فيه نفعها وضرها ، فمن ذلك : أنها تكسر الحبة بقطعتين لئلا تنبت ، إلا الكُزْبَرة[٤] فإنها تكسرها بأربع قطع ؛ لأنها تنبت إذا كُسرت بقطعتين . فمَنْ هداها إلى هذا هو الذي ألهمها معرفة سليمان[٥] .

قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ . قال أبو إسحاق : جاء لفظ : (ادْخُلُوا) كلفظ ما يعقل ؛ لأن النمل هاهنا أجري مجرى الآدميين حين نطق كما نطق الآدميون[٦] .

---

(١) تهذيب اللغة (نمل) ١٥/ ٣٦٦ .

(٢) تهذيب اللغة (نمل) ١٥/ ٣٦٦ عن الليث ، ونسبه إلى الأخطل ، وصدره :
تدِبُّ دبيباً في العظام كأنَّهُ
النقا : ما ارتفع من الرمل ، يتهيل : ينحدر . شرح ديوان الأخطل ٢٦٢ .

(٣) تهذيب اللغة (نمل) ١٥/ ٣٦٦ .

(٤) نوع من أنواع البقول . لسان العرب (كزبر) ٥/ ١٣٨ ، والمعجم الوسيط ٢/ ٧٨٦ .

(٥) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٣ من دون نسبة ، وتفسير الماوردي ٤/ ٢٠٠ غير منسوب . وذكره الطوسي للدلالة على أن معرفة النمل لسليمان ، ليس على سبيل المعجزة الخارقة للعادة ؛ لأنه لا يمتنع أن تعرف البهيمة كثيراً مما فيه نفعها وضرها . التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٨٤ ، وذكر ابن القيم عجائب صنع الله تعالى في النمل في كتابه شفاء العليل ٦٩ ، ٧٠ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٢ .

وذكرنا استقصاء هذا عند قوله : ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ [يوسف :٤][(١)] .

قوله تعالى : ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ : الحَطم : كسر الشيء ، والحُطَام : ما يُحطم من ذلك[(٢)] .

ومعنى : ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ : لا يكسرنكم[(٣)] . قال مقاتل : لا يهلكنكم سليمان وجنوده[(٤)] . وذكرنا وجه جواب الأمر بنون التأكيد عند قوله : ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ الآية [الأنفال :٢٥] ، وهذه الآية وتلك سواء[(٥)] .

---

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : وقوله : ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ وهي مما لا يَفهم ، ولا يُفهم وحسن ذلك ؛ لأنه لَمَّا وصفها بالسجود صارت كأنها تعقل فأخبر عنها كما يخبر عمَّن يعقل ، كما قال في صفة الأصنام : ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف :١٩٨] .

(٢) تهذيب اللغة (حطم) ٤/ ٣٩٩ .

(٣) تنوير المقباس :٣١٧ ، وتفسير ابن جرير ١٩/ ١٤١ .

(٤) تفسير مقاتل ٧٥ب .

(٥) قال الواحدي في تفسير هذه الآية من سورة الأنفال : ووجه إعراب الآية على هذا القول ما ذكره أبو إسحاق ، وهو أن قوله : ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نهي بعد أمر ، والمعنى : اتقوا فتنة ، ثم نهى بعدُ ، ثم قال : ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ الفتنة الذين ظلموا ؛ أي لا يتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم من العذاب ، ثم ذكر شرح ابن الأنباري لهذا القول ، ثم ذكر قول أبي علي الفارسي : إنه نهي بعد أمر ، واستغني عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالأولى ، كما استغني عن ذلك في قوله : ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف :٢٢] ، و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة :٣٩] ، وغيرهما . ومحال أن يكون جواب الأمر بلفظ النهي ، ودخول النون هاهنا يمنع أن تكون : ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ جواباً للأمر . قال أبو حيان : دخول نون التوكيد على المنفي بـ (لا) مختلف فيه ؛ فالجمهور لا يجيزونه ويحملون ما جاء منه على الضرورة ، أو الندور ، والذي نختاره الجواز ، وإليه ذهب بعض النحويين . البحر المحيط ٤/ ٤٧٧ ، وأطال الحديث عن هذه المسألة في سورة الأنفال ، وفي سورة النمل ، وتبعه السمين الحلبي في الدر المصون ٥/ ٥٨٩ ، قال ابن الأنباري : (لا) ناهية ، ولهذا دخلت النون الشديدة في ﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ ، ولا يجوز أن يكون تقديره : إن دخلتم مساكنكم لم يحطمنكم ، على ما ذهب إليه بعض الكوفيين ؛ لأن نون التوكيد لا تدخل في الجزاء إلا في ضرورة الشعر . البيان ٢/ ٢٢٠ .

وقوله : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ؛ أي بحطمكم ووطئكم . قال مقاتل : لقد علمت النملة أنه مَلِك لا بغي فيه ، ولا فخر ، وأنه إن علم بها قبل أن يغشاها لم يتوطاها[١] ، لذلك قالت : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٢] .

ثم وقف سليمان بمَنْ معه ليدخل النمل مساكنها[٣] ، وهذا يدل على أن سليمان وجنوده كانوا ركباناً ومشاةً على الأرض ، ولم تحملهم الريح ؛ لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض ما خافت النمل أن تتوطَّأهم بأرجلهم[٤] . ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله تعالى الريح لسليمان .

قال المفسرون : طارت الريح بكلام النملة فأدخلته أذن سليمان[٥] . قال ابن عباس : وذلك أن الله تعالى أعطى سليمان زيادة في ملكه ، لا يذكره أحد من الخلق إلا حملت الريح ذلك الكلام إليه حتى يسمعه ، فلمَّا سمع كلام النملة تبسَّم[٦] .

وفي هذه الآية ذكر أنواع من المعجزة لسليمان ؛ وهي : معرفة النمل لسليمان وجنوده ، وكلامُ النملة للنمل ، وفَهْمُ النمل عنها ما حذرتهم من الحطم ؛ لأنها لمَّا سمعت كلام النملة دخلت المساكن ، وسماعُ سليمان كلام النملة .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٥ب .

(٢) أي لا يعلمون أنهم يحطمونكم . تفسير ابن جرير ١٩/ ١٤١ . وذكر الهواري ٣/ ٢٤٩ قولًا آخر اقتصر عليه ولم ينسبه ، فقال : أي والنمل لا يشعرون أن سليمان يفهم كلامهم . وفي ذلك بعد . وقد نقد هذا القول محقق الكتاب . واستبعده الشوكاني ١٢٧/ ٤ ، وذكر القولين السمرقندي ٢/ ٤٩٢ ، والماوردي ٢٠٠/ ٤ . وردَّ هذا القول ابن العربي في أحكام القرآن ٤٧٥/ ٣ ، وذكر ابن الجوزي ١٦٢/ ٦ عن ابن عباس : وأصحاب سليمان لم يشعروا بكلام النملة .

(٣) تفسير مقاتل ٧٥ب . ونسبه الماوردي ٤/ ٢٠٠ إلى ابن عباس .

(٤) أي تتوطأهم الجنود ، ونحو هذا ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ١٩ ، وفي هذا ردٌّ على ما سبق من حمل الريح لجنود نبي الله سليمان عليه السلام .

(٥) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٤أ ، والماوردي ٤/ ٢٠٠ ، وتفسير الوسيط ٣/ ٣٧٣ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣أ . وظاهر الآية أنه سمع كلام النملة لقربه منها ، والله أعلم .

١٩. قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾: يقال: بَسَم يَبْسِم وابتَسَم وتَبَسَّم يتَبَسَّم، إذا أبدى عن أسنانه، وكَشَّر للضحك[١].

قال أبو إسحاق: أكثر ضحك الأنبياء التبسُّم، و﴿ضَاحِكًا﴾ حال مؤكِّدة؛ لأن تبسَّم بمعنى ضحك، هذا كلامه[٢]، ومعناه أن التبسُّم ابتداء الضحك، والضحك عبارة جامعة للابتداء والانتهاء، فمعنى تبسَّم ضاحكاً: تبسَّم مبتسماً، أو ضحك ضاحكاً، فَذِكْرُ لفظ التبسُّم دلالة على أن ضحكه كان تبسُّماً، وذِكْرُ الحال بلفظ الضحك؛ ليكون الكلام أحسن، وليس المراد بلفظ الضحك هاهنا أكثر من التبسُّم[٣]، ونحو هذا قيل في قول كُثَيِّر:

غَمرُ الرِّداءِ إذا تبسَّمَ ضاحكاً[٤]

وقالوا: إن أكثر ضحك الملوك تبسُّم. وسبب ضحك سليمان من قول النملة: التعجب؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك[٥].

---

(١) تهذيب اللغة (بسم) ١٣/ ٢٣.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٢، قال ابن الأنباري: منصوب على الحال المقدرة، وتقديره: فتبسم مقدراً الضحك. ولا يجوز أن يحمل على الحال المطلقة؛ لأن التبسم غير الضحك. البيان ٢/ ٢٢٠، وقد ذكر ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ٤٧٦ عدداً من الأحاديث في ضحك النبي ﷺ.

(٣) قال القرطبي ١٣/ ١٧٠: أكد التبسم بقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾؛ إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا، ألا تراهم يقولون: تبسم تبسم الغضبان، وتبسم تبسم المستهزئين.

(٤) ديوان كثير ١٨٧، من قصيدة له في مدح عبدالعزيز بن مروان، وعجزه:

علقتْ لِضِحْكَتِهِ رِقابُ المالِ

وفي الحاشية: غمر الرداء: كناية سعة المعروف والكرم. وأنشده ابن جني في الخصائص ٢/ ٤٤٥، ولم ينسبه.

(٥) نسبه بنصه البغوي ٦/ ١٥٢ إلى مقاتل، وهو عند مقاتل ٥٧ب بمعناه.

قال مقاتل : ثم حمد ربه حين علَّمه منطق كل شيء ، فسمع كلام النملة[١] .

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ؛ أي ألهمني ، ونحو هذا قال ابن عباس ، والمفسرون ، وأهل المعاني في تفسير ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾[٢] .

قال الزَّجَّاج : وتأويله في اللغة : كفني عن الأشياء ، إلا عن شكر نعمتك[٣] . ولهذا يقال في تفسير الموزَع : إنه المُولَع ، ومنه الحديث : «كان رسول الله ﷺ موزعاً بالسواك»[٤] ؛ أي مولعاً به ، كأنه كُفَّ ومُنِع إلا منه .

قوله : ﴿فِي عِبَادِكَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يريد مع عبادك[٥] .

وعلى هذا في الكلام محذوف تقديره : مع عبادك الصالحين الجنة ، فحُذِف للعلم به .

وقال آخرون : معناه : وأدخلني في جملتهم ، يعني : أثبت اسمي مع أسمائهم ، واحشرني في زمرتهم[٦] .

---

(١) تفسير مقاتل ٧٥ب .

(٢) تنوير المقباس :٣١٧ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٩ ، وتفسير مقاتل ٧٥ب ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٣ ، وتفسير ابن جرير ١٩/ ١٤٣ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٨ عن قتادة ، والسدِّي ، وابن زيد ، وذكره ابن الأنباري في الزاهر ٢/ ٣٩٨ ، والأضداد ١٤٠ ، وهو في تهذيب اللغة (وزع) ٣/ ١٠٠ ، وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس بلفظ : (اجعلني) ، وكذا عند ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٨ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٢ .

(٤) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٨١ ، ولم يعزه إلى أحد ، وقد بحثت عن الحديث فلم أجده .

(٥) تفسير مقاتل ٧٥ ، وتنوير المقباس ٣١٧ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٣ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٩ عن ابن زيد .

(٦) تفسير البغوي ٦/ ١٥٢ من دون نسبة .

قال ابـــن عباس : يريد مع إبراهيم وإســـماعيل وإســـحاق ويعقوب ، ومَنْ بعدهم من النبيين[١] .

٢٠. قوله : ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ : التفقد : تَطَلُّبُ ما غاب عنك من شيء[٢] ، وأصلـــه : تَتَبُّع الشيء المفقود وتَطَلُّبه هل هو مظفور به . وكل شيء غاب عنك ثم تَتَبَّعْته طالباً له قلت : تَفَقَّدته ، بُنِي على تفعل ؛ لأنه تكلف الطلب ، كما تقـــول : تعرفتُ الشيء إذا تتبعتَه تطلب معرفته .

والطير : اســـم جامع ، والواحد طائر[٣] . والمراد بالطير هاهنا : جنس الطير وجماعتها ، وكانت تصحبه في ســـفره تظله بأجنحتهـــا[٤] . فقال :﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ : هذا استفهام عن حال نفسه ، والمراد به الاستفهام عن حال الهدهد ، عـــلى تقدير : ما للهدهد لا أراه ، ولكنه من القلـــب الذي يوضحه المعنى . تقول العرب : ما لي أراك كئيباً ؟ معناه : مالَك[٥] ؟ والهُدهُد : طير معروف ، وهَدْهَدتُه صوتُه[٦] .

---

(١) ذكره عنه البغوي ٦/ ١٥٢ ، وفي تنوير المقباس :٣١٧ : مع عبادك المرسلين الجنة .

(٢) تهذيب اللغة (فقد) ٩/ ٤٢ .

(٣) تهذيب اللغة (طار) ١٤/ ١١ .

(٤) أخرجـــه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٠ عن ســـعيد بن جبير ، وعبدالله بن شـــداد ، والســـدِّي ، وأخرجه ابـــن جرير ١٩/ ١٤٤ عن ابن عباس ، وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٤٠ عن ابن عباس ، كتاب : التفســـير ، وقال : على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

(٥) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٣ من دون نسبة ، وذكر نحوه أبو علي في المسائل الحلبيات ١٥٢ .

(٦) تهذيب اللغة (هد) ٥/ ٣٥٣ ، وذكره القرطبي ١٣/ ١٧٨ ، ولم ينسبه .

قال مجاهد : سُئل ابن عباس كيف تفقَّد سليمان الهدهد من بين الطير ؟ قال : إن سليمان نزل منزلاً ، ولم يَدرِ ما بُعد الماء ، وكان الهدهد مهتدياً ، فأراد أن يسأله عنه . قال : قلت كيف يكون مهتدياً والصبي يضع له الحِبَالَة[١] فيصيده ؟ ! قال : إذا جاء القدر حال دون البصر[٢] .

وروى مجالد عنه قال : بينما سليمان ذات يوم في مسيره إذ تفقَّد الطير ، ففقد الهدهد فقال : ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ قال عطاء عنه : وكان الهدهد يدله على الماء إذا أراد أن ينزل ، فلمَّا فقده سأل عنه[٣] .

قال الكلبي : ولم يكن معه في سيره ذلك إلا هدهد واحد . هذا قول أكثر المفسرين : إن السبب في تفقُّد الطير كان طلب الماء[٤] ، وكان الهدهد مهندسَ الماء ، وإنما كان يعرف سليمان قُرب الماء وبُعده من جهته ؛ وذلك أنه كان يرى الماء في الأرض كما يُرى الماءُ في الزَّجَّاجة[٥] .

قال عبدالله بن شداد : الهدهد ينظر إلى الماء كما ينظر بعضنا إلى بعض[٦] .

---

(١) الحِبَالَة : جمع الحَبْل ، يقال : حَبَل وحِبال ، وحِبالة ، والحَبْل : مصدر حَبَلت الصيد واحتبلته : إذا نَصبت له حِبالَة فنَشِب فيها وأخذته . انظر : تهذيب اللغة ٥/ ٧٩ .

(٢) ذكر نحوه الهوَّاري ٣/ ٢٥٠ ، ولم ينسبه ، وفيه تعيين السائل ، وهو : نافع الأزرق . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٣ ، ١٤٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٩ عن ابن عباس ، وفيه ذكر نافع الأزرق . وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٥أ ، وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٤٠ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣٥٢٥ ، ٣٥٢٦ ، من طريق عكرمة ، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وقال : على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وأخرجه عبدالله بن الإمام أحمد ، كتاب السُّنة ٢/ ٤١٢ ، رقم ٩٠٠ .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٠ هذا المعنى عن عدد من المفسرين .

(٤) تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٠ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٠ ، وابن جرير ١٩/ ١٤٣ .

(٥) أخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٩ عن ابن عباس ، وذكره بنصه الزَّجَّاج ٤/ ١١٣ ، ولم ينسبه ، وذكره السمرقندي ٢/ ٤٩٢ ، ولم ينسبه .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٠ ، والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن تفقد نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ للهدهد من تمام متابعته لجنده وتفقده لهم ، واستظهر هذا المعنى أبو حيان ٧/ ٦١ ، وردَّ ابن سعدي ٥/ ٥٧٠ القول بأن سبب تفقد الهدهد طلب الماء بأنه لا يدل عليه دليل ، بل الدليل العقلي =

وروي عن ابن عباس في سبب تفقُّد الطير أنها كانت تظله ، فوقعت نفحة من الشمس على رأسه ، فنظر وتفقَّد الطير ، فإذا موضع الهدهد خالٍ ، فذلك قوله : ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾[١] . قال أبو إسحاق : معناه : بل كان من الغائبين[٢] .

قال مقاتل : والميم هاهنا صلة[٣] كقوله : ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور :٤١ ، القلم :٤٧][٤] ، ونحو هذا قال الكسائي .

وقال المبرِّد : لَمَّا تفقَّد سليمان الطير ولم يرَ الهدهد قال : ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ على تقدير أنه مع جنوده وهو لا يراه ، ثم أدركه الشك ، فشك[٥] في غيبته عن ذلك الجمع حيث لم يره ، فقال[٦] : ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ ؛ أي بل أكان من الغائبين ، كأنه ترك الكلام الأول ، واستفهم عن حاله وغيبته .

= واللفظي دال على بطلانه ، ثم شرع في بيان ذلك ، ثم قال : فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء ، ولو بلغ في العمق ما بلغ ، وسخَّر له الريح غدوها شهر ، ورواحها شهر ، فكيف مع ذلك يحتاج إلى الهدهد . . . . والشاهد : أن تفقد سليمان ـعليه السلامـ للطير ، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه ، وتدبيره للملك بنفسه ، وكمال فطنته ، حتى تفقد هذا الطائر الصغير .

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٤ بنحوه ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦١ عن سفيان . قال ابن جرير : والله أعلم بأي ذلك كان ؛ إذ لم يأتنا بأيِّ ذلك كان تنزيل ، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٣ ، فأم منقطعة بمعنى بل .

(٣) أي حرف زائد ، فيكون المعنى على الاستفهام : أكان من الغائبين ؟ والظاهر في الآية أنها أم المنقطعة . وجزم بذلك الزمخشري ٣/ ٣٤٦ ، قال أبو حيان : والصحيح أن أم في هذا هي المنقطعة ؛ لأن شرط المتصلة تقدُّم همزة الاستفهام ، فلو تقدَّمها أداة الاستفهام غير الهمزة كانت أم منقطعة ، وهنا تقدَّم (ما) ففات شرط المتصلة ، وقيل : يحتمل أن تكون من المقلوب ، وتقديره : ما للهدهد لا أراه ، ولا ضرورة إلى ادِّعاء القلب . البحر المحيط ٧/ ٦٢ ، وتبعه في ذلك السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٥٩٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨أ . وذكره البغوي ٦/ ١٥٣ ، ولم ينسبه .

(٥) في نسخة (ج) : (فقال) .

(٦) (فقال) غير موجودة في (ج) .

وقال صاحب النظم : (كَانَ) هاهنا بمنزلة صار ، كقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾ [الأنفال :٦٧] ؛ أي أن يصير له أسرى ، والتأويل : صار من الغائبين ؛ أي صار ممن يغيب عن مركزه . انتهى كلامه .

وقال أبو علي : معنى ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ أخبروني عن الهدهد ، أحاضرٌ هو ﴿أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ [فعرفت الجملة لقوله : (أَمْ كَانَ)][1] ومثله قوله : ﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [ص :٦٣] ، وسنذكره في موضعه[2] . وقوله : ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الزمر :٩][3] . قال : وهذا قول أبي الحسن[4] ، وإنما قال : ﴿مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ ، ولم يقل : من الغائبة ؛ لوفاق رؤوس الآي[5] . ووجه جوازه : أن الطير من سليمان بمنزلة من يعقل ، حيث فهم عنها وفهمت عنه ، فهي عنده كبني آدم وغيرهم ممن يعقل ، فلمَّا كان عنده سواء قال : ﴿مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ ، ثم

---

(١) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٢) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ : قال أبو علي : في إلحاق همزة الاستفهام بعض البُعد ؛ لأنهم قد علموا أنهم اتخذوهم سخرياً ، فكيف يستقيم أن يستفهموا عن اتخاذهم سخرياً ، وقد علموا ذلك ، يدل على علمهم به أنه قد أخبر عنهم بذلك في قوله : ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ [المؤمنون :١١٠] ، فالجملة التي هي : ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ﴾ صفة للنكرة ، وهي قوله : ﴿رِجَالٗا﴾ ووجه قول من ألحق همزة الاستفهام أنه على التقرير لا على المعنى ، وذلك ليعادل قوله : ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ﴾ بـ (أم) في قوله : ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ٱسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [المنافقون :٦] ، وإن لم يكن استفهاماً في المعنى ، وكذلك قولهم : ما أبالي أزيد قائم أم عمرو ، فإن قلت : ما الجملة المعادلة بقوله : ﴿أَمۡ زَاغَتۡ﴾ فالقول فيه : أنها محذوفة المعنى : أمفقودون أم زاغت عنهم الأبصار ، وهذا كما ذكرنا في قوله تعالى : ﴿أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ [النمل :٢٠] .

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قُرِئ بالتخفيف والتشديد ، واختلف أهل المعاني في توجيه القراءتين ، واختار أبو عبيد التشديد ، قال : ومعناها عند أهل العلم : هذا أفضل أمَّن هو قانت على تأويل : أم الذي هو قانت . . . . وهذا قول أبي علي في وجه هذه القراءة وشرحه ، فقال : الجملة التي قد عادلت أم قد حذفت ، والمعنى : الجاحد الكافر خير أم الذي هو قانت ، ودل على الجملة المحذوفة المعادلة لـ (أم) ما جاء بعدُ من قوله سبحانه : ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ .

(٤) لم أجده في معاني القرآن للأخفش .

(٥) سبق الحديث عن هذه المسألة في تفسير الآية الرابعة من سورة الشعراء .

أوعده على غيبته فقال : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ .

٢١. ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ . قال ابن عباس : فتألى ليعذبنه ، قال : والله لأعذبنه عذاباً شديداً ، قال : يريد النتف ، نتف ريشه ، وهو أن ينتفه ثم يلقيه بالأرض ، فلا يمتنع من نملة ، ولا من شيء من هوام الأرض[١] . هذا قول ابن عباس في رواية عطاء ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، وهو قول جماعة المفسرين ، قالوا : تعذيبه إياه : نتفه وتشميسه[٢] .

وقال مقاتل : يعني : لأنتفن ريشه فلا يطير مع الطير حولاً[٣] .

قوله : ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ؛ أي بحجة بيِّنة في غيبته[٤] . وقرأ ابن كثير :﴿لَيَأْتِيَنِّى﴾ بنونين ، وكذلك في مصاحفهم ، وقرأ الباقون بنون واحدة مشددة ، وحذفوا النون الثانية التي قبل ياء المتكلم ؛ لاجتماع النونات ، وكذلك في مصاحفهم[٥] .

---

(١) تفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٠ من دون نسبة . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٢ عن قتادة ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٤ب ، واستظهر هذا القول البغوي ٦/ ١٥٣ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٠ عن مجاهد ، وعبدالله بن شداد . وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٩ عن ابن عباس ، وقتادة ، وعبدالله بن شداد ، وأخرجه ابن أبي شيبة عن عبدالله بن شداد ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٥ عن ابن عباس من طرق ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٢ عن ابن عباس ، وعبدالله بن شداد ، وقال به ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٨أ . قال ابن كثير : اختلف المفسرون فيه ، والمقصود حاصل على كل تقدير . البداية والنهاية ٢/ ٢١ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨أ ، وهود الهوَّاري ٣/ ٢٥٠ منسوباً إلى ابن عباس ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٣ غير منسوب . أخرج ابن جرير ١٩/ ١٤٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٣ عن ابن عباس : كل سلطان في القرآن فهو حجة .

(٥) السبعة في القراءات ٤٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٤٥ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٨ ، والحجة ٥/ ٣٨٠ ، والنشر ٢/ ٣٣٧ . =

قال صاحب النظم : قوله : ﴿لَيَأْتِيَنِّي﴾ ليست بموضع قسم ؛ لأنه عذر للهدهد في دفع الذبح والعذاب عنه ، فلم يكن ليقسم على أن يأتي بعذر ، ولكنه لَمَّا جاء بها في إثْر[١] ما يجوز فيه القَسَم أجراه مجراه ، كما تقول في باب المحاذاة والمعارضة[٢] ، ولو لم يجئ باللام لم يجز فيه النون ، فكان يكون : أو يأتيني ، على أن يكون (أَوْ) بمنزلة حتى ، أو على نظم[٣] : أو أن يأتيني ، وهذا شبيه بقوله عز وجل : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ [النساء : ٩٠] ، فاللام الأولى دخلت لـ (لو) ، والثانية على المحاذاة والمعارضة .

٢٢. وقوله : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ : قُرِئ بفتح الكاف[٤] . قال المبرِّد : يقال : مَكَث ومِكث ومُكُث ؛ فمن قال : مَكَث أو مِكث فالمضارع منه : يمكِث ، ومن قال : مُكُث فالمضارع منه : يمكُث ، واسم الفاعل من المفتوحة والمكسورة : ماكث ، ومن المضمومة : مكيث ، نحو : شَرُف فهو شريف ، وظَرُف فهو ظريف .

= قال الأزهري : من قرأ : بنونين ، ثقل النون للتأكيد ، وجاء بنون أخرى للإضافة . معاني القراءات ٢/ ٢٣٥ ، قال الداني : في مصاحف أهل مكة ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ بنونين ، وفي سائر المصاحف بنون واحدة . المقنع ١٠٦ .

(١) قال ابن السكيت : خرجت في أَثَره ، وإِثْره . وقال ابن الأعرابي : جاء في أَثَره ، وإِثْره . تهذيب اللغة (أثر) ١٥/ ١٢١ .

(٢) يعني : أن اللام لَمَّا دخلت على : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ و﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ لكونها في موضع قسم دخلت على : ﴿لَيَأْتِيَنِّي﴾ من باب : المحاذاة والمعارضة ، والله تعالى أعلم .

(٣) في نسخة (ج) : (وزن) .

(٤) قرأ عاصم وحده بفتح الكاف ، وقرأ الباقون بضم الكاف . انظر السبعة في القراءات ٤٨٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٤٦ ، وفيه اختار ابن خالويه الفتح ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨١ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٧ . قال ابن جرير ١٩/ ١٤٧ : هما لغتان مشهورتان ، وإن كان الضم فيها أعجب إليَّ ؛ لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما ، وقال الأزهري : ضم الكاف أكثر في كلام العرب .

قال أبو علي : ومما يقوِّي الفتح قوله تعالى : ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف :٧٧] ، وقوله : ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف :٣] ، فماكثون تدلك على : مَكَث ، ألا ترى أنك لا تكاد تجد فاعلاً من فعُل[١] .

قال ابن عباس : يريد : لم يلبث إلا يسيراً[٢] .

قال الفرَّاء : ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ غير طويل من الإقامة ، والبعيد والطويل متقاربان[٣] . وقال الزَّجَّاج : أي غير وقت بعيد[٤] .

وقوله : ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾[٥] . قال صاحب النظم : فيه محذوف على تقدير : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ حتى جاء (فَقَالَ)[٦] .

وقال الزَّجَّاج : المعنى : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ، فجاء الهدهد فسأله سليمان عن غيبته ، فقال : ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ وحذف هذا ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه . ومعنى : (أَحَطتُ) علمتُ شيئاً من جميع جهاته[٧] .

قال ابن عباس : فأتاه الهدهد بحجة ، فقال : اطَّلعتُ على ما لم تَطَّلِع عليه[٨] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨١ ، قال النحاس : سمعت علي بن سليمان يقول : الدليل على أن : مكَث أفصح قولهم : ماكث ، ولا يقولون : مَكِثٌ . إعراب القرآن ٣/ ٢٠٣ ، قال الأزهري : وكان أبو حاتم يختار النصب ؛ لأنه قياس العربية ، ألا ترى أنه يقال : فهو ماكث ، ولا يقال : مكيث . معاني القراءات ٢/ ٢٣٥ .

(٢) تنوير المقباس :٣١٧ بمعناه .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٩ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٣ .

(٥) في هذه الآية ردٌّ على مَن قال : إن الأنبياء تعلم الغيب . إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٠٣ .

(٦) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٩٣ من دون نسبة .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٤ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٢٠١ من دون نسبة .

(٨) تفسير الماوردي ٤/ ٢٠١ .

وقال مقاتل : علمتُ ما لم تعلم ، يقول : جئتك بأمر لم تخبرك به الجنُّ ، ولم تعلم به الإنس ، وبلغتُ ما لم تبلغه أنت ولا جنودك[١] .

قوله تعالى : ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[٢] : قُرِئ : ﴿مِن سَبَإٍ﴾ بالإجراء والتنوين ، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو غير مجري[٣] .

قال الفرَّاء : من أجرى فلأنه في ما ذكروا : رجل . قال : وسُئل أبو عمرو عن قراءته بغير إجراء ، فقال : لست أدري ما هو ، قال : وقد ذهب مذهباً إذ لم يدر ما هو فلمَ يُجره[٤] ؛ لأن العرب إذا سمَّت بالاسم المجهول تركوا إجراءه ، كما قال الأعشى :

وتُدفنُ منْهُ الصَّالحاتُ وإنْ يُسِئْ يَكُنْ ما أساءَ النَّارَ في رأسٍ كَبْكَبَا

فكأنه جهل كبكب[٥] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٨ أ . وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٤ عن قتادة .

(٢) سبأ : بفتح أوله وثانيه : أرض باليمن مدينتها مأرب ، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام ، وسُمِّيت بهذا لأنها كانت منزل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . معجم البلدان ٣/ ٢٠٣ ، وهي تقع شمال شرق صنعاء .

(٣) السبعة في القراءات ٤٨٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٤٧ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٢ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٧ ، وقد صوَّب القراءتين ابن جرير ١٩/ ١٤٧ ، ومعنى غير مجري ؛ أي غير مجرور ، فهو ممنوع من الصرف .

(٤) اعترض النحاس على كلام الفرَّاء عن قول أبي عمرو ، فقال : أبو عمرو أَجَلُّ من أن يقول مثل هذا ، وليس في حكاية الزُّؤاسي عنه دليل أنه إنما منعه من الصرف لأنه لم يعرفه ، وإنما قال : لا أعرفه ، ولو سُئل نحوي عن اسم فقال : لا أعرفه ، لم يكن في هذا دليل على أنه يمنعه من الصرف ، بل الحق على غير هذا ، والواجب إذا لم تعرفه أن تصرفه ؛ لأن أصل الأسماء الصرف . إعراب القرآن ٣/ ٢٠٤ .

(٥) أنشده مع بيت قبله ، ونسبه سيبويه في الكتاب ٣/ ٩٣ ، وأنشده كذلك الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٩٠ ، وعن الفرَّاء ذكره النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٠٤ ، والبيت في شرح ديوان الأعشى ٤٠ ، من قصيدة يهجو فيها عمرو بن المنذر بن عبدان . وفي حاشية الكتاب : كبكب : اسم جبل بمكة ، والنار في رأس الجبل أظهر وأشهر ؛ أي من اغترب عن قومه جرى عليه الظلم فاحتمله لعدم ناصره ، وأخفى الناس حسناته ، وأظهروا سيئاته .

وقال الكسائي : من جعله اسم ذكر ؛ رجلٍ أو غيره أجراه ، ومن جعله اسماً مؤنثاً : قبيلة ، أو مدينة ، أو مكاناً لم يجره[١] .

وأنكر أبو إسحاق على الفرَّاء قولَه : الاسم إذا لم يُدرَ ما هو لم يُصرف ، فقال : الأسماء حقها الصرف فإذا لم يعلم الاسم لمذكرٍ هو أم لمؤنثٍ فحقه الصرف حتى يُعلم أنه لا ينصرف ؛ لأن أصل الأسماء الصرف ، فكل ما لا ينصرف فهو يُصرف في الشعر .

قال : ومن قال : إن سبأ اسم رجل فغلط ؛ لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب من اليمن ، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام . فمَن لم يصرف فلأنه اسم مدينة ، ومن صرف والصرف أكثر ؛ فلأنه اسمٌ للبلد فيكون مُذَكَّراً سُمِّيَ به مُذكَّر[٢] .

والذي قاله أبو إسحاق من أنه اسم مدينة ، قول بعض المفسرين[٣] ، وبه قال مقاتل ؛ لأنه قال : يعني من أرض سبأ باليمن[٤] .

وظاهر هذا القول أنه أراد مدينة ، مع احتمال أن سبأ اسم القبيلة أضاف الأرض إليهم . وكثير من الناس ذهبوا إلى أن سبأ اسم رجل .

---

(١) ذكر هذا سيبويه في الكتاب ٣/ ٢٥٢ ، فقال : فأمَّا ثمود وسبأ فهما مرة للقبيلتين ، ومرة للحيين . قال ابن الأنباري : من قرأ بالصرف جعله اسماً للحي أو للأب ، ومن قرأ بترك الصرف جعله اسماً لقبيلة أو بلدة ، فلم يصرف للتعريف والتأنيث . البيان ٢/ ٢٢١ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٤ .

(٣) تفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٠ ، ولم ينسبه .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨أ . واقتصر عليه في الوجيز ٢/ ٨٠٢ .

رُوي في الخبر أن النبي ﷺ سُئل عن سبأ ، فقال : «كان رجلاً له عشرة من البنين» الحديث[١] .

وقال أبو الحسن[٢] في سبأ : إن شئت صرفت فجعلته اسم أبيهم ، أو اسم الحي ، وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة ، قال : والصرف أعجب إليَّ ؛ لأني قد عرفت أنه اسم أبيهم ، وإن كان اسم الأب يصير كالقبيلة ، إلا أني أحمله على الأصل[٣] .

وقال غيره : هو اسم رجل ، واليمانية كلها تنسب إليه ، يقولون : سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان[٤] . فبان بما ذكرنا أن إنكار أبي إسحاق على من قال : سبأ : اسم رجل ، لا يتوجه .

---

(١) ذكره الهوَّاري ٣/ ٢٥٠ ، ولفظه : (سُئل رسول الله ﷺ عن سبأ ، أرجل هو أم امرأة ، أم أرض . فقال : بل هو رجل ، ولَدَ عشرة ، فباليمن منهم ستة ، وبالشام أربعة ، ثم ذكر أسماءهم) ، وأخرجه بسنده ابن جرير في تفسير سورة سبأ ٢٢/ ٧٦ ، وأخرجه بسنده الأزهري في معاني القراءات ٢/ ٢٣٧ ، وقال : إسناد الحديث حسن ، وهو يدل على أن إجراء سبأ أصوب القراءتين . والحديث أخرجه الترمذي ٥/ ٣٣٦ ، كتاب : تفسير القرآن ، رقم ٣٢٢٢ ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٦٠ ، كتاب : التفسير ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وهو في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٩٦ ، رقم ٢٥٧٤ .

(٢) نص ابن الجوزي ٦/ ١٦٥ على أنه الأخفش ، لكني لم أجد هذا القول في كتابه المعاني في هذه السورة ، ولا في سورة سبأ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٢ منسوباً إلى أبي الحسن . قال الشوكاني ٤/ ١٢٨ : أقول : لا شك أن سبأ اسم مدينة باليمن كانت فيها بلقيس ، وهو أيضاً اسم رجل من قحطان ، وهو : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود ، ولكن المراد هنا : أن الهدهد جاء إلى سليمان بخبر ما عاينه في مدينة سبأ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٢ ، ولم يسمِّ القائل . وهذا النسب ذكره النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٠٥ .

قال الأزهري : سبأ : اسم رجل ولَدَ عشرة بنين ، فسُمِّيت القرية باسم أبيهم[١] . وفي هذا بيان أن القرية إن سُمِّيت سبأ فهي مسماة باسم رجل ، نحو : مدين سُمِّيت باسم مدين بن إبراهيم ، والعرب قد تكلمت بالإجراء وغير الإجراء في : (سبأ) .قال جرير :

الواردونَ وتيمٌ في ذُرَى سبإٍ[٢]

فأجرى ، وقال آخر :

مِنْ سبأَ الحاضرينَ مَأربَ إذْ يَبْنُونَ منْ دونَ سيلِهِ العَرِمَا[٣]

(١) تهذيب اللغة (سبأ) ١٣/ ١٠٦ ، وصدَّره بـ : قيل ، ولم ينسبه .

(٢) أنشده كاملاً الفرَّاء ٢/ ٢٩٠ ، ولم ينسبه ، وعجزه :

قدْ عضَّ أعناقَهُمْ جِلدُ الجواميسِ

وهو في ديوان جرير ٢٥٢ من قصيدة طويلة يهجو فيها التيم ، ورواية البيت في الديوان :

تدعُوكَ تيمٌ وتيمٌ في ذرَى سبإٍ قدْ عضَّ أعناقَهُمْ جِلْدُ الجواميسِ

وفي حاشية الديوان : أراد أنهم أسرى ، وفي أعناقهم أطواق من جلد الجواميس .

(٣) أنشده ولم ينسبه سيبويه ٣/ ٢٥٣ ، والزَّجَّاج ٤/ ١١٤ ، وابن الأنباري في الإنصاف ٢/ ٥٠٢ . والشاهد فيه : ترك صرف سبأ ، على معنى القبيلة . حاشية الكتاب ٣/ ٢٥٣ ، وأنشده النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٠٤ ، ونسبه إلى النابغة الجعدي ، وهو في ديوانه ١٣٤ من قصيدة طويلة مطلعها :

الحمدُ لله لا شريكَ لهُ مَنْ لمْ يقُلْها فنفسَهُ ظَلَمَا

يذكر في هذه القصيدة ضروباً من دلائل التوحيد ، والإقرار بالبعث والجزاء ، والجنة والنار ، وصفةِ بعض ذلك على نحو شعر أمية بن أبي الصلت ، وقد قيل : إن هذه القصيدة لأمية بن أبي الصلت ، ولكنه قد صحَّحه يونس بن حبيب ، وحمادٌ الراوية ، ومحمد بن سلام ، وعلي بن سليمان الأخفش للنابغة الجعدي . خزانة الأدب ٣/ ١٧٢ ، والبيت في ديوان أمية بن أبي الصلت ١٩٠ .

وقوله : ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ . قال ابن عباس : بخبر صادق[١] .

وقال مقاتل : بحديث حق لا شك فيه . فقال سليمان : وما ذاك ؟ فقال الهدهد[٢] :

٢٣. ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ . قال مقاتل : يعني تملك أهل سبأ[٣] .
﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يريد من زينة الدنيا من المال والجنود والعلم[٤] .

والمعنى : ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يؤتاه مثلها[٥] . قال أبو علي : أي ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ في زمانها فحذف المفعول لدلالة الإيتاء عليه[٦] . ويجوز في قياس أبي الحسن أن يكون المعنى : وأوتيت كلَّ شيء ، ولا يجوز في قياس قول سيبويه[٧] .

---

(١) تفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٠ بلفظ : (بخبر يقين) . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٥ بلفظ : (خبر حق) .

(٢) تفسير مقاتل ٥٨أ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٨أ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨أ .
وأخرج ابن جرير ١٩/ ١٤٨ عن الحسن : من كل أمر الدنيا ، ونسبه في الوسيط ٣/ ٣٧٥ إلى عطاء . وذكر البغوي ٦/ ١٤٩ عن ابن عباس : من أمر الدنيا والآخرة . وفي تنوير المقباس ٣١٧ : أعطيت علم كل شيء في بلدها .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١١ .

(٦) المفعول المحذوف تقديره : وأوتيت من كل شيء شيئاً يؤتاه مثلها .

(٧) يعني الواحدي بذلك الخلاف في : ﴿مِّن﴾ هل هي زائدة للتوكيد ، كما هو رأي أبي الحسن الأخفش حيث يرى أن : (مِن) تزاد في الإيجاب مطلقاً ، كقوله تعالى : ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران :٨١] ، قال : ﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾ تريد : لما آتيتكم كتابٌ وحكمةٌ ، وتكون : (من) زائدة . معاني القرآن ١/ ٤١٣ .
كتبن بالرفع : كتاب وحكمة . وذكر رأي أبي الحسن الأخفش ، أبو البركات الأنباري . البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٣٢٠ ، وأمَّا سيبويه فهو يرى أن (مِن) لا تزاد إلا إذا كان مجرورها نكرة في سياق نفي ، أو نهي ، أو استفهام . الكتاب ١/ ٣٨ . =

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد : سريراً من ذهب تجلس عليه ، طوله ثمانون ذراعاً ، وعرضه أربعون ذراعاً ، وارتفاعه في السماء ثلاثون ذراعاً ، مضروب بالذهب ، مكلَّل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ، قوائمه من زبرجد أخضر (١) .

وقال مقاتل : كان عرشها ثمانون ذراعاً في ثمانين ذراعاً ، وارتفاع السرير من الأرض ثمانون ذراعاً مكلل بالجوهر (٢) .

٢٤. وقوله تعالى : ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ، وتفسيرها ظاهر .

= وذكر هذه المسألة بالتفصيل عبدالفتاح الحموز في رسالته للدكتوراه : التأويل النحوي في القرآن الكريم ٢/ ١٢٩٢ ، وذكرها أيضاً صالح بن إبراهيم الفراج في رسالته للدكتوراه : الواحدي النحوي من خلال كتابه البسيط ٢/ ٤٢٥ .

(١) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٥ عن عطاء . وذكر هذا التفصيل وزاد عليه الثعلبي ٨/ ١٢٧أ ، والبغوي ٦/ ١٥٦ .

وتفسير العرش بأنه السرير ذكره البخاري عن ابن عباس ، ولفظه : ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ سرير ﴿كَرِيمٌ﴾ حُسنُ الصنعة ، وغلاء الثمن . فتح الباري ٨/ ٥٠٤ . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٨ بلفظ : (عرشها : سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ) ، وكذا عند ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٦ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٨أ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٧ عن زهير بن محمد : سرير من ذهب ، وصفحتاه مرمول بالياقوت ، والزبرجد ، طوله ثمانون ذراعاً في أربعين عرضاً . وهذا التفصيل مما لم يثبت ، ولا فائدة في معرفته ، فالأَوْلى تركه ، والله أعلم . قال ابن عطية ١١/ ١٩٣ عن ملكة سبأ : وأكثر بعض الناس في قصصها بما رأيت اختصاره لعدم صحته ، وإنما اللازم من الآية أنها مختصة بامرأة مُلِّكت على مدائن اليمن ، وكانت ذات ملك عظيم ، وكانت كافرة من قوم كفار .

٢٥. وقوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: قُرِئ بالتشديد والتخفيف[١]؛ فمَنْ شدَّد فتقديرها: فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا، وهذا قول الزَّجَّاج[٢].

ويجوز أن يُعلق: أنْ بزين، كأنه زين لهم الشيطان لئلَّا يسجدوا، وهذا قول الفرَّاء[٣].

واللام في الوجهين داخلة على مفعول له ثم حذفت، وموضع أن نصب بقوله: ﴿فَصَدَّهُمْ﴾، ويجوز أن يكون موضعها خفضاً، ولو حذفت اللام. والوجه: قراءة من قرأ بالتشديد لتجري القصة على سَنَنِها، ولا يفصل بين بعضها وبعضٍ بما ليس منها، وإن كان الفصل بهذا النحو غير ممتنع؛ لأنه يجري مجرى الاعتراض، وما يسدد القصة، وكأنه لما قيل: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾، فدل هذا الكلام على أنهم لا يسجدون لله، ولا يتدينون بدين. قال الهدهد: ألا يا قوم، أو يا مسلمون اسجدوا لله الذي خلق السموات والأرض، خلافاً عليهم[٤]، وحمداً لله لمكان ما هداكم لتوحيده، فلم تكونوا مثلهم في الطغيان والكفر.

---

(١) كلهم شدَّد اللام، غير الكسائي. السبعة في القراءات ٤٨٠، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٤٨، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٩، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٣، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٧.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٥، وذكره أبو علي في الحجة ٥/ ٣٨٣ من دون نسبة.

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٠، ولفظه: (زين لهم الشيطان ألا يسجدوا)، وهو قول الأخفش ٢/ ٦٤٩، وذكره أبو علي غير منسوب في الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٣، قال ابن كثير ٦/ ١٨٨: ولمَّا كان الهدهد داعياً إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له نُهي عن قتله. ثم ساق حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ النبي ﷺ: «نَهَى عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ: النَّمْلَةُ وَالنَّحْلَةُ وَالْهُدْهُدُ وَالصُّرَدُ». أخرجه أبو داود ٥/ ٤١٨، كتاب: الأدب، رقم ٥٢٦٧، وابن ماجه ٢/ ١٠٧٤، كتاب: الصيد، رقم ٣٢٢٣، وصحَّحه الألباني، صحيح أبي داود ٣/ ٩٨٨، رقم ٤٣٨٧.

(٤) المعنى والله أعلم: لمخالفتكم لهم في عبادتهم، فاحمدوا الله.

ووجه دخول حرف التنبيه على الأمر أنه موضع يُحتاج فيه إلى استعطاف المأمور، لتأكيد ما يؤمر به عليه، كما أن النداء موضع يُحتاج فيه إلى استعطاف المنادى، لما ينادى له من إخبار، أو أمر، أو نهي، ونحو ذلك مما يخاطب به، وإذا كان كذلك فقد يجوز أن لا يريد منادى في نحو قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾، ويجوز أن يراد بعد يا: مأمورون، فحذفوا كما حذف من قوله:

يا لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهِم والصَّالحينَ عَلى سمعانَ مِنْ جَارِ[1]

وكما أن (يا) هنا لا تكون إلا لغير اللعنة، كأنه قال: يا قوم أو يا هؤلاء، كذلك في الآية يجوز أن يكون المأمورون مرادِين، وحُذفوا من اللفظ، وقد جاء هذا في غير موضع من الشعر، فمِن ذلك ما أنشده أبو زيد:

وقالتْ ألا يا اسمعْ نَعِظْكَ بِخُطَّةٍ فقلتُ سمِعْنَا فانطُقِي وأصيبِي[2]

قال الفرَّاء: من قرأ بالتخفيف فهو على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فيُضمر: هؤلاء، ويُكتفى منها بقوله: يا، وأنشد للأخطل:

أَلَا يا اسلمِي يا هندُ هندَ بني بدرِ وإنْ كانَ حيَّانا عِدَىً آخرَ الدَّهرِ[3]

---

(١) أنشده سيبويه ٢/ ٢١٩، ولم ينسبه. وفي الحاشية: البيت من شواهد سيبويه التي لم يعرف قائلها. والشاهد فيه: حذف المدعو لدلالة حرف النداء عليه، والمعنى: يا قوم، أو يا هؤلاء، لعنة الله على سمعان، ولذا رفع: لعنة بالابتداء، ولو أوقع النداء عليها لنصبها. وأنشده المبرِّد في الكامل ٣/ ١١٩٩، وأبو علي في الحجة ٥/ ٣٨٤، وأبو القاسم الزَّجَّاجي في كتابه اشتقاق أسماء الله ١٦٦، والنحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٠٧، وابن الأنباري في الإنصاف ١/ ١١٨، ولم ينسبوه، وكذا البغدادي في الخزانة ١١/ ١٩٧. وفي الحاشية: البيت مجهول القائل.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٣-٣٨٥ من قوله: (واللام في الوجهين) بتصرف يسير. وذكر البيت من إنشاد أبي زيد، وهو في كتاب النوادر في اللغة ٢٢ منسوباً إلى النمر بن تَوْلَب. وأنشده ابن الأنباري في الإنصاف ١/ ١٠٢. وفي الحاشية: الخطة: شبه القصة. وأنشده أبو حيان ٧/ ٦٦ بلفظ: (بخطبة)، وكذا في الدر المصون ٨/ ٦٠١.

(٣) أنشده الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٩٠، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٩٤، والزَّجَّاج في معاني القرآن ٤/ ١١٥، ونسبوه إلى الأخطل. العدى: التباعد، يخاطب صاحبته هنداً، ويرجو لها السلامة، =

وقال أبو إسحاق : من قرأ بالتخفيف ، فـ (أَلا) لابتداء الكلام والتنبيه ، والوقف عليه : ألا يا ، ثم يستأنف فيقول : ﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾[١] ، ومثله : قول ذي الرمَّة :

أَلَا يا اسلمِي يا دارَ ميَّ عَلَى البِلَى ولَا زالَ مُنْهلًّا بجَرعائكِ القطرُ[٢]

وقال العجاج :

يا دارَ سَلْمَى يا اسلمِي ثُمَّ اسلَمِي عنْ سَمْسَمٍ وعنْ يمينِ سَمْسَمِ[٣]

قال : وإنما أكثرنا الشاهد في هذا الحرف كما فعل مَنْ قبلنا ، وإنما فعلوا ذلك لقلة اعتياد العامَّة لدخول : ياء ، إلا في النداء ، لا تكاد تقول العامَّة : يا اذهب بسلام[٤] .

= وينسبها إلى بني قومها ، ويقول : إنه يأمل أن يقيما على المودة بالرغم من الجفاء بين قوميهما . شرح ديوان الأخطل ١٥٠ ، وذكر ابن قتيبة هذا القول في تأويل مشكل القرآن ٢٢٣ ، ٣٠٦ من دون ذكر البيت .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٥ . وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٩٣ ، وهود الهوَّاري ٣/ ٢٥١ ، وأشار إلى هذا القول سيبويه في الكتاب ٣/ ٥٤٥ ، قال : وإنما حذفت الهمزة هاهنا ؛ لأنك لم ترد أن تتم ، وأردت إخفاء الصوت ، فلم يكن ليلتقي ساكن وحرفٌ هذه قصته كما لم يكن ليلتقي ساكنان .

(٢) أنشده أبو عبيدة في المجاز ٢/ ٩٤ ، والزَّجَّاج ٤/ ١١٥ ، ونسباه إلى ذي الرمة . وهو في ديوانه ٢٠٢ ، وفي شرحه : الانهلال : شدة الصب ، والجرعاء من الرمل : رابية سهلة لينة .

(٣) أنشد أبو عبيدة الشطر الأول منه ، ونسبه إلى العجاج في مجاز القرآن ٢/ ٩٤ ، وكذا ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٢٣ غير منسوب ، وأنشده الزَّجَّاج ٤/ ١١٥ ، ونسبه إلى العجاج ، وأنشده ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٤٨ من دون نسبة ، وهو في ديوان العجاج ٢٣٤ بلفظ :

بسمسمٍ أوْ عنْ يمينِ سمسمٍ

وفي النسخ الثلاث : عنْ سمسمٍ أوْ عنْ يمينِ سمسمٍ .

وقال محقق الديوان : سمسم : بلد من شق بلاد تميم ، أو كثبان رمل .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٥ .

وقال أبو علي : ومما يؤكد قول من قال : (أَلَّا) مثقلة أنها لو كانت مخففة ما كتبت في (يسجدوا) ؛ لأنها : اسجدوا ، ففي ثبات الياء في : يسجدوا في المصحف دلالة على التشديد ، وأن المعنى : أن لا يسجدوا ؛ فانتصب الفعل بأن ، وثبتت ياء المضارعة في أول الفعل[١] .

وذكر صاحب النظم وجهين آخرين للقراءتين ، فقال في قراءة العامَّة بالتشديد : إنه متصل بما قبله ؛ لأن قوله : ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾ واقع على قوله : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ على تأويل : فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله ؛ أي لا يعلمون أن ذلك واجب عليهم ، و(لا) : زيادة ، كما قال : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف :١٢] ؛ أي ما منعك أن تسجد .

قال : ومن قرأ بالتخفيف فما قبله تمام ، وقوله : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ كلام معترض من غير القصة الماضية ؛ إمَّا من سليمان ، وإمَّا من الهدهد[٢] ، وهو أمر على غير المواجهة كما تقول : لِيُضرب فلان ، قال الله تعالى : ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس :٥٨] ، ومنه قوله عز وجل : ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية :١٤] ، وقد قيل فيه : إنه أمر على تأويل : ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ اغفروا أو ليغفروا ، وعلى هذا التوجيه لا يتأتَّى الترجيح الذي ذكره أبو علي : القراءة التشديد ، غير أن الظاهر ما قال هو .

وقال الفرَّاء والزَّجَّاج : من قرأ بالتخفيف فهو في موضع سجدة من القرآن ، ومن قرأ بالتشديد فليس بموضع سجدة ، هذا قولهما[٣] ! وأهل العلم على أن

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٥ .

(٢) ذكر هذا القول القرطبي ١٣/ ١٨٧ ، ونسبه إلى الجرجاني ، ورجح ابن عطية أن يكون الكلام المعترض من قول الله تعالى ؛ لأنه اعتراض بين كلامين ، قال : وهو الثابت مع التأمل .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٠ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٥ ، ونقد هذا القول الزمخشري ٣/ ٣٥١ ؛ فقد قال : لأن موضع السجدة إمَّا أمر بها ، أو مدح لمن أتى بها ، أو ذم لمن تركها ، وإحدى =

هاهنا سجدة على القراءتين بلا خلاف بينهم في ذلك ؛ لأن التشديد يتضمن مذمتهم على ترك السجود لله[١] .

ويحسن السجود في مثل هذا الموضع ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾[الانشقاق :٢١] .

وقال أبو عبيد : من قرأ بالتخفيف جعله أمراً من الله مستأنفاً بمعنى : ألا يا أيها الناس اسجدوا ، وهذا وجه حسن إلا أن فيه انقطاع الخبر الذي كان من أمر سبأ وقومها ، ثم رجع بَعدُ إلى ذكرهم ، والقراءة الأولى خبرٌ يتبع بعضه بعضاً ، لا انقطاع في وسطه[٢] .

ويدل على ما قال أبو عبيد ، ما روى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ : قال الله تعالى : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ ، فجعل هذا إخباراً عن الله ومن قوله .

= القراءتين أمر بالسجود ، والأخرى ذم للتارك . . . . وما ذكره الزَّجَّاج من وجوب السجدة مع التخفيف من دون التشديد ، فغير مرجوع إليه .

(١) سجدة سورة النمل ثابتة لا خلاف فيها كما ذكر الواحدي ، وحكى ابن حزم اتفاق أهل العلم على ذلك . مراتب الإجماع لابن حزم ٣١ ، وأخرج السجدة فيها بسنده عبدالرزاق عن ابن عباس ، وابن عمر . المصنف لعبدالرزاق الصنعاني ٣/ ٣٣٥ ، وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز : إسناد عبدالرزاق جيد . التبيان في سجدات القرآن ٦٩ .

وموضع السجدة بعد قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾ عند الحنفية ، والمالكية ، والشافعية والحنابلة . بدائع الصنائع ١/ ١٩٣ ، وحاشية الدسوقي ١/ ٣٠٧ ، والحاوي الكبير للماوردي ٢/ ٢٠٢ ، والمغني لابن قدامة ٢/ ٣٥٧ ، لكن أشار في المجموع ٣/ ٥١٠ إلى الخلاف في موضع السجدة ، فقال : وشذَّ العبدري من أصحابنا فقال في كتابه الكفاية هي عند قوله : ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ : قال : هذا مذهبنا ، ومذهب أكثر الفقهاء . . . . وهذا الذي ادَّعاه العبدري ونقله عن مذهبنا باطل مردود ، والله أعلم . وبحثت عن هذه المسألة في كتاب الأم للشافعي فلم أجدها ، والله أعلم .

(٢) ذكره عن أبي عبيد القرطبي ١٣/ ١٨٦ .

وقولـه : ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ : يقال : خبـأت الشيء أخبؤه خبئاً . والخبء : ما خبأتَ من ذخيرة ليوم ما ، وكل ما خبأته فهو خبء[١] .

قال مجاهد ومقاتل : يعني الغيث في السماوات والأرض[٢] .

وقال الزَّجَّاج : وجاء في التفسير أن الخبء هاهنا : القطر من السماء ، والنبات من الأرض[٣] ، قال : ويجوز وهو الوجه أن الخبء : كل ما غاب ، فيكون المعنى : يعلم الغيب في السماوات والأرض[٤] .

وذكر الفـرَّاء القولين أيضاً ، وقال : وهي في قـراءة عبدالله : ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، قـال : وصلحـت : (في) مكان : (مـن) ؛ لأنك تقول : لأستخرجن العلم فيكم ، تريد : لأستخرجن العلم الذي فيكم منكم ، ثم تحذف أيهما شئت ، أعني : (مِنْ) ، و(في) ، فيكون المعنى قائماً على حاله[٥] .

وقوله تعـالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ : قراءة الناس بالياء ؛ لأن الكلام على الغيبة ، وهو قوله : ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ ، وهو

(١) العين (خبأ) ٤/ ٣١٥ . ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٧/ ٦٠٣ .

(٢) تفسـير مجاهد ٢/ ٤٧١ ، وتفسـير مقاتل ٥٨أ . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٠ عن مجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٨ عن مجاهد ، وسعيد بن المسيب .

(٣) وهـو قول ابن زيد ، أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٠ ، وابـن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٨ ، وقال به ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٣ .

(٤) معـاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٦ ، أخرج ابن أبي حاتـم ٩/ ٢٨٦٨ عن ابن عباس : يعلم كل خفية في السموات والأرض ، وأخرج عبدالرزاق ٢/ ٨١ عن قتادة : ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ ، قال : هو السر ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٨ عن عكرمة ، وذكره الهوَّاري ٣/ ٢٥١ ، ولم ينسبه .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩١ .

يعلم الغيب ، وما يخفون وما يعلنون . وقرأ الكسائي وحفص بالتاء[١] ، أمَّا الكسائي فإن الكلام دخله خطاب على قراءته : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ بالتخفيف[٢] .

والمعنى : اسجدوا لله الذي يعلم ما تخفون . ورواية أبي بكر عن عاصم بالياء أشبه بقراءته من رواية حفص ؛ لأنه غيبةٌ مع غيبةٍ[٣] .

قال مقاتل : (مَا يُخْفُونَ) في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم[٤] .

٢٦. وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩﴾ ؛ أي هو الذي يستحق العبادة لا غيره ، و﴿هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ لا ملكة سبأ ؛ لأن عرشها وإن كان عظيماً لا يبلغ عرش الله في العِظَم[٥] .

قال ابن إسحاق وابن زيد : من قوله : ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ إلى منتهى هذه الآية ، من كلام الهدهد[٦] . والسجود على مذهب الشافعي -رضي الله عنه- يكون عقيب هذه الآية .

---

(١) قرأ الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء فيهما ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم بالياء فيهما . انظر السبعة في القراءات ٤٨١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٤٩ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٥ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٧ .

(٢) قال الكسائي : ما كنت أسمع المشيخة يقرؤونها إلا بالتخفيف على نية الأمر . معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٠ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٥ باختصار .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨أ . وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٩ عن ابن عباس ، يعلم ما عملوا بالليل والنهار . وعن الحسن : في ظلمة الليل ، وفي أجواف بيوتهم .

(٥) بنصه في تفسير الوسيط للواحدي ٣/ ٣٧٦ ، ولم ينسبه . والأَوْلى جعل الآية عامة ، قال ابن كثير : أي له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات . البداية والنهاية :٢/ ٢٢ .

(٦) أخرجه عنهما ابن جرير ١٩/ ١٥١ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٧ب .

٢٧. قوله : ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ . قال سليمان للهدهد : سننظر في ما أخبرتنا من هذه القصة ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيمَ قلت ﴿أَمْ كُنتَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل وصاحب النظم : يعني : أم أنت من الكاذبين[١] . والكلام في الكاذبين في مخاطبة الطير كالكلام في قوله : ﴿مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ ، وقد مرَّ[٢] .

٢٨. قوله : ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ . قال مقاتل : كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى الهدهد ، وقال له : ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ يعني : أهل سبأ[٣] .

وفي قوله : (أَلْقِهِ) أوجه من القراءة ؛ أجودها : وصل الهاء بالياء : (فَأَلْقِهِي)[٤] ، وترك وصله بالياء إنما يكون في الشعر ، كقوله :

ما حجَّ ربُّهُ في الدُّنيا ولا اعتمرا[٥]

---

(١) تفسير مقاتل ٥٨ب .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل :٢٠] .

(٣) تفسير مقاتل ٥٨ب .

(٤) في قوله تعالى : ﴿فَأَلْقِهْ﴾ ثلاث قراءات :
١ ـ إسكان الهاء ، قرأ بها حمزة وعاصم وأبو عمرو .
٢ ـ كسر الهاء من غير ياء ، قرأ بها نافع في رواية قالون .
٣ ـ كسر الهاء ووصلها بالياء ، قرأ بها ابن كثير والكسائي وابن عامر وورش عن نافع .
السبعة في القراءات ٤٨١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٥٠ ، وجود كسر الهاء مع الياء . معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٦ ، واختارها الأزهري في معاني القراءات ٢/ ٢٤١ ، وقال السمرقندي في تفسيره ٢/ ٤٩٤ : والقراءة بالياء أوسع اللغتين ، وأكثر استعمالاً .

(٥) عجز بيت ذكره أبو علي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٧ ، ولم ينسبه ، وصدره :
أوْ مُعْبَرُ الظَّهرِ يُنبي عنْ وَليَّته
وهو من شواهد سيبويه ، ونسبه إلى رجل من باهلة . وذكره المبرِّد وابن الأنباري ، ولم ينسباه . والشاعر يصف لصاً يتمنى سرقة بعير لم يستعمله صاحبه في سفر لحج أو عمرة . معبر الظهر : كثير الشعر في امتلاء ، والوليـة : البرذعة ، ومعنى : ينبي عن وليته : يجعلها تنبو عنه لسمنه . الكتاب ١/ ٣٠ ، والإنصاف ٢/ ٥١٦ ، والمقتضب ١/ ٣٨ . وفي الحاشية : البرذعة والبردعة ، بالذال والدال : الحِلس =

وأنشد الزَّجَّاج :

سأجعلُ عينَيهِ لنفْسِهِ مَقْنَعا[١]

قال : ولو قال : لنفسهي ، لكسر الشعر ولكنه ترك الياء وأبقى الكسرة لإقامة الوزن ، وأكثر ما يقع هذا في الشعر .

ومن أسكن الهاء فغالط ؛ لأن الهاء ليست مجزومة ، وليس له وجه من القياس ؛ لأنه يُجري الهاء في الوصل على حالها في الوقف[٢] ، وزعم الأخفش أن هذا لغة كقوله :

. . .مشتاقانِ لَهْ أَرِقان[٣]

= الذي يُلقى تحت الرحل . تهذيب اللغة (برذع) ٣/ ٣٥٧ ، ولسان العرب ٨/ ٨ ، وفي المعجم الوسيط ١/ ٤٨ : ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه كالسرج للفرس .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٧ ، ولم ينسبه ، وصدره :

فإنْ يكُ غثّاً أوْ سميناً فإنَّني

ونسبه سيبويه ١/ ٢٨ إلى مالك بن خريم الهمداني ، واستشهد به سيبويه على حذف الياء في الوصل من قوله : لنفسه ، للضرورة ، وذكره المبرِّد في المقتضب ١/ ٣٨ ، ولم ينسبه . وفي حاشيته : يقول الشاعر : إنه يقدِّم لضيفه ما عنده من القِرى ، ويحكِّمه فيه ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه ، فيقتنع بذلك .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٧ ، وسياق الكلام فيه يدل على الإثبات ، قال : لأن الهاء ليست بمجزومة ، ولها وجه من القياس ، وهو أنه يجري الهاء في الوصل على حالها في الوقف ، وأكثر ما يقع هذا في الشعر أن تحذف هذه الهاء وتُبقي كسرة . وتسكين الهاء قراءة أبي عمرو ، وعاصم ، وحمزة في رواية عنهم . السبعة في القراءات ٤٨١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٥٠ .

(٣) أنشده كاملاً الأخفش ١/ ١٧٩ في تفسير سورة البقرة ، وعنه ابن جني في الخصائص ١/ ١٢٨ ، ولم ينسباه ، وكذا أبو علي في الحجة ٥/ ٣٨٧ ، وحمله المبرِّد على الضرورة في المقتضب ١/ ٣٩ .

والبيت بتمامه :

فَظِلتُ لدى البيتِ العتيقِ أُريغُهُ ومِطواي مشتاقانِ لَهْ أرقانِ

وفي الحاشية : الأصل : فظللت فحذفت العين ، ويجوز فتح الظاء وكسرها ، وأريغه : بمعنى : أطلبه ، ومطواي : بمعنى صاحباي ، مثنى مطوى ، وضمير الغائب للبرق . المقتضب ١/ ٣٩ ، وعند الأخفش : (أُخيله) بدل : (أريغه) . والشاهد فيه تسكين الهاء من (له) ، وحذف حركتها .

ولم يحكِ ذلك سيبويه ، وحمله على الضرورة[١] .

قوله : ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ . قال مقاتل : انصرف عنهم[٢] .

وقيل : أعرض عنهم . [قال ابن زيد : هـذا على التأخير والتقديم . المعنى : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ، فانظر : مـاذا يرجعون ، ثم تولَّ عنهم[٣] . قال : لأن رجوعه من عندهم][٤] والتولي عنهم بعد أن ينظر ما الجواب .

قال الزَّجَّاج : وهذا حسـن ، والتقديم والتأخير كثير في الكلام[٥] . ومن لم يحمل الآية على التقديم والتأخير قال : معناه : ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ مسـتتراً من حيث لا يرونك ، فانظر : ما يردون من الجواب[٦] . فيقال : إن الهدهد فعل ذلك ؛ ألقى الكتاب ، وطار إلى كُوَّة[٧] في مجلسها متوارياً عنها[٨] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٧ ، قال علي بن سليمان : لا تلتفت إلى هذه اللغة ، ولو جاز أن يصل وهو ينوي الوقف لجاز أن تحذف الإعراب من الأسماء . إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٠٩ ، وتكلم على هذا سيبويه ١/ ٢٦ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٨ب ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥١ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٧ب ، وأبو علي ، في كتاب الشعر ١/ ١٠٢ ، ولم ينسبه .

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في نسخة (ج) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٧ ، واختار هذا الوجه الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٦٥١ ، وذكره الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٩١ .
وذهـب إلى القول بالتقديم والتأخير ابن الأنباري في الأضداد ١١١ ، وهذا التقديم والتأخير لا يحتاج إليه ؛ لأن الكلام صحيح على ما هو عليه من الترتيب ، والمعنى : فألقه إليهم ثم تولَّ عنهم قريباً منهم ، فانظر : ماذا يرجعون . تفسير الطوسي ٨/ ٩١ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٧ ، أخرج ابـن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧١ عن ابن عباس : ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ؛ أي كن قريباً منهم . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥١ عن وهب بن منبه ، واختاره الثعلبي ٨/ ١٢٧ب .

(٧) الكُوَّة : الخرق في الجدار يدخل منه الهواء والضوء . اللسان (كوي) ١٥/ ٢٣٦ .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩١ ، فالفرق بين القولين هو في الاسـتتار عنهم ، فالقول الأول يدل على أن الهدهد لم يتوارَ عنهم ، والقول الثاني يدل على أنه فعل ذلك . والذي يظهر أن القول الثاني أقرب ، ولا حاجة إلى التقديم والتأخير ؛ فالمعنى بيِّن ، والله أعلم .

٢٩. قوله : ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ . قال أبو إسحاق : تقدير الكلام : فمضى الهدهد فألقى الكتاب إليهم[١] فقالت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ ، قال قتادة : أتاها الهدهد ، وهي نائمة مستلقية على قفاها ، فألقى الكتاب على نحرها[٢] .

وقال مقاتل : أتاها الهدهد حتى وقف على رأسها فرفرف ساعة ، والناس ينظرون ، فرفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها ، فقرأت الكتاب ، وكانت عربية من قوم : تبع الحميري ، فأخبرت قومها وقالت : ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾[٣] . قال عطاء عن ابن عباس : مطبوع[٤] ، وهو : قول الضحاك ، قال : سَمَّتْه كريماً ؛ لأنه كان مختوماً[٥] .

ويدل عليه ما روى ابن عباس أن النبي ﷺ قال : «كرامة الكتاب ختمه»[٦] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٠ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٧ب .

(٣) تفسير مقاتل ٥٨ب . وكل هذا التفصيل مما لا دليل عليه ، والأَوْلى الوقوف عند ظاهر الآية .

(٤) تنوير المقباس :٣١٧ بلفظ : (مختوم) . وذكره عنه بهذا اللفظ السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٥٣ من رواية ابن مردويه .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩١ ، من دون نسبة ، ونسبه مقاتل ٥٨ب إلى أبي صالح ، وذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٤٩٤ ، غير منسوب ، وذكره ابن جرير ١٩/ ١٥٣ ، من دون نسبة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٢ عن السدّي . وذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٦ عن عطاء والضحاك ، وقال : وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير .

(٦) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ١٤٢ ، وعزاه إلى القضاعي ، وقال : أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس بسند فيه متروك ، وذكره الهيثمي عن الطبراني في الأوسط ، وقال : فيه محمد بن مروان السدّي الصغير ، وهو متروك . مجمع الزوائد ٨/ ٩٨ ، كتاب : الأدب ، باب : في كتابة الكتب وختمها . وأخرجه الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٧٦ من الطريق نفسه ، ولم ينبه على ضعفه ، بل جعل الحديث شاهداً على صحة تفسير عطاء والضحاك . وتكلم عليه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٣/ ١٦ ، وذكر رواية الواحدي له في الوسيط ، وحكم عليه الألباني بالوضع ، وعلته : محمد بن مروان السدّي . سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤/ ٦٩ ، رقم ١٥٦٧ ، وذكره من المفسرين السمرقندي ٢/ ٤٩٤ . =

وقال قتادة ومقاتل : ﴿كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ حسن[١] ، وهو اختيار الزَّجَّاج ، قال : حسن ما فيه[٢] .

ويدل على هذا قوله : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء :٥٨ ، والدخان :٢٦] ؛ أي مجلس حسن ، ويقال : سَمَّتْه كريماً لكرم صاحبه ؛ وذلك أنها رأت كتاب مَلِك[٣] ، رسوله الطير ! فوصفت كتابه بالكرم ، لكرم صاحبه[٤] .

وهذا معنى ما روي عن ابن عباس : شريف بشرف صاحبه[٥] .

ثم بيَّنت ما في الكتاب ، فقالت :

٣٠. ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ . قال الكلبي : لَمَّا أتاها الهدهد كانت في قصرها فدار حول القصر ، وطلب السبيل إليها حتى وصل من كُوَّة كانت في القصر ، ثم قطع سبعة أبيات ، حتى انتهى إليها نائمة مستلقية ، فوضع الكتاب إلى جنبها ، ونقرها نقرة ، ثم رجع إلى مكانه من الكُوَّة ، فاستيقظت فزعة ، فنظرت فإذا كتاب إلى جنبها مختوم ، فأخذته ونظرت فإذا الأبواب مغلقة ، والحرس قد أحاطوا بقصرها ، فقالت : هل رأيتم أحداً دخل إليَّ ؟ قالوا : ما رأينا أحداً دخل ، ولا فتح باباً ،

= وقد اتخذ النبي ﷺ خاتماً لمكاتباته ومراسلاته ، يقول أنس : لَمَّا أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ، فكأني أنظر إلى بياضه في يده ، ونقش فيه محمد رسول الله . أخرجه البخاري ، كتاب : العلم ، رقم ٦٥ ، فتح الباري ١/ ١٥٥ ، ومسلم ٣/ ١٦٥٧ ، كتاب : اللباس والزينة ، رقم ٢٠٩٢ .

(١) تفسير مقاتل ٥٨ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٢ عن قتادة .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٧ ، واقتصر عليه الهوَّاري ٣/ ٢٥٢ .

(٣) كلمة (كتاب) سقطت من نسخة (ج) .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩١ ، من دون نسبة . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٣ عن ابن زيد ، ونسبه الماوردي ٤/ ٢٠٦ ، إلى ابن بحر .

(٥) تأويل مشكل القرآن ٤٩٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ ، ولم ينسبه .

فوقع في قلبها أنه ألقي عليها من السماء ، فعند ذلك قالت : ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ السماء ، ثم فتحت الكتاب ، وكانت كاتبة قارئة ، فإذا فيه : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من سليمان بن داود ، إلى بلقيس بنت ذي الشرح ، فقالت عند ذلك لمن حولها وكرهت الكذب : إنه من سليمان ؛ أي إن الكتاب من سليمان ، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ : وإن المكتوب فيهِ :﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1] .

ونحو هذا قال السدِّي ، قال : لَمَّا ألقاه الهدهد في حِجرها ظنَّت أنه من عند الله فقالت : ﴿أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ ، وذلك قبل أن تقرأه ، فلمَّا قرأته قالت : ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ ، وفيه :﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2] .

٣١. ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ . قال أبو إسحاق : (أَنْ) يجوز أن تكون في موضع نصب على معنى : كتاب بأن لا تعلوا ؛ أي كتاب بترك العلو ، ويجوز أن يكون في موضع رفع على معنى : ﴿أُلۡقِيَ إِلَيَّ﴾ أنْ لا تعلوا .

وفيها وجه آخر حسن على معنى : قال : لا تعلوا عليَّ ، وهو تأويل ما ذكره سيبويه والخليل ، قالا : (أَنْ) في هذا الموضع في تأويل : أي ، على معنى : أي لا تعلوا عليَّ ، كقوله عز وجل : ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ [ص :٦] .

---

(١) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٩٤ ، من دون نسبة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٢ . وأخرج عبدالرزاق ٢/ ٨١ بسنده عن قتادة : لم يكن الناس يكتبون إلا : باسمك اللَّهم ، حتى نزلت : ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٣ عن ميمون بن مهران ، والشعبي .

قال أبو إسحاق : وتأويل أي هاهنا تأويل القول والتفسير ، كأنها قالت : قال : ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ ، كما تقول : فعل فلان كذا وكذا ؛ أي إني جواد ، كأنك قلت : يقول : إني جواد[١] .

وقد بان بهذا أنَّ (أَنْ) لم تكن في كلام سليمان المكتوب في الكتاب ، وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، لا تعلوا عليَّ[٢] .

قال ابن عباس : يريد لا تتكبروا عليَّ[٣] ؛ أي لا تترفعوا عليَّ وإن كنتم ملوكاً ، ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ منقادين طائعين[٤] .

قال قتادة : وكذلك كانت الأنبياء تكتب جملاً لا تطيل[٥] ، يعني أن هذا القدر الذي ذكره الله كان كتاب سليمان[٦] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٩ ، وذكر الوجهين الفرَّاء ٢/ ٢٩١ ، وابن جرير ١٩/ ١٥٣ ، والله أعلم ، ولم أجد قول سيبويه في الكتاب .

(٢) هكذا في نسخة (ج) ، وفي نسخة (أ) و(ب) : وقد بان بهذا أن لم يكن يكن من كلام سليمان (بتكرار (يكن) ، وإسقاط (أن) ، و(من) بدل (في)) .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٤ ، من دون نسبة . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٣ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٤ عن ابن زيد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٤ بلفظ (موحدين) ، وذكره هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٢ ، ونسبه إلى الكلبي ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٣ عن ابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٤ عن سفيان .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٢ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٤ ، وذكره هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٢ ، غير منسوب ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٧ب عن قتادة .

(٦) أخرج ابن جرير ١٩/ ١٥٢ عن ابن جريج : لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه : (إنه) ، و(إنه) ، ونحوه عند ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٣ عن مجاهد ، وتفسير مقاتل ٥٨ب ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٧ب عن ابن جريج .

قال الكلبي : كان في الكتاب : فإن كنتم من الجن فقد عُبدتم لي ، وإن تكونوا من الإنس فعليكم السمع والطاعة والإجابة ، مع أشياء كتب بها إليها[١] . فعلى هذا كان الكتاب طويلاً ، وذكر الله تعالى منه ما هو القصد ، وهو أنه دعاها إلى الطاعة .

قال الكلبي ومقاتل : أرسلت إلى قومها فاجتمعوا إليها ، فاستشارتهم في ما أتاها من سليمان ، فقالت :

٣٢. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا﴾ : يعني الأشراف وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً ، وهم أهل مشورتها[٢] ، وهذا قول قتادة والثُّمالي والكلبي ومقاتل ، قالوا : وكان كل رجل منهم على عشرة آلاف[٣] ، وقال مقاتل : كان مع كل قائد : مائة ألف[٤] .

وقوله : ﴿أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي﴾ . قال ابن عباس : أشيروا عليَّ ؛ أي بيِّنوا لي ما أعمل[٥] ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ فاعلة أمراً وقاضيته[٦] ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ حتى تحضرون ؛ أي إلا بحضوركم ومشورتكم ، قاله ابن عباس ومقاتل[٧] . قالوا مجيبين لها :

---

(١) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٩٤ منسوباً إلى الكلبي . وفي تنوير المقباس :٣١٧ : وأشياء كانت فيه مكتوبة . ولم يذكر شيئاً منها . وهذا لا دليل عليه ، ولا سبيل للجزم به إلا من طريق معصوم .

(٢) تفسير مقاتل ٥٨ب ، والوسيط :٣/ ٣٧٧ ، من دون نسبة .

(٣) ذكره الهوَّاري ٣/ ٢٥٣ ، وصدَّره بقوله : قال بعضهم . والثَّمالي : هو ثابت بن أبي صفية الثُّمالي .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨ ب ، وتنوير المقباس ٣١٨ من دون ذكر العدد . وفي نسخة (أ) و(ب) : كررت مائة ألف مرتين .

(٥) أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٥ عن زهير بن محمد : أشيروا برأيكم . قال الفرَّاء : جعلت المشورة فتيا ، وذلك جائز لسعة العربية . معاني القرآن ٢/ ٢٩٢ .

(٦) فالمعنى واحد : فاعلة ، وقاضية . معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٢ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٨ب ، وتنوير المقباس ٣١٨ بمعناه . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٣ عن ابن زيد ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٧٧ غير منسوب .

٣٣. ﴿نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ﴾[١] . قال عطاء عن ابن عباس : كانت من قوة أحدهم أنه يُرَكِّض الفرس ، حتى إذا امتلأ فُرُوجُه ضم فخذيه فحبسه بقوته[٢] .

وقال مقاتل : يعني عدَّة كثيرة من الرجال ، كقوله : ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف :٩٥] يعني : بالرجال[٣] .

فتحمل القوة هاهنا على العدَّة والكثرة[٤] .

قوله تعالى : ﴿وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ : يعني الشجاعة والقوة في الحرب[٥] .

قال ابن زيد : عرَّضوا لها بالقتال بأن ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم ، ثم قالوا : ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾[٦] ؛ أي في القتال وفي تركه ، ﴿فَانظُرِي﴾ من الرأي ، ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ : ماذا تشيرين علينا[٧] .

---

(١) تكلم أبو علي الفارسي على كلمة : ﴿أُوْلُوا﴾ وأنها جمع : ذو ، من غير لفظه . كتاب الشعر ٢/ ٤٢٢ ، والمسائل الحلبيات ١٥٤ .

(٢) ذكره عن ابن عباس القرطبي ١٣/ ١٩٥ ، وفي الوسيط ٣/ ٣٧٧ : أي في الأبدان في معنى قول ابن عباس . في تهذيب اللغة (وكى) ١٠/ ٤١٦ : وإنما قيل للذي يشتد عدوه : مُوكٍ ؛ لأنه كأنه ملأ هواء ما بين رِجليه عدواً وأوكى عليه ، والعرب تقول : ملأ الفرسُ فُرُوج دَوَارِجه عَدْواً : إذا اشتد حُضْرُه .

(٣) تفسير مقاتل ٥٨ب .

(٤) وهذا جمع حسن بين القولين .

(٥) تفسير مقاتل ٥٨ب . وكلمة (القوة) في نسخة (ج) .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٥ ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٧ ، من دون نسبة .

(٧) تفسير مقاتل ٥٨ب بنصه .

قالت مجيبة لهم عن التعريض بالقتال :

٣٤. ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ . قال مقاتل : أهلكوها ، كقوله عز وجل : ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [المؤمنون :٧١] : يعني لهلكت[١] ، وقال غيره : خربوها[٢] .

وقال الزَّجَّاج : معناه : إذا دخلوها عَنْوة ؛ أي جهاراً عن قتال وغلبة[٣] .

﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ . قال مقاتل : أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الأمر[٤] .

قال الفرَّاء : قالت لهم : إنهم إن دخلوا بلادكم أذلوكم وأنتم ملوك[٥] .

ومعنى الآية أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم ، ودخوله بلادهم ، وتناهى الخبر عنها ، وصدَّقها الله تعالى ، فقال : ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ، يعني : كما قالت هي . وهذا معنى قول ابن عباس والكلبي ومقاتل[٦] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٨ب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٦ عن ابن عباس ، وذكره هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٣ ، من دون نسبة .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٩ ، أخرج ابن جرير ١٩/ ١٥٤ عن ابن عباس : إذا دخلوها عنوة خربوها .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨ب ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٧٧ غير منسوب .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٢ .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٧ عن ابن عباس . وتفسير مقاتل ٥٩أ ، وتنوير المقباس : ٣١٨ ، وذكره ابن قتيبة ، ولم ينسبه . تأويل مشكل القرآن ٢٩٤ ، ونسبه النحاس إلى سعيد بن جبير في إعراب القرآن ٣/ ٢١٠ ، وعلى هذا فالوقف على : ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ وقف تام . النشر ١/ ٢٢٧ .

قال الزَّجَّـاج : هو من قول الله عز وجل ؛ لأنها قد ذكرت أنهم يفسـدون ، فليس لتكرير هذا منها فائدة[١] .

٣٥. قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ . قال مقاتل : أصانعهم على ملكي إن كانوا أهل دنيا[٢] .

وقال السدِّي : تختبر بذلك سليمان ، وتعرفه أملِك هو أم نبي[٣] .

قال ابن عباس : أرسـلت إليهم بمائـة وصيف ومائة وصيفـة ، وهو قول مقاتل[٤] .

وقـال مجاهد : مائتي غلام ، ومائتي جارية[٥] ، وهـذا قول أكثر المفسرين ، قالوا : الهدية كانت غلماناً وجواري ، وإن اختلفوا في مبلغ عدد الفريقين[٦] .

---

(١) معـاني القرآن للزَّجَّـاج ٤/ ١١٩ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٢ ، وحكـى الماوردي ٤/ ٢٠٩ عن ابن شجرة أن هذا حكاية عن قول بلقيس : كذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا ، واستظهره أبو حيان ٧/ ٧٠ ، وكذا السمين الحلبي ٨/ ٦١١ ، والأقرب ما اقتصر عليه الواحدي ، والله أعلم .

(٢) تفسير مقاتل ٥٩أ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٧ عن قتادة ، وأخرج عنه في ٢٨٧٩ : رحمها الله إن كانت لعاقلة في إسلامها ، وشركها ، قد علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس .

(٣) تفسـير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٣ بمعناه غير منسـوب . وأخرجه ابن جريـر ١٩/ ١٥٦ عن ابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٩ عن ابن عباس .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٥ ، وتفسير مقاتل ٥٩أ .

(٥) ذكره في الوسـيط ٣/ ٣٧٧ بنصه ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٥ ، وليـس فيه ذكر العدد ، وكذا في تفسير مجاهد ٢/ ٤٧١ .

(٦) أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٧ عن سعيد بن جبير : أرسلت إليهم ثمانين من وصيف ووصيفة .

وقال ثابت البناني : أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج[١] .

﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ من عنده بقبولٍ أم بِرَدٍّ[٢] . قال الفرَّاء : انقصت الألف من (بِمَ) ؛ لأنها في معنى : بأي شيء ، وإذا كانت (مَا) في موضع : أي ، ثم وصلت بحرفٍ خافضٍ نُقصت الألف من (مَا) ليعرف الاستفهام من الخبر ، ومن ذلك قوله : ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء ٩٧] و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ :١] ، وإن أتممتها فصواب[٣] ، وأنشدني المفضل[٤] :

إنَّا قتلْنَا بقتْلَانَا سَراتَكم أهلَ اللِّواءِ ففيما يكثُر القِيلُ[٥]

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٨١ ، وابن جرير ١٩/ ١٥٥ ، ورواه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٧ ، ٢٨٧٩ عنه ، وعن قتادة . وتوجد زيادات على ما ذكر الواحدي في ماهية هذه الهدية ، وقد ذكر ذلك بطوله الثعلبي ٨/ ١٢٨ ، وكله مما لا دليل عليه ، وقد أحسن الواحدي ـ رحمه الله ـ في ترك ذكرها ، والأَوْلى الوقوف عند ظاهر الآية ، فهي هدية مالية كبيرة ، لقوله تعالى : ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ ، وأمَّا تعيينها فلا دليل عليه ، والله أعلم .

(٢) تفسير ابن جرير ١٩/ ١٥٦ .

(٣) قال النحاس : وأجاز الفرَّاء إثباتها في الاستفهام ، وهذا من الشذوذ التي جاء القرآن بخلافها . إعراب القرآن ٣/ ٢١١ .

(٤) هو أبو طالب المفضل بن سلمة .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٢ ، غير منسوب . بلفظ : (القيل) ، وفي نسخة (أ) و(ب) : (الفتك) ، وأورده البغدادي في الخزانة ٦/ ١٠٦ ، وقال : البيت من قصيدة لكعب بن مالك شاعر رسول الله ﷺ ، أجاب بها ابن الزبعرى وعمرو بن العاص عن كلمتين افتخرا بها يوم أحد . سراة القوم : خيارهم . وهو في ديوان كعب ٨٣ .

قال : وأنشدني أيضاً :

عـلى مـا قـامَ يـشـتـمُنِي لـئيمٌ كخنزيـرٍ تمـرَّغَ في رمـادِ[١]

وقال الزَّجَّاج : حروف الجر مع (ما) في الاستفهام تحذف معها الألف من (ما) ؛ لأنهما كالشيء الواحد ، وليُفصل بين الخبر والاستفهام ، تقول : قد رغبت في ما عندك ، فتثبت الألف ، وتقول : فيمَ نظرت يا هذا ؟ فتحذف الألف[٢] .

قال المفسرون : دعت بلقيس رجلاً من أشراف قومها يقال له : المنذر بن عمرو ، وضمت إليه رجالاً أصحاب رأي وعقل ، وبعثتهم وفداً إلى سليمان مع الهدية ، وهم المرسلون في قوله : ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[٣] .

٣٦. قوله عز وجل : ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ ؛ أي جاء الرسول سليمان ، قاله الفرَّاء والزَّجَّاج ، زاد أي الزَّجَّاج ، ويجوز أن يكون فلمَّا جاء برُّها سليمان إلا أن قوله : ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ مخاطبة للرسول[٤] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٢ ، من دون نسبة ، وكذا ابن جرير ١٩/ ١٥٦ . والشاهد فيه : دخول الألف على (ما) . والبيت في ديوان حسان ٧٩ من قصيدة يهجو فيها بني عابد بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٠ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٩أ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٩أ . واختار ابن قتيبة أن يكون المراد به واحداً ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ . تأويل مشكل القرآن ٢٨٤ ، ولا تعارض بين اللفظين ؛ فيحمل الجمع على مخاطبة رئيس الوفد ومن معه ، ويحمل الإفراد على مخاطبة رئيس الوفد وحده ، والله أعلم .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٠ ، والبداية والنهاية ٢/ ٢٣ ، برها : هديتها ، والمال الذي بعثت به . في تهذيب اللغة (بر) ١٥/ ١٨٨ : البر فعل كل خير من أي ضرب كان . . . . والبر : الإكرام .

﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ . روى المسيبي[١] عن نافع : (أَتُمِدُّونِ) خفيفة النون بنون واحدة ، وياء على حذف النون الثانية التي تصحب ضمير المتكلم[٢] ، ولا يجوز حذف الأولى لأنه لحن[٣] ، والثانية قد حذفت في مواضع من الكلام نحو : قَدِي[٤] .

وقرأ حمزة : (أَتُمِدُّونِّي) بنون واحدة مشددة ، أدغم الأولى في الثانية ، ومن قرأ بنونين وجمع بين المثلين ولم يدغم ؛ فلأن الثانية ليست بلازمة ، ألا ترى أنه يجزئ في الكلام من غير الثانية نحو : أتمدون زيداً[٥] .

---

(١) محمد بن إسحاق بن محمد بن عبدالرحمن ، أبو عبدالله المسيبي ، المدني ، مقرئ عالم مشهور ، ضابط ثقة ، أخذ القراءة عن أبيه عن نافع ، وحدَّث عن سفيان بن عيينة ، ومحمد بن فليح ، وغيرهما ، روى عنه مسلم وأبو داود في كتابيهما ، وأبو زرعة ، وغيرهم . توفي سنة ٢٣٦هـ . انظر معرفة القراء الكبار ١/ ١٧٧ ، وغاية النهاية ٢/ ٩٨ .

(٢) قرأ ابن كثير : ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ بنونين ، وإثبات الياء في الوصل ، وقرأ نافع في رواية المسيبي بنون واحدة خفيفة ، وبحذف الياء في الوقف ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، والكسائي بنونين بغير ياء في الوصل والوقف ، وقرأ حمزة بنون واحدة مشددة ، وياء في الوصل والوقف . انظر السبعة في القراءات ٤٨٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٥٠ ، وذكر الفرَّاء هذه الأوجه ، وصوَّبها كلها ، في معاني القرآن ٢/ ٢٩٣ ، وكذا ابن جرير ١٩/ ١٥٧ ، والأزهري في معاني القراءات ٢/ ٢٤١ .

(٣) في نسخة (ج) : (لأن حذف الأولى لحن) .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٩ ، قال سيبويه ٢/ ٣٧١ : وقد جاء في الشعر : قدي ، فأمَّا الكلام فلا بدَّ فيه من النون ، وقد اضطر الشاعر فقال : قدي ، شبهه بحسبي ؛ لأن المعنى واحد ، قال الشاعر :

قَدْني منْ نصرِ الخُبَيبيْن قَدِي

والشاعر قيل هو : أبو نخيلة ، وقيل : حميد الأرقط ، وقيل غير ذلك . والخُبيبان ـ بالتصغير ـ هما : عبدالله بن الزبير ، وكنيته : أبو خبيب ، ومصعب أخوه ، غلبه عليه لشهرته ، وقدني ؛ أي حسبي وكفاني ، وهو مبتدأ ، خبره الجار والمجرور ، والمعنى : حسبي من نصرة هذين الرجلين ؛ أي لا أنصرهما بعد . وقدي الثانية توكيد . والشاهد فيه : حذف النون من قدي تشبيهاً بحسبي . حاشية الكتاب ٢/ ٣٧١ ، وأنشده ولم ينسبه أبو زيد في النوادر ٢٠٥ ، وأبو علي في الحجة ٣/ ٣٣٤ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٩ ، وفيه : (ألا ترى أنها تجري في الكلام ، ولا تلزق بها الثانية) .

ومعنى قولــه : ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ إنكار عليهم إهداءهم إليه ، وما أتوه به من المال . قوله : ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ ؛ أي ما أعطاني من الإسلام والنبوة والملك خير مما أعطاكــم . ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ : يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض ، وأمَّا أنا فلا أفرح بها ، إنما أريد منكم الإسلام ، قاله مقاتل[١] .

ثم قال سليمان لأمير الوفد :

٣٧. ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ ؛ أي بالهدية ، هذا قول أكثر المفسرين[٢] . وقال الكلبي : ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ خطاب للهدهد كتب إليها كتاباً آخر[٣] .

قولــه تعــالى : ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ . قــال ابن عباس والمفسرون وأهل اللغة : لا طاقة لهم بها[٤] .

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ . قال الكلبي : من قرية سبأ[٥] ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أذلاء .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٩أ ، وفيه : إذا أهدى بعضكم إليَّ ، فأمَّا أنا فلا أفرح . . . .) . وفي تنوير المقباس :٣١٨ : ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ إن ردت إليكم . وما اقتصر عليه الواحدي أقرب ، والله أعلم .

(٢) تفسير مقاتل ٥٩أ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٩أ . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٧ عن وهب بن منبه . وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨١ عن قتادة : ما نراه يعني إلا الرسل . وفي معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٤ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٤ : توجيه الخطاب للرسول ، وليس فيه ذكر الهدية .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨١ عن زهير بن محمد . وفي تنوير المقباس :٣١٨ : ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بهديتهم . وليس فيه تعيين المخاطب . حيث يحتمل أن يكون الخطاب لرسول ملكة سبأ . تفسير الماوردي ٤/ ٢١١ .

(٤) ذكره البخاري عن ابن عباس ، معلقاً بصيغة الجزم ، كتاب : التفسير ، الفتح ٨/ ٥٠٤ ، ووصله ابن جرير ١٩/ ١٥٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٢ عن أبي صالح وقتادة . وتفسير مقاتل ٥٩أ ، ومجاز القرآن ٢/ ٩٤ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٣ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٤ .

(٥) تنوير المقباس ٣١٨ ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٧٧ غير منسوب .

قال المفسرون : فلمَّا رجعت إليها الرسل قالت : قد عرفنا ما هذا بملِك وما لنا به من طاقة ، ثم تجهزت للمسير إليه[١] .

٣٨. قال ابن عباس : وأخبره جبريل أنها خرجت من اليمن مقبلة إليه[٢] ، فقال سليمان : ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ . قال عبدالله بن شداد : كانت بلقيس على رأس فرسخ[٣] من سليمان لمَّا قال سليمان : ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ وكان ما بينه وبينها كما بين الكوفة والحيرة[٤] ؛ وذلك أنه لم يُخبر بمسيرها إليه حتى رأى يوماً رهجاً[٥] قريباً منه فسأل عنه فقيل : بلقيس يا رسول الله ، فحينئذٍ قال : ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ ، هذا قول وهب بن منبه ، وجميع المفسرين[٦] .

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٩أ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٢ عن يزيد بن رومان .

(٢) ذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٧ ، ولم ينسبه .

(٣) الفرسخ : ثلاثة أميال أو ستة ؛ سُمِّي بذلك لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك كأنه سكن ، والفرسخ : السكون . لسان العرب (فرسخ) ٣/ ٤٤ ، والميل مقياس للطول قُدِّر قديماً بأربعة آلاف ذراع ، وهو الميل الهاشمي ، وهو بري وبحري ؛ فالبري : يقدَّر الآن بما يساوي ١٦٠٩ من الأمتار ، والبحري بما يساوي ١٨٥٢ من الأمتار . المعجم الوسيط ٢/ ٨٩٤ .

(٤) الكُوفة بالضم : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، وسُمِّيت بذلك لاستدارتها ، وقيل : لاجتماع الناس بها . معجم البلدان ٤/ ٥٥٧ ، وهي تقع جنوب بغداد بنحو ١٥٠كم . والحيرة : مدينة على بُعْد ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له : النجف . معجم البلدان ٢/ ٣٧٦ ، وهي جنوب الكوفة بنحو ٧٥كم .

(٥) الرَّهَج : الغبار . تهذيب اللغة (رهج) ٦/ ٥٢ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٢ ، ٢٨٩٧ عن ابن عباس ، وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٢٩أ ، وأخرجه ابن أبي شيبة عن عبدالله بن شداد . المصنف ٦/ ٣٣٦ ، وهذا يخالف ما ذكره الواحدي قبل ذلك ، واقتصر عليه في تفسيره الوسيط ٣/ ٣٧٧ ، من أن نبي الله سليمان ـعليه السلامـ قد أعلمه جبريل بذلك ، والله أعلم .

واختلفوا في السبب الذي خص سليمان ـعليه السلامـ العرش بالطلب ، فقال قتادة : لأنه قد وُصِف له عرشها بالعِظَم فأعجبه ذلك وأحب أن يراه[١] .

وقال مقاتل وأكثر المفسرين : أحب سليمان أن يأخذ عرشها قبل أن تُسلِم فلا يحل أخذ مالها[٢] . فذلك قوله : ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ؛ أي مخلصين بالتوحيد ، قاله مقاتل[٣] .

وقال ابن جريج : ﴿مُسْلِمِينَ﴾ بحرمة الإسلام فيمنعنا الإسلام أموالهم[٤] .

وقال ابن عباس : ﴿مُسْلِمِينَ﴾ : طائعين منقادين[٥] .

وعلى هذا يحل له أخذ مالها بعد إتيانها . قال مقاتل : وكان قد أوحي إلى سليمان أنها تأتي مسلمة ، فلذلك قال : ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٦] ، فهذان قولان في سبب طلب العرش .

---

(١) ذكره الثعلبي ٨/ ١٢٩ب عن قتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٣ عنه ، وليس فيه دلالة على ما ذُكر ، بل هو موافق للقول الذي ذكره الواحدي عن مقاتل وأكثر المفسرين .

(٢) تفسير مقاتل ٥٩ب وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٤ ، من دون نسبة . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٤ عن زهير بن محمد وعطاء والسدِّي ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٩ب عن أكثر المفسرين ، ولم يسمِّهم . واقتصر عليه الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٧٨ ، والوجيز ٢/ ٨٠٤ ، ولا يخفى ما في هذا القول من البُعد ؛ لأن نبي الله سليمان ـعليه السلامـ لم يكن بحاجة إلى ذلك ، وكيف يظن به وهو نبي ، وقد أعطاه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ! وأقرب ما يكون أن نبي الله سليمان ـعليه السلامـ أراد أن يُظهر لها عظم ملكه ، وأنه من الله ، والله أعلم . وقد ذكر هذا الوجه الثعلبي ٨/ ١٢٩ب ، فقال : وقيل : ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه ، وذكره الواحدي بعد ذلك بمعناه ، لكنه لم ينتقد القول السابق .

(٣) تفسير مقاتل ٥٩أ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦١ .

(٥) ذكره البخاري عن ابن عباس ، معلقاً بصيغة الجزم ، بلفظ : (طائعين) . كتاب : التفسير ، الفتح ٨/ ٥٠٤ ، وذكره أيضاً الثعلبي ٨/ ١٢٩ب ، ونسبه الهوَّاري ٣/ ٢٥٤ إلى الكلبي .

(٦) تفسير مقاتل ٥٩ب .

وقال ابن زيد : أراد سليمان أن يعاتبها بالعرش ويختبر عقلها[١] ، ويدل على هذا قوله : ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ ألَّا يتبين .

وقال آخرون : أراد سليمان أن يريها آية معجزة في عرشها ليجعل ذلك حجة عليها ، فقال : ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ ؛ أي طائعين منقادين[٢] ، كما قال ابن عباس .

٣٩. قوله تعالى : ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ : العفريت : النافذ في الأمر المبالغ فيه مع خبث ودهاء . يقال : رجل عِفْرٌ وعِفْريتٌ ، وعِفْرية وعُفارية ، بمعنى واحد[٣] .

وقال الفرَّاء : من قال عفرية ، فجمعه : عَفَارٍ . ومن قال : عفريت ، جمعه : عفاريت ، وجائز أن يقول : عفارٍ ، كقولهم في جمع الطاغوت : طواغيت وطواغ[٤] .

قال المفسرون في تفسير العفريت : إنه المارد الداهية القوي الخبيث الغليظ القوي الشديد ، كل هذا من ألفاظهم[٥] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٠ ، وفيه : (وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم) ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٩ب عنه بلفظ : (أراد أن يختبر عقلها) .

(٢) ذكره الثعلبي ٨/ ١٢٩ب ، ولم ينسبه .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٠ بنصه ، ومجاز القرآن ٢/ ٩٤ بمعناه . وقد قرأ أبو رجاء وعيسى الثقفي : (عِفرية) . قال ابن جني : هو العفريت . المحتسب ٢/ ١٤١ ، قال أبو عبيد : رجل عِفْرٌ نِفْرٌ ، وعِفْرِيةٌ نِفْرِية ، وعِفْرِيت نِفْرِيت ، وعُفَارية نُفَارية : إذا كان خبيثاً مارداً . تهذيب اللغة (نفر) ١٥/ ٢١١ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٤ ، وذكر الأزهري كلام الزَّجَّاج والفرَّاء ، ونسب الثاني من دون الأول . تهذيب اللغة (عفر) ٢/ ٣٥٢ .

(٥) قال الكلبي : داهية من الجن . تفسير عبدالرزاق ٢/ ٨١ ، وقال مقاتل ٥٩ب : مارد ، وقيده الهوَّاري ٣/ ٢٥٤ بالكافر ، فقال : العفريت لا يكون إلا الكافر . ويبعد أن يكون عند نبي الله سليمان ـعليه السلامـ وهو على الكفر ، والله أعلم . وأخرج ابن جرير ١٩/ ١٦١ عن مجاهد وقتادة : مارد من الجن ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٤ عن مجاهد . وفي تنوير المقباس ٣١٨ : شديد . وذكر ابن الأنباري في كتابه الزاهر ١/ ٢٠٩ ، والأضداد ٣٨٣ معاني أخرى لكلمة عفريت .

وقال ابن قتيبة : أصله : عِفْر ، زيدت التاء فيه ، يقال : عِفْريت ونِفْرِيت وعُفَارِية ، ولم يسمع بنُفَارِية[١] .

وقوله : ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ : يعني من مجلسك الذي تقضي فيه ، وكان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غُدْوة إلى نصف النهار ، قاله ابن عباس والمفسرون[٢] .

فمعنى المقام هاهنا : المقعد والمشهد ، لا موضع القيام . وقال أبو الحسن : إنهم يقولون للمقعد والمشهد : مقام ، كالذي في هذه الآية ، وكقوله : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء :٥٨ ، الدخان :٢٦] : يعني ومجلس حسن . قال الكلبي : كانت قوة العفريت أنه يضع قدمه حيث ينال بصره .

وقال مقاتل : قال العفريت : أنا أضع قدمي عند منتهى بصري ، فليس شيء أسرع مني[٣] .

﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ﴾ ؛ أي على حمله (أَمِينٌ) على ما فيه من الذهب والفضة والجواهر ، قاله ابن عباس[٤] ، فقال سليمان : أريد أسرع من ذلك[٥] .

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٤ عن ابن عباس ومجاهد ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٨٢ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٢ عن مجاهد ، وقتادة ، ووهب بن منبه ، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٢ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٤ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٤ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٩ب .

(٣) تفسير مقاتل ٥٩ب . وذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٨ ، ولم ينسبه .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٢ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٥ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٩ب ، وهو قول مقاتل ٥٩ب .

(٥) تفسير مقاتل ٥٩ب . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٣ عن الضحاك ، وهو في تنوير المقباس ٣١٨ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٩ب .

٤٠ . ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ . قال محمد بن إسحاق : هو آصف بن بَرْخيا ، وكان صِدِّيقاً ، يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي به الله أجاب[١] ، وهو قول مقاتل والكلبي والأكثرين ، ورواية الضحاك عن ابن عباس[٢] .

وقال قتادة : هو رجل من بني إسرائيل كان يعلم الاسم الذي إذا دعي به أجاب ، اسمه كليخا[٣] .

وقال أبو صالح وشعيب بن حرب[٤] : هو رجل من بني آدم[٥] .

وقال عطاء عن ابن عباس : هو جبريل[٦] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٦ عنه ، وعن يزيد بن رومان ، وهو في البداية والنهاية ٢/ ٢٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٥ عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير . وتفسير مقاتل ٥٩ب ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٤ ، من دون نسبة . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٣ عن محمد بن إسحاق ، وأخرجه من طريق الضحاك الثعلبي ٨/ ١٢٩ب ، واقتصر عليه الواحديس في الوسيط ٣/ ٣٧٨ ، والوجيز ٢/ ٨٠٤ .

(٣) أخرجه بسنده عبدالرزاق ٢/ ٨٢ من دون ذكر الاسم ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٢ من طريقين ؛ أحدهما : مثل رواية عبدالرزاق ، والثاني : فيه ذكر الاسم فقط ، ولفظه : (بليخا) . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٦ ، واسمه : آصف . وفي تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٠أ اسمه : مليخا . وهذا الاختلاف في تعيين اسمه مما لا طائل تحته ، ولا يفيد التعيين في معنى الآية شيئاً ؛ فالأَوْلى تركه .

(٤) شعيب بن حرب المدائني ، أبو صالح ، نزيل مكة ، ثقة عابد ، روى عن إسماعيل بن مسلم العبدي ، وشعبة ، وسفيان ، وغيرهم ، وروى عنه أحمد بن حنبل ، وعلي بن بحر ، وغيرهما ، توفي سنة ١٩٧هـ . انظر السير ٩/ ١٨٨ ، وتقريب التهذيب ٤٣٧ .

(٥) أخرجه بسنده عبدالرزاق ٢/ ٨٢ عن الكلبي ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٢ ، ١٦٣ عن أبي صالح وابن جريج ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٥ عن أبي صالح وزهير بن محمد . وأخرج أيضاً عن أبي صالح أنه قال : هو الخضر . وكل هذه الأقوال لا دليل عليها ، والأَوْلى الوقوف عند ظاهر الآية ، والله أعلم .

(٦) تفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٥ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٩ب ، ولم ينسباه .

وقال ابن زيد : هو رجل صالح كان في جزيرة من جزائر البحر ، فخرج ذلك اليوم ينظر مَنْ ساكن الأرض ، فوجد سليمان ، فدعا باسم من أسماء الله فجيء بالعرش[١] .

ومعنى : ﴿عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ علم اسم الله الأعظم ، على ما ذكره المفسرون[٢] .
وقال محمد بن المنكدر : ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو سليمان عليه السلام[٣] .
وإلى هذا القول ذهب المعتزلة[٤] ، إنكاراً لكرامة الولي[٥] ، وهذا القول لا يصح ؛

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٣ ، والثعلبي ٨/ ١٣٠أ . وذكر ابن كثير قولًا غريباً ، هو : إنه كان من الجن . البداية والنهاية ٢/ ٢٣ ، وكل هذه الأقوال مما لا فائدة من البحث فيها ، والأَوْلى الوقوف عند ظاهر الآية ، والله أعلم .

(٢) تفسير مقاتل ٥٩ب ، وسيذكر أقوالهم الواحدي بعد ذلك .

(٣) ذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠أ .

(٤) المعتزلة من الفرق الكلامية التي نشأت في أواخر العصر الأموي ، على يد واصل بن عطاء الذي اعتزل الجماعة بعد خلافه مع الحسن البصري في القدر ، في أوائل المائة الثانية ، فكان مع أصحابه يجلسون معتزلين ، فيقول قتادة وغيره : أولئك المعتزلة ، عظم شأنهم في العصر العباسي ، والمعتزلة يعتمدون على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرهم بالفلسفة اليونانية ، ولا يقيمون للنصوص الشرعية إذا خالفت عقولهم وزناً ولا قدراً ، ولهم أصول خمسة هدموا بها كثيراً من الدين ؛ وهي :
١ - التوحيد ، وهو عندهم توحيد الجهمية الذي مضمونه نفي الصفات ، فقالوا : إن الله لا يرى ، وأن القرآن مخلوق ، وأنه ليس فوق العالم ، وأنه لا يقوم به علم ولا قدرة ، ولا حياة ولا سمع ، ولا بصر ولا مشيئة ، ولا صفة من الصفات .
٢ - العدل ، ومضمونه عندهم أن الله لم يشأ جميع الكائنات ، ولا خلقها كلها ، ولا هو قادر عليها كلها ، بل عندهم أن أفعال العباد لم يخلقها الله لا خيرها ولا شرها .
٣- المنزلة بين المنزلتين في مرتكب الكبيرة ؛ فإنه عندهم يخرج من الإيمان ، ولا يدخل في الكفر .
٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومضمونه جواز الخروج على أئمة المسلمين بالقتال إذا جاروا ، من دون تقييد ذلك بالكفر البواح الصريح .
٥ - إنفاذ الوعيد في الآخرة ، وأن الله لا يقبل في أهل الكبائر شفاعة ، ولا يُخرج أحداً منهم من النار . مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٥٧ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٢٩٨ ، ٥٢٠ ، والفرق بين الفرق ٢١ .

(٥) ذكره الطوسي عن الجبائي . التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٩٦ ، وذكره الزمخشري ٣/ ٣٥٥ مع غيره من الأقوال ، ولم يرجح بينها . قال ابن أبي العز : والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر تقرير =

لأنه خلاف ما عليه المفسرون ، ولأن الخطاب في قوله : ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ لسليمان ، وكيف يصح أن يقال : ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو سليمان ؟

وقوله : ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ : أمال حمزة ﴿ءَاتِيكَ﴾ أشم الهمزة شيئاً من الكسر[١] من أجل لزوم الكسرة في آتي ، وإذا لزمت الكسرة جازت الإمالة ، فأمال الفتحة التي على همزة المضارعة ليميل الألف في آتي نحو الياء ، وإمالة الكسائي فتحة الياء في (ءَاتَانِ الله) أحسن من إمالة حمزة ؛ لأن (آتَى) مثال الماضي ، والهمزة في (آتِيكَ) همزة المضارعة ، فإمالتها لا تحسن ، ألا ترى أنه لو كانت الياء التي للمضارعة في الفعل لم تجز الإمالة ، وإذا لم تجز الإمالة في حرف من حروف المضارعة كان ما بقي من الحروف في حكمه ، ألا ترى أنهم قالوا : يَعِدُ ، فأتبعوا سائر الحروف الياء ، وكذلك أُكرِمُ[٢] .

وقوله : ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ . قال محمد بن إسحاق : قال له آصف : تمد عينيك ، فلا ينتهي إليك طرفك إلى مداه حتى أُمثِّلَه بين يديك[٣] ، ثم قال : امدد عينيك حتى ينتهي طرفك ، فمد سليمان عينيه ينظر نحو اليمن ، ودعا آصف فانخرق العرش مكانه الذي هو فيه ، ثم نبع بين يدي سليمان[٤] .

= نبوة الأنبياء بالمعجزات ، لكن كثيراً منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات ، وقرروا ذلك بطرق مضطربة ، والتزم كثير منهم إنكار خوارق العادات لغير الأنبياء ، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ، ونحو ذلك . شرح العقيدة الطحاوية ١٥٠ .

(١) السبعة في القراءات ٤٨٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٩٠ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٩١ بشيء من التصرف .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٤ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٧ .

ونحو هذا روى عكرمة عن ابن عباس في كيفية حصول العرش عند سليمان ، قال : لم يخر عرش صاحبة سبأ بين السماء والأرض ، ولكنه انشقت به الأرض ، فجرى تحت الأرض حتى ظهر بين يدي سليمان[١] .

وقال ابن سابط : دخل السرير فصار له نفق في الأرض حتى نبع بين يدي سليمان[٢] .

وقال مجاهد : خرج العرش من نفق في الأرض[٣] .

وقال الكلبي : خَرَّ آصف ساجداً ، ودعا باسمه الأعظم ، فعاد عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان[٤] .

وقال مقاتل : احتمل السرير احتمالاً فوضع بين يدي سليمان[٥] ، هذا قول المفسرين .

وقال أهل المعاني : الله -عز وجل- قادر على ذلك بأن يُعدمه من حيث كان ، ثم يوجده ، حيث كان سليمان بلا فصلٍ ، بدعاء ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٦] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٤ ، ونسبه إلى ابن عباس . وأخرج نحوه ابن جرير ١٩/ ١٦٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٧ عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة عن مجاهد في المصنف ٦/ ٣٣٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/ ٣٦١ عن ابن سابط ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٧ عنه ، وعن عبدالله بن شداد . وتفسير مجاهد ٢/ ٤٧٢ .

(٤) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٨ ، ونسبه إلى الكلبي .

(٥) تفسير مقاتل ٥٩ب .

(٦) ذكره الطوسي ، ولم ينسبه . التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٩٧ ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٨ ، ولم ينسبه . وهذا أحسن مما سبق مما لا دليل عليه .

وتفسير ذلك العلم : هو اسم الله الأعظم على ما ذكرنا عن المفسرين . واختلفوا في ذلك الاسم ، فقال مجاهد ومقاتل : يا ذا الجلال والإكرام[١] .

وقال شعيب بن حرب : قال الذي جاء بعرشها : إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً ، لا إله إلَّا أنت ائت به ؛ فإذا هو مستقر عنده[٢] ، ونحو هذا قال الزهري[٣] .

وروت عائشة عن النبي ﷺ أن الاسم الذي دعا به آصف : يا حي يا قيوم ، وهو قول الكلبي[٤] .

وأمَّا تفسير قوله : ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فقد ذكرنا فيه قول محمد بن إسحاق ، وهو انتهاء طرفه إلى مداه ، وهذا ضد الارتداد ، وإنما يصح تفسيره بتقدير محذوف في الآية ، كأنه : قبل أن يرتد إليك طرفك بعد الانتهاء ، فحذف ذكر الانتهاء ؛ لأن الارتداد يدل عليه ؛ وذلك أنه لا يرتد إليه طرفه إلا بعد مده إيَّاه ، حتى ينتهي طرفه ثم يعود إليه[٥] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٣ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٦ عن مجاهد . وتفسير مجاهد ٢/ ٤٧٢ ، وتفسير مقاتل ٥٩ب ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٤ ، ولم ينسبه ، وزاد : والمنن العظام ، والعز الذي لا يرام .

(٢) ذكره الزَّجَّاج في معاني القرآن ٤/ ١٢١ ، غير منسوب ، ونسبه في الوسيط ٣/ ٣٧٨ ، إلى بكر بن عبدالله .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٣ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٦ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠أ .

(٤) ذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠أ ، وهو في تنوير المقباس ٣١٨ غير مرفوع ، وذكره مرفوعاً القرطبي ١٣/ ٢٠٤ ، وذكره البغوي منسوباً إلى عائشة ، ولعله أقرب ، والله أعلم . وكون يا حي يا قيوم هو الاسم الذي إذا دعي الله به أجاب ثابت ، فعن أنس ، قال : كنت مع النبي ﷺ ، فدعا رجل ، فقال : يا بديع السماوات ، يا حي ، يا قيوم ، إني أسألك ، فقال : «أتدرون بما دعا ؟ والذي نفسي بيده دعا الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب» . أخرجه البخاري ، الأدب المفرد ١٤١ ، باب : الدعاء عند الاستخارة ، وأخرجه أبو داود ٢/ ١٦٧ ، كتاب : الصلاة ، رقم ١٤٩٥ ، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ١/ ٣٨٦ ، رقم ١٢٢٣ ، وهو في صحيح الأدب المفرد ٢٦٢ ، رقم ٥٤٣ .

(٥) وجعله ابن كثير أقرب الأقوال . البداية والنهاية ٢/ ٢٤ .

وقال سـعيد بن جبير : قال لسليمان : انظر : إلى السماء فما طَرُف[١] حتى جاء به فوضعه بين يديه[٢] ، وعلى هذا حتى يرتد إليك طرفك من السماء .

ومعنى : ﴿يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ يعود إليك بصرك بعد مده إلى منتهاه .

وفسَّر مجاهد ارتداد الطرف تفسيراً صالحاً ، فقال : هو إدامة النظر حتى يرتد طرفه خاسئاً[٣] ، وعلى هذا معنى الآية أن سليمان يمد بصره إلى أقصاه وهو يديم النظر ، فقبل أن ينقلب إليه بصره حسيراً ، يكون قد أتى بالعرش .

وقال مقاتل : يقول قبل أن ينتهي إليك الذي هو على منتهى بصرك وهو جاءٍ إليك[٤] .

وقال الكلبي : يقول قبل أن يأتيك الشـخص من مد النظر[٥] ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، وكذلك قال أبو صالح : قبل أن يأتيك الشيء من مد البصر[٦] ، واختاره الفرَّاء[٧] ، وعلى هذا التفسير يجب أن يكون التقدير : قبل أن يرتد إليك مَنْ على منتهى طرفك ، وهذا التقدير بعيد ، ثم إتيان الشخص إليه من مد البصر لا يسمى ارتداداً إلا أن يكون قد خرج من عنده ، فالقول هو الأول ،

---

(١) الطَّرْف : إطباق الجفن على الجفن . تهذيب اللغة (طرف) ١٣/ ٣١٩ .

(٢) أخرجه ابن جريـر ١٩/ ١٦٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٧ عنه ، وعن سـعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠أ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٩ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠أ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٩ب .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٨٢ ، وهو في تنوير المقباس ٣١٨ بمعناه ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠أ عن قتادة .

(٦) ذكـره ابن قتيبة في غريـب القرآن ٣٢٤ ، ونسـبه إلى أبي صالح ، واقتصر عليه الهـوَّاري ٣/ ٢٥٤ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٤ عن سعيد بن جبير .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٤ .

ولهـذا قال قتادة : هو أن يبعث رسـولاً إلى منتهى طرفه ، فـلا يرجع حتى يؤتى به[١] ، فعلى هذا يصح أن يقال للرسـول إذا رجع إليـه : ارتد إليه ، ولو صح أن يحمل الطرف على من ينظر إليه ويبصره من بعيد يصح هذا التفسير الثاني ؛ ولكنه بعيد .

وفي ارتـداد الطرف قول ثالث ، قال أبو إسـحاق : قيل : هو مقدار ما يفتح عينه ثم يَطْرُف ، قال : وهذا أشـبه بارتداد الطرف ، ومثله من الكلام : فَعَل ذلك في لحظـة عين ؛ أي في مقدار ما نظر نظرة واحـدة[٢] ، وعلى هذا معنى الآية : إذا نظرت إلى شيء فقبل أن تَطْرُف يكون العرش عندك .

والإتيان بالعرش كان كرامة للولي ، ومعجزة للنبي ، فلا ينكر سرعة حصول ذلك ؛ إذ كان الله تعالى قادراً على تحصيلـه عنده في أسرع من لمحة ولحظة . فهذه ثلاثة أقوال في تفسير قوله : ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ .

قولـه تعالى : ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ : في الآية محذوف تقديـره : فدعا الله فأتى به ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ ؛ أي رأى العرش مستقراً عنده ثابتاً بين يديه . ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ : هذا النصر والتمكين في المـُلك من فضل ربي وعطائه[٣] .

قال قتـادة : والله ما جعله فخراً ولا بطراً ، ولكن جعلـه منَّةً لله وفضلاً منه ونعمةً[٤] ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ﴾ على ما أعطاني ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ .

---

(١) ذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠أ بمعناه .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢١ . وذكر هذا القول ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٤ ، ولم ينسبه .

(٣) تفسير ابن جرير ١٩/ ١٦٥ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٩ .

وقال مقاتل : ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ ، هذا السرير ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ أعطانيه[١] . يعني : جيء به في حال شركها قبل أن تسلم . ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ﴾ . قال : يقول : ليختبرني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ الله في نعمه إذ أُتيت بالعرش ، ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ إذ رأيت مَنْ هو دوني أعلم مني .

ثم عزم الله له على الشكر فقال : ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ ؛ أي لأجل نفسه يفعل ذلك[٢] ؛ لأن ثواب شكره يعود إليه ، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ، ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإفضال على من كفر نعمه[٣] .

٤١. وقوله : ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ﴾ . قال وهب ومحمد بن كعب والمفسرون : خافت الشياطين أن يتزوج سليمانُ بلقيسَ فتفشي عليه أسرار الجن ، ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده ، فأساءوا الثناء على بلقيس ليزهدوه فيها ، وقالوا : إن في عقلها شيئاً ، وإن رجلها كحافر الحمار ، فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها ، فذلك قوله : ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾[٤] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٩ب .

(٢) تفسير مقاتل ٥٩ب . وتبعه في ذلك الهوَّاري ٣/ ٢٥٥ ، فقال . . . كأنه وقع في نفسه مثل الحسد له ، ثم فكر ، فقال : أليس هذا الذي قدر على ما لم أقدر عليه مسخراً لي ؟ ونسبه إلى ابن عباس من دون إسناد ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٥ عنه من طريق عطاء الخرساني ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٩ عن السدِّي . وكيف يظن بنبي الله سليمان ـعليه السلامـ مثل ذلك ! والله أعلم .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٠ب ، وهو بنصه في تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٨ ، من دون نسبة ، ويمكن أن يحمل : الكريم هنا على الصفوح . تأويل مشكل القرآن ٤٩٤ .

(٤) بنصه في تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٨ ، غير منسوب . وذكره مطولًا الهوَّاري ٣/ ٢٥٦ ، ونسب بعضه إلى الكلبي ، وأورده مطولاً ابن جرير في التاريخ ١/ ٤٩٣ ، والتفسير ١٩/ ١٦٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٧ عن ابن عباس ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠ب عن وهب ومحمد بن كعب ، وذكره الفرَّاء في المعاني ٢/ ٢٩٤ بمعناه . قال ابن كثير : وهذا ضعيف . البداية والنهاية ٢/ ٢٤ ، ولم يبين سبب ضعفه ، والظاهر أنه يعني متنه ؛ لأنه لم يذكر إسناده ، والله أعلم . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٣ عن مجاهد وقتادة .

قال المفسرون : يقول : غيروا لها سريرها[١] . يقال : نكرته فتنكر ؛ أي غيرته فتغير[٢] .

ومعنى التنكير في اللغة : التغيير إلى حال ينكرها صاحبها إذا رآها[٣] .

قال قتادة ومقاتل : نكرته : أن يزاد فيه وينقص[٤] ، يقول : زيدوا في السرير وانقصوا منه ، فننظر إذا جاءت ﴿أَنَهْتَدِيٓ﴾ أتعرف السرير ؛ أي أتهتدي لمعرفته ، ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لا يعرفون[٥] . والقوم تقع على الرجال والنساء ، فلمَّا جاءت المرأة قيل لها :

٤٢ . ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ . قال قتادة : شِبْهُه ، وكانت تركته خلفها[٦] .

وقال مجاهد : جعلت تعرف وتنكر ، وعجبت من سرعته ، فقالت : ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾[٧] .

---

(١) ذكره البخاري عن مجاهد بلفظ : (غيروا) . كتاب : التفسير ، الفتح ٨/ ٥٠٤ ، وكذا عند الهوَّاري ٣/ ٢٥٥ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٥ ، ١٦٦ عن قتادة ومجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٠ عن مجاهد ، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٢ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ بنصه .

(٣) تهذيب اللغة (نكر) ١٠/ ١٩١ بمعناه .

(٤) تفسير مقاتل ٥٩ب . وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٨٢ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٦ ، ١٦٦ عن ابن عباس والضحاك ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٠ عن قتادة وعكرمة .

(٥) تفسير مقاتل ٥٩ب بنصه .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٨٢ ، وابن جرير ١٩/ ١٦٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٢ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩١ .

وقال مقاتل : عرفته ، ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها ، ولو قيل لها : أهذا عرشك ؟ لقالت : نعم[١] .

وقال عكرمة : كانت حكيمة ؛ قالت : إن قلت : هو هو ، خشيت أن أكذب ، وإن قلت : لا ، خشيت أن أكذب ، فقالت : ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ شبهه[٢] .

وقال الفرَّاء : كانت تعرف وتنكر ، فلم تقل : هو هو ، ولا : ليس هو ، فقالت : ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾[٣] .

قوله تعالى : ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ : مذهب مجاهد ومقاتل أن هذا من قول سليمان[٤] .

وعلى هذا للآية تأويلان :

أحدهما : وأوتينا العلم بقدرة الله على ما يشاء من قبل هذه المرأة ؛ أي من قبل مجيئها : مخلصين لله بالتوحيد ﴿مِن قَبْلِهَا﴾[٥] .

والثاني : وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها ، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ خاضعين لله .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٩ب بنصه . وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠ب عن الحسين بن الفضل .

(٢) بنصه في تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٩ ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٢ عن السدِّي .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٥ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٠أ . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٧ عن مجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٢ عن مجاهد ، وسعيد بن جبير . وتفسير مجاهد ٢/ ٤٧٣ ، واقتصر على هذا القول ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والسمرقندي ٢/ ٤٩٧ ، والماوردي ٤/ ٢١٥ ، وغيرهم .

(٥) تفسير مقاتل ٦٠أ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٢ عن زهير بن محمد ، واقتصر عليه الثعلبي ٨/ ١٣٠ب .

وقال آخرون : هذا من كلام المرأة ؛ وذلك أنها لَمَّا قالت : ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ قيل لها : فإنه عرشك ، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب[١] . قالت : ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ بصحة نبوة سليمان ﴿مِن قَبْلِهَا﴾ ؛ أي من قبل الآية في العرش ، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ ؛ أي طائعين منقادين لأمر سليمان من قبل أن جئنا . وهذا القول أليق بالمعنى ، وأشبه بظاهر التنزيل[٢] .

٤٣. قوله تعالى : ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي منعها من الإيمان بالله والتوحيد ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهو الشمس[٣] .

قال الفرَّاء : معنى الكلام : صدها من أن تعبدالله ما كانت تعبد ؛ أي عبادتها الشمس والقمر . وقد قيل : ﴿وَصَدَّهَا﴾ منعها سليمان ما كانت تعبد ، و(مَا) نصب ، والفعل لسليمان . ويجوز أن يكون الفعل لله على معنى : وصدها الله ما كانت تعبد[٤] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ ، كسرت الألف من (إِنَّ) على الاستئناف[٥] . أخبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت في ما بينهم ، ولم تعرف إلا عبادة الشمس . وذُكر في التفسير أنها كانت عاقلة ، ولم يصدها عن عبادة الله نقص العقل ، إنما صدها عبادة الشمس[٦] .

---

(١) وكانت قد خلفته وراء سبعة أبواب لَمَّا خرجت . تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٩ ، وقد أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٩ عن وهب بن منبه ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٣ عن يزيد بن رومان ، وهو من الأخبار الإسرائيلية .

(٢) واقتصر الواحدي على هذا القول في تفسيريه : الوسيط ٣/ ٣٧٩ ، والوجيز ٢/ ٨٠٤ ، ولم ينسبه .

(٣) تفسير مقاتل ٦٠أ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٠ب ، ولم ينسبه .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٥ ، ولم ينسب شيئاً من هذه الأقوال .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٥ بنصه .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٥ بمعناه .

وذكر الكسائي وجهاً آخر ، فقال : هذه الآية متصلة بالتي قبلها ، والمعنى : قال سليمان : ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا﴾ أن تؤتى العلم وأن تسلم عبادة غير الله وكفرها السابق[1] . وإذا جعلنا (مَا) في محل النصب جعلنا الصد متعدياً إلى مفعولين ، وليس يتعدى الصد إلى مفعولين إلا بواسطة حرف الجر ، كما تقول : صددت زيداً عن كذا[2] . قال الله تعالى : ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الرعد :٣٣] ، ولكن يجوز أن تجعل الصد بمعنى النفع ، فيتعدى إلى مفعولين ، أو يقال : التقدير : صدها عما كانت تعبد ، فحذف الجار ، كقوله : ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف :١٥٥] .

٤٤ . وقوله : ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ [النمل :٤٤] . قد ذكرنا أن الشياطين قالت لسليمان : إن رجلها كحافر الحمار .

قال ابن عباس : وكان لسليمان ناصح من الشياطين ، فقال له : كيف لي أن أرى قدمها من غير أن أسألها كشفه ؟ فقال : أنا أهريق لك في هذا الصرح ، يعني : القصر ماء ، وأبلط فوق الماء بالزَّجَّاج ، حتى تظن أنه ماء فترفع ثوبها فترى قدمها .

وقال المفسرون : أراد سليمان أن يعلم حقيقة ما قالت الجن ، وينظر إلى قدمها وساقها ، فهيئ له بيتٌ من قوارير فوق الماء ، وأُرسل فيه السمك لتحسب أنه الماء ، ووُضع سرير سليمان في صدر البيت ، و﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾[3] .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٢ عن سعيد بن جبير ؛ أي بصدودها كانت من قوم كافرين ، وإنما وصفها ، وليس بمستأنف .

(٢) ذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢١٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٠أ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٦ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٦٨ عن وهب بن منبه ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٣ عن ابن عباس ومحمد بن إسحاق ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠ب عن وهب بن منبه ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٩ ، والوجيز ٢/ ٨٠٥ بمعناه ، ولم ينسبه . وأمَّا القول الذي ذكره عن ابن عباس فلم أجده . ومثل هذا التفصيل مما لم يثبت في الكتاب والسُّنة يتعين تركه ، ولا سيما ما يتعلق منه برغبة نبي الله سليمان ـعليه السلامـ رؤية قدمها وساقها .

والـصرح في اللغة معناه : القصر . قال ذلك أهل اللغة والتفسـير[١] ، وهو قول ابن عباس ومقاتل[٢] .

وقال أبو عبيد : كل بناء موثق من صخر أو غير ذلك فهو صرح[٣] ، وأنشـد هو وغيره بيت أبي ذؤيب :

بـهـنَّ نَـعَـامٌ بَـنَـاهـا الـرِّجـالُ تشـبهُ أعلامُهُـنَّ الصُّروحَا[٤]

قال أبو عبيدة : كل بناء بنيته من حجارة فهو : نَعَامة ، والجماع : نَعَام[٥] .

وقال أبو إسـحاق : الصرح في اللغة : القصر والصحن ، يقال هذه سـاحة الدار ، وصحنـة الدار ، وباحة الدار ، وقاعة الـدار ، كله في معنى الصحن[٦] ، ونحو هذا ذكر ابن قتيبة ، فقال : الصرح : بلاط اتُّخِذ لها من قوارير ، وجعل تحته ماء وسمك[٧] .

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٩٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠أ ، وتنوير المقباس ٣١٩ .

(٣) تهذيب اللغة (صرح) ٤/ ٢٣٧ بلفظ : (الصرح : كل بناء عالٍ مرتفع ، وجمعه : صروح) .

(٤) مجـاز القرآن ٢/ ٩٥ ، ونسـبه إلى أبي ذؤيب ، وعنـه ابن الأنباري في الزاهر في معـاني كلمات الناس ١/ ١٥٥ ، وأنشده ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٥ ، واقتصر على الشطر الثاني منه ، ولفظه : (تحسبُ أعلامَهُنَّ الصُّروحَا) .
وأنشـده الأزهري ٤/ ٢٣٧ عن أبي عبيد بلفظ : (تحسـبُ آرامَهُنَّ الصُّروحَا) . وأنشـده ابن جرير ٢٠/ ٧٧ ، كإنشـاد أبي عبيدة ، ولم ينسبه ، وأنشده الغزنوي في وضح البرهان ٢/ ١٤١ ، مع بيت آخر بتقديم وتأخير ، ولفظه :

عـلى طـرقٍ كـنـحـورِ الـركـا بِ تحسـبُ أعلامَهُـنَّ الصُّروحَـا

وهو كذلك في ديوان أبي ذؤيب الهذلي ٦٣ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٩٥ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٢ .

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ ، من دون نسبة ، وصدَّره بقول : (ويقال) . وتفسير مقاتل ٦٠أ بمعناه .

وقال مجاهد : الصرح : بركة ماء ضرب عليها سليمان قوارير ؛ ألبسها[١] .

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ وهي معظم الماء[٢] . ولُجَّة البحر حيث لا ترى أرضاً ولا جبـلًا[٣] . ومرَّ الكلام في اللجة عند قوله : ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ [النور :٤٠][٤] . قال المفسرون : حسبته ماءً[٥] .

﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ : والساق : لكل دابة وشجرة وطائر وإنسان ، والأَسْوَق : الطويل عَظْم الساق ، والمصدر السَّوَق[٦] . قال رؤبة :

قُبٌّ منَ التَّعداءِ حُقْبٌ في سَوَقْ[٧]

ونذكر باقي الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص :٣٣][٨] ، وقوله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم :٤٢] إن شاء الله[٩] .

---

(١) ذكره البخاري عنه ، كتاب : التفسير ، الفتح ٨/ ٥٠٤ ، ووصله ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٣ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٤٧٣ .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣١أ ، والطوسي ٨/ ٩٩ ، ولم ينسباه ، وهو كذلك في الوسيط ٣/ ٣٧٩ ، والوجيز ٢/ ٨٠٥ ، وفي تفسير مقاتل ٦٠أ : يعني : غدير الماء . وفي تنوير المقباس : ٣١٩ : ماءً غمراً ، يعني : كثيراً .

(٣) ومنه قول شمِر : لُجُّ البحر : الماء الكثير الذي لا يُرى طرفاه . تهذيب اللغة (لج) ١٠/ ٤٩٤ .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال أبو عبيدة : لجي مضاف إلى اللجة ، وهو معظم البحر ، وقال الليث : بحر لجي واسع اللجة ، وقال الفرَّاء : بحر لُجي ولِجي ، كما يقال : سُخري وسِخري ، وقال المبرِّد : اللجي العظيم اللجة ، ومعناه : كثرة الماء .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٣ عن عبدالله بن شداد .

(٦) العين (سوق) ٥/ ١٩٠ . ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (ساق) ٩/ ٢٣٢ .

(٧) العين (سوق) ٥/ ١٩٠ ، غير منسوب . وذكره الأزهري (ساق) ٩/ ٢٣٢ من إنشاد الليث ، وكذا في اللسان ١٠/ ١٦٨ ، وهو في ديوانه ١٠٦ ، الأقب : الضامر ، وجمعه : قُب . اللسان (قبب) ١/ ٦٥٨ .

(٨) ذكر الواحدي في تفسير هذه الآية القراءات في قوله تعالى : ﴿بِالسُّوقِ﴾ ، ولم أجد فيه ما يتعلق بالساق ومعناها في اللغة ، والله أعلم .

(٩) تكلم الواحدي في تفسير هذه الآية من سورة القلم عن المراد بالساق في الآية ، وذكر أقوال المفسرين وأهل اللغة في ذلك ، ولم أجد فيه الحديث عن معاني الساق .

قال ابن عباس : لَمَّا كشفت عن ساقها رأى سليمان قدماً لطيفاً ، وساقاً حسناً خَدَلَّجاً ، أَزَبَّ[١] ، فقال لناصحه من الشياطين : كيف لي أن أقلع هذا الشعر من غير مضرة للجسد ؟ فدله على عمل النُّورَة[٢] ، والحمامات من يومئذٍ[٣] .

وقال مقاتل : نظر إليها سليمان فإذا هي أحسن الناس ساقين وقدمين ، ورأى على ساقها شعراً كثيراً ، فكره سليمان من ذلك ، فقالت : إن الرمانة لا تدري ما هي حتى تذوقها ، فقال سليمان : ما لا يحلو في العين لا يحلو في الفم[٤] .

قوله : ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ ؛ أي قال سليمان لَمَّا رأى ساقها وقدمها ، ناداها : ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ ؛ أي مملس بالزَّجَّاج ، وليس ببحر[٥] . وذكرنا الكلام في الممرد عند قوله : ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج :٣][٦] .

---

(١) الخَدَلَّجَةُ بتشديد اللام : الممتلئ الذراعين ، والساقين . تهذيب اللغة (خدج) ٧/ ٦٣٦ ، واللسان ٢/ ٢٤٨ ، والأزب : كثير الشعر . اللسان (أزب) ١/ ٢١٣ .

(٢) النُّورَة من الحجر : الذي يُحرق ويسوَّى منه الكِلْس ، ويحلق به شعر العانة . تهذيب اللغة (نور) ١٥/ ٢٣٤ ، واللسان ٥/ ٢٤٤ .

(٣) بنصه في تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٩ ، وذكر نحوه الثعلبي ٨/ ١٣١ب عن ابن عباس ، وذكره هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٧ ، من دون نسبة ، وأخرج ابن جرير ١٩/ ١٦٩ اتخاذ النورة عن مجاهد ، وعكرمة ، وأبي صالح ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٤ عن ابن عباس ، ومجاهد ، والسدِّي . ومثل هذا القول لا تحتمله الآية ، ولا تدل عليه ، وهل يليق بنبي أن يتحايل على امرأة لينظر إلى ساقيها ؟ ولذا قال ابن كثير بعد إيراده هذا القول : في هذا نظر . البداية والنهاية ٢/ ٢٤ ، وأَوْلى ما تفسر به الآية أن سليمان ـعليه السلامـ أراد إثبات عظمة ما أعطاه الله من الملك بذلك ، ويؤيد هذا أن ما أراده نبي الله سليمان قد وقع وحصل ، فعلمت ملكة سبأ أن ملكه أعظم من ملكها ، وأنه من الله تعالى ، ولذا قالت : ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، والله أعلم .

(٤) تفسير مقاتل ٦٠أ ، وهذا كلام لا يليق إيراده في حق الأنبياء ، وكان الأَوْلى بالواحدي أن ينبه على ذلك ، والله أعلم .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ ، وذكره في تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٩ ، ولم ينسبه .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال ابن عباس : المريد الذي يتمرد على الله عز وجل ، وقال أهل اللغة في المريد قولين ؛ أحدهما : إنه المتجرد للفساد ، والثاني : إنه العاري من الخير ، ومنه قوله تعالى : ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ [النمل :٤٤] ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة :١٠١] .

قال مقاتل : لَمَّا رأت السرير والصرح علمت أن ملكها ليس بشيء عند ملك سليمان ، وأن ملكه من الله ، فقالت حين دخلت الصرح : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ يعني : بعبادة الشمس ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ ، وأخلصت ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ بالتوحيد ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خرَّت لله ساجدة ، وتابت إلى الله من شركها ، فاتخذها سليمان لنفسه ، وولدت له داود بن سليمان بن داود ، وأمر لها بقرية من الشام لها خراجها ، وكانت عذراء فاتخذت الجن الحمامات من أجلها[١] .

وقال النبي ﷺ : «كانت من أحسن نساء العالمين ساقين ، وهي من أزواج سليمان في الجنة» ، فقالت عائشة أم المؤمنين للنبي ﷺ : هي أحسن ساقاً مني ؟ فقال النبي ﷺ : «أنت أحسن ساقين منها في الجنة»[٢] .

فكان سليمان يسير بها معه إذا سار ، هذا قول مقاتل[٣] .

وقال محمد بن إسحاق : أدخلها سليمان الصرح ليريها ملكاً وسلطاناً هو أعظم من سلطانها ، فلمَّا وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله تعالى فأسلمت ، وحسن إسلامها ، فقال لها سليمان حين أسلمت وفرغ من أمرها : اختاري رجلاً أزوجكه ، فقالت : ومثلي يا نبي الله ينكِح الرجال ؟ وقد كان لي من الملك والسلطان ما كان ! قال : نعم ؛ إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ، فقالت : زوجني -إذا كان ذلك- ذا تُبَّع ، ملك همدان ، فزوجه إياها ثم ردَّها إلى اليمن[٤] .

---

(١) تفسير مقاتل ٦٠أ . وذكره بنحوه الثعلبي ٨/ ١٣١ب ، ولم ينسبه ، وذكر زواجها من نبي الله سليمان ، وابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٢٤ ، ووصف هذا القول بأنه أشهر وأوضح ، والله أعلم .

(٢) ذكره بنصه مقاتل ٦٠أ ، هكذا من دون إسناد ، وذكره القرطبي ١٣/ ٢١٠ ، وصدَّره بقوله : وفي بعض الأخبار ، وعزاه إلى القشيري .

(٣) تفسير مقاتل ٦٠ب .

(٤) أخرجه ابن جرير في التاريخ ١/ ٤٩٤ من طريق ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣١ب بطوله . وكل ما ذكر في هذا مما لا دليل عليه ، والأحسن أن يقال ما ذكره الواحدي بعد ذلك عن عبدالله بن عتبة .

وقال عون بن عبدالله : جاء رجل إلى عبدالله بن عتبة ، فسأله : هل كان سليمان تزوجها ؟ قال : عهدي بها أن قالت : ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] . يعني : أنه لا يعلم ذلك ، وآخر ما سمع من حديثها أن قالت : ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ .

٤٥. وقوله : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ إلى قوله : ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ . قال مجاهد ومقاتل : مؤمنون وكافرون[٢] .

وقال الكلبي : مصدق ومكذب ، وهو قول قتادة[٣] .

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ : يقول كل فريق منهم : الحق معي[٤] . قال ابن عباس ومقاتل : وخصومتهم الآية التي في الأعراف : ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف :٧٥ ، ٧٦][٥] .

٤٦. وقوله : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النمل :٤٦] ، كان هذا القول من صالح -عليه السلام- للفريق المكذب .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٨ ، واقتصر على هذا القول في الوسيط ٣/ ٣٧٩ ، وهذه إجابة حسنة توقف ما في النفوس من التطلع عما سكت عنه القرآن ، مما لا فائدة من العلم به .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ب . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٧٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٨ عن مجاهد ، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٤ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٨ ، وذكره الهوَّاري ٣/ ٢٥٧ ، والثعلبي ٨/ ١٣٢أ ، ولم ينسباه . قال الفرَّاء : مختلفون ؛ مؤمن ومكذب . معاني القرآن ٢/ ٢٩٥ ، وليس بين القولين تعارض ، ولذا قال ابن جرير ١٩/ ١٧٠ : فريق مصدق صالحاً مؤمن به ، وفريق مكذب به ، كافر بما جاء به .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٣ بنصه . وذكره في تفسيريه : الوسيط ٣/ ٣٨٠ ، والوجيز ٢/ ٨٠٥ ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير مقاتل ٦٠ب .

قال أبو إسحاق : وطلبَ الفرقة الكاذبة على تصديق صالحٍ العذاب ، فقال : ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[١] .

وقال مقاتل : قالوا : يا صالح ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، فردَّ عليهم صالح : ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٢] ، وحذف هاهنا ذكر طلبهم العذاب ؛ لذكره في سورة الأعراف ، وغيرها[٣] .

وقوله : ﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد : بالعذاب قبل الرحمة[٤] ؛ أي لِمَ قلتم : إن كان ما أتيت به حقاً فأتنا بالعذاب[٥] . والحسنة والسيئة جاءتا في التنزيل لا بمعنى الطاعة والمعصية ، كقوله : ﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف :٩٥][٦] ، وقوله : ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الأعراف :١٣١] ، وقد مرَّ[٧] .

قوله تعالى : ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ . قال مقاتل : هلَّا تستغفرون الله من الشرك ، لكي ﴿تُرْحَمُونَ﴾ فلا تعذبوا في الدنيا[٨] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٣ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ب .

(٣) قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف :٧٧] .

(٤) تفسير مقاتل ٦٠ب ، وتفسير الهوَّاري ٣/ ٢٥٧ ، ولم ينسبه . وأخرج ابن جرير ١٩/ ١٧١ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٨ عن مجاهد : السيئة : العذاب ، والحسنة : الرحمة ، وفي رواية : العافية ، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٤ من دون ذكر العافية .

(٥) ذكره في الوسيط ٣/ ٣٨٠ ، ولم ينسبه .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : معنى السيئة والحسنة هاهنا : الشدة والرخاء ، عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد ، قال عطاء عن ابن عباس : يريد : بدل البؤس والمرض الغنى والصحة .

(٧) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال ابن عباس والمفسرون : معنى الحسنة : يريد بها : الغيث ، والخصب ، والثمار ، والمواشي ، والألبان ، والسعة في الرزق ، والعافية والسلامة .

(٨) تفسير مقاتل ٦٠ب . وأخرج أوله ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٩ عن السدِّي .

٤٧. قوله عز وجل : ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[١] . قال ابن عباس والمفسرون : تشاءمنا بك وبمن معك على دينك[٢] .

قال مقاتل : وذلك أنه قحط المطر عنهم وجاعوا فقالوا : أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك ، فقال لهم صالح : ﴿طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾[٣] . قال ابن عباس : الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم[٤] .

وقال أبو إسحاق : أي ما أصابكم من خير أو شر فمن الله[٥] .

وقال الفرَّاء : يقول هو في اللوح المحفوظ عند الله ، قال : وهو بمنزلة قوله : ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس :١٩] ؛ أي لازم لكم ما كان من خير أو شر ، فهو في رقابكم لازم ، وقد بيَّنه الله في قوله : ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء :١٣][٦] ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف :١٣١][٧] .

---

(١) أصل : ﴿اطَّيَّرْنَا﴾ تطيرنا ، فأدغمت التاء في الطاء ؛ لأنها من مخرجها . معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥٠ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٥٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ب بنصه ، وتفسير ابن جرير ١٩/ ١٧١ ، وتنوير المقباس ٣١٩ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٢أ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٠ب . وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٢أ ، ولم ينسبه .

(٤) ذكره بنصه في الوسيط ٣/ ٣٨٠ ، ونسبه إلى ابن عباس . وفي تنوير المقباس ٣١٩ : شدتكم ورخاؤكم من عند الله .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٣ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٥ .

(٧) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : التطير : التشاؤم في قول جميع المفسرين . وقوله تعالى : ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ هو في الأصل : يتطيروا ، فأدغمت التاء في الطاء لأنهما من مكان واحد ، من طرف اللسان وأصول الثنايا .

وقولــه : ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ . قال ابن عباس : تختبرون بالخير والشر[١] ، وقال عطاء عنه والقرظي : تعذبون بذنوبكم[٢] .

وقال الكلبــي : تفتنون حتى تجهلون أنه من عند الله[٣] ، يعني أن تطيركم بي فتنة ، وقيل : تختبرون بإرسالي إليكم[٤] .

٤٨. وقولــه : ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : يريد المدينة التي كان فيها صالح ، وهي : الحِجْر[٥] . ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ : ذكرنا الكلام في تفســير الرهط عند قوله : ﴿أَرَهْطِيٓ﴾ [هــود :٩٢] ، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ [هود :٩١][٦] . ويُجمع الرهط : أَرْهُطاً ، وأراهط ، ومنه :

يــا بــؤسَ لــلــحــربِ الَّــتــي وضعتْ أراهطَ فاســتراحُوا[٧]

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٣٢أ ، وهو في الوســيط ٣/ ٣٨٠ ، والوجيز ٢/ ٨٠٦ غير منسوب . وفي تنوير المقباس ٣١٩ : تختبرون بالشــدة والرخاء . وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٩٩ عن قتادة : تبتلون بطاعة الله ومعصيته .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٢أ .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٢أ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٥٨ بمعناه ، ولم ينسبه .

(٤) ذكره الثعلبي ٨/ ١٣٢أ ، ولم ينسبه ، وكذا الزَّجَّاج ٤/ ١٢٣ .

(٥) تفســير مقاتل ٦٠ب . وأخرجه ابــن جرير ١٩/ ١٧٢ عن ابــن عباس ومجاهد ، وتفســير الثعلبي ٨/ ١٣٢أ . الحجر : اســم ديــار ثمود بوادي القرى ، بين المدينة والشــام ، وهــي بيوت منحوتة في الجبال ، وفيها البئر التي كانت تردها الناقة . معجم البلدان :٢/ ٢٥٥ ، ومراصد الإطلاع ١/ ٣٨١ ، وفي معجــم المعالم الجغرافية ٩٣ : الحجر : رأس وادي القرى ، وأهــاه اليوم : قبيلة عنزة ، وبه زراعة حسنة ، وأهم ما هنالك عجائب آثار ثمود ، وتبعد عن مدينة العلا ٢٢كم شمالاً ، والعُلا على ٣٢٢كم على سكة الحديد ، شمال المدينة النبوية ، وأصبح وادي القرى يسمى وادي العلا .

(٦) قال الواحدي في تفســير هذه الآيــة : قال أبو عبيد عن أبي زيد : النفــر والرهط : ما دون العشرة من الرجال ، وقال أبو العباس : المعشر والنفر والقــوم والرهط معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم ، وهذا للرجال من دون النساء ، وقال الليث : الرهط عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة .

(٧) أنشــده الأزهري ٦/ ١٧٦ ، من دون نسبة ، وأنشده ســيبويه مستدلاً به على إقحام اللام بين المضاف والمضاف إليه . الكتاب ٢/ ٢٠٧ ، ولم ينســبه ، وكذا ابن جني في الخصائص ٣/ ١٠٦ . وفي الحاشية : =

ولا واحد للرهط من لفظه[١] . فلذلك قيل : ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ ، والمراد به تسعة رجل ، وليس المراد به : رهط تسعة ، على أن يجمع الرهط فيبلغوا خمسين أو قدره .

قال ابن عباس : كانوا تسعة من أشرافهم ، وهم غواة قوم صالح[٢] ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعملون فيها بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ لا يطيعون الله ، قاله مقاتل[٣] ، وقال الكلبي : لا يدعون إلى توحيد الله[٤] .

٤٩. قوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ : ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾ لفظٌ يصلح أن يراد به مثال الماضي ، ويصلح أن يراد به مثال الأمر[٥] .

وفي قوله : ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ ، و : ﴿لَنَقُولَنَّ﴾ وجهان من القراءة ؛ أحدهما : التاء وضم اللام من الفعلين على مخاطبة الجماعة[٦] ، والثاني : النون وفتح اللام

= هو سعد بن مالك البكري . والبيت من قصيدة له في الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بن تغلب ، وهو فيها يحضِّض على الحرب ، ويعرِّض بالحارث بن عباد البكري الذي كان اعتزل الحرب ، وقوله : وضعت ؛ أي حطت قوماً بالقعود عنها ، وأسقطتهم عن مرتبة الشرف ، فاستراحوا وآثروا السلامة كالنساء ، ولم يعانوا أخطار المجد والسيادة . وعن ابن جني ذكره البغدادي في الخزانة ١١/ ١٤١ ، ولم ينسبه .

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥٠ وتهذيب اللغة (رهط) ٦/ ١٧٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٠ ، وفيه ذكر أسمائهم ، وذكر أسماءهم مقاتل ٦٠ب ، والثعلبي ٨/ ١٣٢أ ، وهو مما لا دليل عليه . وقال الزَّجَّاج ٤/ ١٢٣ : هؤلاء عتاة قوم صالح .

(٣) تفسير مقاتل ٦٠ب .

(٤) في تنوير المقباس ٣١٩ : لا يأمرون بالصلاح ولا يعملون به . قال مالك بن دينار : فكم اليوم في كل قبيلة من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٠ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٩٤ ، وفيه : (ألا ترى أنك تقول : تقاسموا أمسِ ، إذا أردت الماضي ، وتقاسموا غداً ، إذا أردت به الأمر) ، وذكر هذا القول الثعلبي ٨/ ١٣٢أ .

(٦) أي ضم التاء من : (لنبيتُنه) ، وضم اللام من : (لنقولُن) .

على إخبار الجماعة عن أنفسهم[١] ؛ فمن قرأ بالتاء كان قوله : (تَقَاسَمُوا) أمراً ، والمعنى : قال بعضهم لبعض : احلفوا لتهلكن صالحاً ، وجعل : (لَنُبَيِّتَنَّهُ) جواباً لتقاسموا ؛ لأن هذه الألفاظ التي تكون من ألفاظ القسم تُتَلقى بما تُتَلقى به الأيمان ، كقوله : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام :١٠٩] و ﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ [فاطر :٤٢] ، ومن قرأ : (لَنُبَيِّتَنَّهُ) بالنون جاز أن يكون (تَقَاسَمُوا) أمراً ، كأنهم قالوا : أَقْسِموا لنفعلن كذا وكذا[٢] ، والذين أمروهم بالقسم داخلون معهم في الفعل ، ألا ترى أنك تقول : قوموا نذهبْ إلى فلان ، ويجوز على هذا الوجه من القراءة أن يكون قوله : (تَقَاسَمُوا) خبراً ، والمعنى : قالوا متقاسمين لنفعلن كذا . وهذا قول الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، وأبي علي[٣] .

ومعنى : (لَنُبَيِّتَنَّهُ) لنقتلنه (وَأَهْلَهُ) بياتاً ، قاله ابن عباس[٤] . ومضى تفسير البيات عند قوله : ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء :١٠٨][٥] .

قوله : (وَأَهْلَهُ) . قال ابن عباس : يريدون بني عبيد ، وكانوا آمنوا معه[٦] .

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بالنون في الموضعين ، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء في الموضعين . انظر السبعة في القراءات ٤٨٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٩٤ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٨ . قال النحاس : وهذا أحسن ما قُرِئ به هذا الحرف ؛ لأنه يدخل فيه المخاطبون في اللفظ والمعنى . إعراب القرآن ٣/ ٢١٥ .

(٢) (وكذا) في نسخة (ب) .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٩٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٢ ، وتفسير مقاتل ٦٠ب .

(٥) أحال الواحدي في تفسير البيات عند هذه الآية على الآية رقم : ٨١ من سورة النساء ، وهي قوله تعالى : ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ ، وفيها قال الواحدي في تفسير البيات : قال الزَّجَّاج : كل أمر فكر فيه ، وخيض فيه بليل ، فقد بيت ، يقال : هذا أمر قد بيت بليل ، ودبر بليل ، بمعنى واحد . . . . وهو قول أبي عبيدة وأبي العباس ، وجميع أهل اللغة .

(٦) قال الحسن : أهله : أمته الذين على دينه . تفسير الهوَّاري ٣/ ٢٥٨ .

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ . قال مقاتل : يعني : ذا رحم صالح ، إن سألونا عنه[١] .

وقال ابن عباس : يريدون قومه ولد عبيد ، وهم : نفر من ثمود ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ ما قتلناه وما ندري من قتل صالحاً وأهله[٢] . والمهلك يحتمل أمرين : يجوز أن يكون إهلاك أهله ، ويجوز أن يكون الموضع[٣] .

وروى أبو بكر عن عاصم : (مَهلَك) بفتح الميم واللام يريد : الهلاك ، يقال : هلك يهلك مَهلَكاً ، كما أن المصدر في : ضرب يضرب مَضرَباً بفتح الراء ، ويكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ، كما تقول : هلاك أهله . وحكي أنه يقال : هلك بمعنى أهلك ، في لغة تميم ، فيكون المهلَك على هذا مصدراً مضافاً إلى المفعول به ، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام ، ﴿مَهْلِكَ﴾ فيجوز أن يكون اسم المكان على : ما شهدنا موضع هلاكهم ، ومكانه فيكون المهلِك كالمجلس في أنه يراد به موضع الجلوس ، ويجوز أن يريد به المصدر ؛ لأنه قد جاء المصدر من فَعَل يفعِل على مَفْعِل ، كقوله : ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [آل عمران :٥٥] ، و﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة :٢٢٢] ، والأول أكثر[٤] .

---

(١) تفسير مقاتل ٦٠ب .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ب .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٥ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٩٥ .

في قوله تعالى ﴿مَهْلِكَ﴾ ثلاث قراءات :

١- قرأ عاصم في رواية أبي بكر : (مَهلَك) بفتح الميم واللام .

٢- قرأ عاصم في رواية حفص : ﴿مَهْلِكَ﴾ بفتح الميم وكسر اللام .

٣- قرأ الباقون : (مُهلَك) بضم الميم وفتح اللام .

السبعة في القراءات ٤٣٨ ، قال ابن خالويه : فمن ضم جعله مصدراً من أهلك مُهلَكاً ، مثل ﴿أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء :٨٠] ، ومن كسر اللام أو فتحها جعله مصدر هلك ثلاثياً لا رباعياً . إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٥٤ .

قال أبو إسحاق : وكان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيتوا صالحاً ، ويقتلوه وأهله في بياتهم ، ثم ينكرون عند أولياء صالح أنهم شهدوا مهلكه ، ومهلك أهله ، ويحلفون إنهم لصادقون ، وكان هذا مكراً عزموا عليه[١] .

٥٠. قال الله عز وجل : ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا﴾ ؛ أي حين أرادوا قتل صالح[٢] . ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ : جازيناهم جزاءَ مكرهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكر الله بهم .

٥١. قوله تعالى : ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ : وقُرِئ : ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ بالفتح[٣] . قال الفرَّاء : مَنْ كَسَرَ استأنف ، وهو يُفَسَّرُ به ما كان قبله ، مثل قوله : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عبس :٢٤ ، ٢٥][٤] . ومن فتح ردَّه على إعراب ما قبله ، فتكون (أَنَّا) في موضع رفع بجعلها تابعة للعاقبة[٥] ، وإن شئت جعلتها نصباً من جهتين ؛ إحداهما : أن تردها على موضع (كَيْفَ)[٦] ، والأخرى : أن تكون خبر (كَانَ) على معنى : كان عاقبة مكرهم تدميرَنا إيَّاهم[٧] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٢ عن قتادة .

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بكسر الهمزة . انظر السبعة في القراءات ٤٨٤ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٩٦ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٨ .

(٤) الشاهد من الآية قراءة الكسر في : ﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾ ، قرأ بها ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر . انظر السبعة في القراءات ٦٧٢ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٣٩٨ .

(٥) أي بدل كل ، كما سيأتي ذكره عن أبي علي .

(٦) على أن ﴿كَيْفَ﴾ مفعول به .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٩٦ ، وفيه : (والأخرى أن تَكُرَّ ﴿كَانَ﴾ . . . .) . وفي الحاشية : أي تنوي تكرارها . قال النحاس عن هذا الوجه : وهذا متعسف ، ثم ذكر خمسة أوجه في فتح الهمزة ، وقال عن الوجه الأول : وهذا لا يحصَّل ؛ لأن كيف للاستفهام ، و﴿أَنَّا﴾ غير داخل في الاستفهام .

قال أبو علي : من كسر (إِنَّا) فهو استئناف وتفسير للعاقبة ، كما أن قوله : ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة :٩] تفسير للوعد[١] ، وتكون : كان ، التي بمعنى : وقع[٢] ، والمعنى : فانظر : على أي حال وقع عاقبة مكرهم ؛ أي أحسناً وقع عاقبة مكرهم[٣] أم سيئاً ، ومن فتح جاز أن يكون : (كَانَ) على ضربيها ، فإن حملته على : وقع ، جاز في (أَنَّا) أمران ؛ أحدهما : أن يكون بدلاً من قوله : ﴿عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ ، والثاني : أن يكون محمولاً على مبتدأ مضمر ، كأنه : هو أنَّا دمرناهم ، أو ذاك أنَّا دمرناهم . وإن حملت (كَانَ) على المقتضية الخبر جاز في : (أَنَّا) أمران ؛ أحدهما : أن يكون بدلاً من اسم كان الذي هو العاقبة ، وإذا حملته على ذلك كان (كَيْفَ) في موضع خبر كان ، [والآخر : أن يكون خبرَ كان[٤] ، ويكون موضعه نصباً بأنه خبر كان][٥] كأنه كان عاقبة مكرهم تدميرَهم ، ويكون : (كَيْفَ) في موضع حال[٦] .

قال أبو إسحاق : من قرأها بالكسر كان المعنى : (فَانْظُرْ) أي شيء ﴿عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ ، ثم فسَّر فقال : ﴿أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ﴾ فدل على أن العاقبة : الدمار ، ومن قرأ : ﴿أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ﴾ أضمر في الكلام شيئاً ، على تقدير : ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ ، العاقبة : أنَّا دمرناهم ، فتكون (أَنَّا) في موضع رفع على هذا التفسير[٧] .

إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٥ .

(١) يعني به المذكور في صدر الآية ، وهو قوله تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ؛ فجملة ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ جملة تفسيرية للوعد .

(٢) أي كان التامة التي لا اسم لها ولا خبر .

(٣) في نسخة ب : (أمرهم) .

(٤) أي جملة ﴿أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ﴾ التي كانت في الوجه الأول بدلاً من العاقبة .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٩٦ بتصرف .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٤ .

واختلف قول المفسرين في كيفية هلاك هؤلاء النفر ، فقال ابن عباس : أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه ، فأتى التسعة دار صالح شاهرين[١] سيوفهم ، فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ، ولا يرون الملائكة فقتلتهم[٢] ، وهذا قول الكلبي .

وقال قتادة : سلَّط الله عليهم صخرة فدمغتهم[٣] .

وقال مقاتل : نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ؛ ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل ، فأهلكهم[٤] .

وقال السدِّي : خرجوا ليأتوا صالحاً ، فنزلوا جُرُفاً[٥] من الأرض يكمنون فيه فانهار عليهم[٦] .

وقوله : ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني : بصيحة جبريل[٧] .

---

(١) (شاهرين) في نسخة (ج) .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٢ب ، ونسبه إلى ابن عباس ، وفيه : (أرسل الله ـ عز وجل ـ الملائكة ليلًا فامتلأت بهم دار صالح) . وذكره الهوَّاري ٣/ ٢٥٨ ، من دون نسبة ، ونحوه عند ابن جرير ١٩/ ١٧٣ من كلام ابن إسحاق .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٢ ، واقتصر عليه الزَّجَّاج ٤/ ١٢٤ ، ولم ينسبه ، وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٣٢ب .

(٤) تفسير مقاتل ٦٠ب . وليس فيه ذكر سفح الجبل . وقد ذكره عنه بهذا اللفظ الثعلبي ٨/ ١٣٢ب .

(٥) الجُرُف : ما ينجرف بالسيول من الأودية . غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٢ ، وضم الراء وكسرها وجهان ؛ وقد قُرِئ بهما في قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ . السبعة في القراءات ٣١٨ ، وكَمِن له ، كنَصَر وسمِع ، كُموناً : استخفى . القاموس المحيط (كمن) ١٥٨٤ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٢ب ، وفيه : (فنزلوا خرقاً) . أخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٣ عن عبدالرحمن بن زيد .

(٧) تفسير مقاتل ٦٠ب .

٥٢. قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾. قال الزَّجَّاج: نصب (خاويةً) على الحال. المعنى: فانظر: إلى بيوتهم خاويةً[(١)]، وهذا كقوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢][(٢)]، و﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، وقد مرَّ[(٣)].

قال ابن عباس: يريد ليس فيها داعٍ ولا مجيب، وقال مقاتل: يعني خراباً ليس لها ساكن[(٤)].

ومضى تفسير الخاوية في سورة البقرة[(٥)].

قوله: ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾. قال ابن عباس ومقاتل: بما أشركوا[(٦)]؛ أي بشركهم بالله أهلكناهم حتى صارت منازلهم خاوية.

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٦.

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾، الدين: الطاعة هاهنا، والواصب: الدائم، وهو قول ابن عباس وجميع المفسرين، يقال: وصب الشيء يصب وصوباً إذا دام، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٩]. البسيط ٣/ ١٢٧أ، النسخة الأزهرية، ولم أجد فيه إعراب ﴿وَاصِبًا﴾.

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: قال أبو إسحاق: ﴿شَيْخًا﴾ منصوب على الحال، والحال هاهنا نصْبُه من لطيف النحو وغامضه؛ وذلك أنك إذا قلت: هذا زيد قائماً، فإذا كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيداً أنه زيد لم يجز هذا؛ لأنه لا يكون زيداً إلا ما دام قائماً فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنما تقول للذي يعرف زيداً: هذا زيد قائماً فيعمل في الحال التنبيه. المعنى: انتبه لِزيد في حال قيامه، أو: أشير لك إلى زيد في حال قيامه.

(٤) تفسير مقاتل ٦٠ب بلفظ: (خاوية ليس بها سكان).

(٥) عند قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [٢٥٩]. قال الواحدي في تفسير الخاوية: قال أبو عبيد عن أبي زيد والكسائي: خوى الدار تخوي خُوِيّاً إذا خلت. قال الكسائي: ويجوز خَوِيت الدار. الأصمعي: خوى البيت فهو يخوي خَواءً ممدود، إذا ما خلا من أهله. الخَوَى: خلو البطن من الطعام، وأصل معنى هذا الحرف الخلو.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٣ عن ابن عباس. وتفسير مقاتل ٦١أ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ : يعني في هلاكهم ﴿لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ : لعبرة لمن علم توحيد الله[١] وقدرته .

٥٣. ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدقوا صالحاً من العذاب ، ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ، قاله مقاتل[٢] .

٥٤. قوله : ﴿وَلُوطًا﴾ . قال الزَّجَّاج : نصب لوط من جهتين ؛ على معنى : وأرسلنا لوطاً ، وعلى معنى : واذكر لوطاً ؛ لأنه قد جرت أقاصيص رسل فدخل معنى إضمار : اذكر هاهنا[٣] .

قوله : ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ : يعني اللواط ، في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والجميع[٤] . ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد أنهم كانوا يدَّعون البصر بالدين ، والمعنى : وأنتم تدَّعون البصر بالدين فلِمَ تأتون الفاحشة .

وقال الكلبي : وأنتم تعلمون أنها فاحشة[٥] ، وهو قول الفرَّاء والزَّجَّاج[٦] .

---

(١) تفسير مقاتل ٦١أ .

(٢) تفسير مقاتل ٦١أ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٦ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٤ عن ابن عباس ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ومجاهد . وتفسير مقاتل ٦١أ ، وتنوير المقباس ٣١٩ .

(٥) تنوير المقباس ٣١٩ ، وهو قول مقاتل ٦١أ ، وذكره الهوَّاري ٣/ ٢٥٩ ، ولم ينسبه .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٥ .

وإذا كانوا يعلمون أنها فاحشة فهو أعظم لذنوبهم ، فهذا من البصر الذي هو بمعنى العلم ، وقيل : يرى بعضكم بعضاً ، وكانوا لا يسترون عتواً وتمرداً[١] .

وهذه الآيات التي في هذه القصة مُفسَّرة في سورة الأعراف[٢] .

٥٥. قوله عز وجل : ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ . قال ابن عباس : تجهلون بالقيامة ، وعاقبة العصيان[٣] .

٥٧. قوله : ﴿قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ . [قال مقاتل : تركناها[٤] ، والمعنى : جعلناها بتقديرنا من الغابرين[٥]][٦] ؛ أي قدرناها بما كتبنا عليها ، وقضينا أنها ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ؛ أي الباقين في العذاب[٧] .

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣أ غير منسوب . قال مجاهد : كان يجامع بعضهم بعضاً في المجالس . إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٦ ، ولم يرجح الواحدي شيئاً من هذه الأقوال ، ولعل الأقرب ـ والله أعلم ـ أن المراد : وأنتم تعلمون أنها فاحشة ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف : ٨٠] ، ففعلهم لهذه الفاحشة كان عن إصرار ومكابرة ، ولم يكن لهم فيها شبهة ، ولمَّا قال لهم نبي الله لوط عليه السلام : ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ كان جوابهم : ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود : ٧٩] . فما ذكره الواحدي عن ابن عباس من طريق عطاء لا يعول عليه إسناداً ولا متناً ، وأمَّا القول الثالث فهو زيادة إيضاح للقول الأول ، فهم لا يرون في هذه الفاحشة بأساً ، فقد استباحوها وجاهروا بها ، وعاين بعضهم بعضاً ، ولم ينكر أحدهم على أحد ، والله أعلم .

(٢) الآيات : [٨٠-٨٤] .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي ٦/ ١٨٣ .

(٤) تفسير مقاتل ٦١أ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٩٥ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٧) تفسير ابن جرير ٢٠/ ٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٥ عن ابن عباس ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٣أ ، ولم ينسبه .

٥٨. وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾؛ أي على شذاذها مطراً، وهو الحجارة[١]. ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾: مرَّ تفسيره في سورة الشعراء، الآية رقم: ١٧٣.

٥٩. قوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: المفسرون على أن هذا خطاب لرسول الله ﷺ، أُمِر أن يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٢]. قال مقاتل: على هلاك كفار الأمم الخالية[٣].

وقال الفرَّاء: قيل للوط: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك من هلك[٤]، والتقدير على هذا: وقلنا للوط: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، والمفسرون على ما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾. قال مقاتل: هم الأنبياء الذين اختارهم الله لرسالته[٥].

---

(١) هكذا في النسخ جميعها: (شذاذها)، وكذا عند الثعلبي ٨/ ١٣٣أ، وهذا مبينٌ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤].

(٢) تفسير ابن جرير ٢٠/ ٢، والثعلبي ٨/ ١١٣٣. قال النحاس: وهذا أولى؛ لأن القرآن منزَّل على النبي ﷺ.

(٣) تفسير مقاتل ٦١أ، وفي نسخة (ب): (الماضية).

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٧.

(٥) تفسير مقاتل ٦١أ.

وقال ابن عباس في روايــة أبي مالك : هم أصحاب محمد ﷺ[١] ، وهو قول السدِّي ، وسفيان بن سعيد[٢] .

وقــال عطاء عنه : يريــد الذين وحدوني وآمنــوا بي[٣] ، وعلى هذا هم جميع المؤمنين[٤] .

وقال الكلبي : هم أمة محمد ﷺ ، اصطفاهم الله لمعرفته وطاعته[٥] . ومعنى السلام عليهم : أنهم سَلِموا مما عاب به الكفار .

ثم قال : ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦] . قال ابن عباس : ثم رجع إلى المشركين فقال : ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يا أهل مكة ، يريد : الذين جعلتموهم لي أنداداً .

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٢ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٦ ، والثعلبي ٨/ ١٣٣أ ، كلهم من طريق السـدِّي عن أبي مالك ؛ وهو عبيد الله بن الأخنس النخعي ، أبو مالك الخزاز ، صدوق يخطئ كثيراً ، روى عن نافع وابن أبي مليكة وغيرهمـا ، وروى عنه يحيى بن القطان وغيره . انظر الجرح والتعديل ٥/ ٣٠٧ ، وتقريب التهذيب ٦٣٥ .

(٢) أخرجه عنهما ابن جرير ٢٠/ ٢ ، وسـفيان بن سـعيد ، هو الثوري . وقال ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٦ : وروي عن السدِّي ، وسفيان الثوري نحو ذلك . وأخرجه الثعلبي ٨/ ١٣٣أ عن سفيان .

(٣) ذكره عنه من طريق عطاء ابن الجوزي ٦/ ١٨٥ .

(٤) أخرجـه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٦ عن عبدالرحمن بن زيد . وهذا القول أحسـن لعمومه ، فيدخل فيه الأنبياء والرسل وأتباعهم ، وذكر هذا القول الهوَّاري ٣/ ٢٦٠ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٣٣أ ، وهو في تنوير المقباس : ٣٢٠ .

(٦) قـال الثعلبـي ٨/ ١٣٣ب : بهمـزة ممـدودة ، وكـذا كل اسـتفهام لقيتـه ألـف وصـل ، مثل ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ [الأنعـام :١٤٣ ، ١٤٤] ، و﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ [يونس :٥١ ، ٩١] جعلـت المدة علماً بين الاستفهام والخبر .

وقال مقاتل : أراد يشركون به ، يقـول : الله أفضل أم الآلهة التي يعبدونها ، يعني كفار مكة ، قـال : وكان النبي إذا قرأ هذه الآية قـال : «بل الله خير وأبقى وأجلُّ وأكرم»[١] .

وهذا مذهب أهل التفسير[٢] .

وجعل الفرَّاء هذه الآية من باب حـذف المضاف ، فقال : يقول : أعبادة الله خير أم عبادة الأصنام[٣] ، وأحسن من هذا أن يقال : الله خير لمن عبده أم الأصنام ، يدل على صحة هذا أن هذا ذُكر بعد ذِكر هلاك الكفار وسـلامة المؤمنين ، إلزاماً للحجـة على المشركين ، فقيل لهم بعد ما ذُكر هلاك الكفار : الله خير أم الأصنام ، والمعنى : أن الله نجَّى مَنْ عبده من الهلاك ، والأصنامُ لم تغنِ شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب ، وهذا معنى ما ذهب إليه المفسرون ، وإن لم يبيِّنوا هذا البيان .

وقال أهل المعاني : يجوز في الخير الذي لا شر فيه ، والشر الذي لا خير فيه إذا كان يتوهـم بعض الجهال الأمر على خلاف ما هو به أن يقال : هذا الخير خير من الشر ، فلمَّا كان المشركون يتوهمون في الأصنام وفي عبادتها خيراً قيل لهم احتجاجاً عليهم : ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤] .

---

(١) تفسـير مقاتل ٦١أ . وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٣ب من غير سـند ولا راوٍ ، كما قـال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشـاف ٣/ ١٨ ، وقال فيه : قال البيهقي في شـعب الإيمان ، في الباب التاسع : وقد روي في ختم القرآن حديث منقطع بسند ضعيف ، ثم ساقه بتمامه ، وفيه هذا اللفظ . وقد أعرض عن ذكره الواحدي في كتابيه : الوسيط ، والوجيز . والحديث ذكره البيهقي في شعب الإيمان في حديث طويل ، في الباب التاسع عشر ، ولم أجده في الباب التاسع . شعب الإيمان ٢/ ٣٧٢ ، رقم الحديث ٢٠٨٢ .

(٢) أخرجه ابـن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٦ عن السـدِّي ، وهو قول الهـوَّاري ٣/ ٢٦٠ وابن جرير ٢٠/ ٢ ، والثعلبي ٨/ ١٣٣ب .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٧ .

(٤) ذكر معناه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢١٧ ، وسبق الحديث عن هذه المسألة في سورة الفرقان عند قوله تعالى : ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان :١٥] .

٦٠. قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[١] : تقدير الكلام : أما تشركون خير أم من خلق السموات والأرض ، فحذف ذكر الأول لقرب ذكره في قوله : ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ، وهذا معنى قول أبي حاتم[٢] .

وقوله : (حَدَائِقَ) . قال الليث : الحديقة : أرض ذات شجر مثمر ، والحديقة من الرياض : كل روضة قد أحدق بها حاجزٌ ، أو أرضٌ مرتفعة ، وأنشد لطرفة :

تَرَبعتِ القُفَّينِ في الشَّولِ ترتعِي حدائقَ مَولِيِّ الأسرةِ أَغْيدِ[٣]

وكل شيء استدار بشيء فقد أحدق به[٤] .

وقال أبو عبيدة : الحديقة والجنة في الدنيا مثل الحائط[٥] .

قال الفرَّاء : إنما يقال حديقة لكل بستان عليه حائط ، وما لم يكن عليه حائط لا يقال له : حديقة[٦] .

---

(١) قال الأخفش : مَنْ هاهنا ليست باستفهام على قوله : ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ، إنما هي بمنزلة الذي . معاني القرآن ٢/ ٦٥٠ .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣ب ، ونحوه في القطع والائتناف ٢/ ٥٠٣ .

(٣) البيت من معلقة طرفة ، ومعنى : تربعت : أقامت زمن الربيع ، والقُفَّين : مثنى القف ؛ وهو حجارة مترادف بعضها إلى بعض ، لا يخالطها من اللين والسهولة شيء . والمراد هنا : موضع في نجد إذا أخصب ربعت العرب فيه لسعته واتساعه ، والشول عند الناقة : فترة تمتد من انتهاء إرضاعها إلى حملها التالي ، وهو فترة تنشط فيها الناقة ، والمولي : المكان الذي يصيبه الولي ؛ وهو المطر الثاني ، والأسرة : جمع السر ؛ وهي من الوادي أفضل مكان فيه ، وأغيد : النبات الأغيد ؛ هو الناعم المتثني ، ويكون كذلك لنضرته ووفرة الماء في منبته . أراد طرفة بهذا البيت أن يعلل قوة هذه الناقة بحسن تغذيتها . شرح ديوان طرفة ٩٣ .

(٤) العين (حدق) ٣/ ٤١ ، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤ ، وليس فيهما إنشاد هذا البيت .

(٥) لم أجده في كتاب المجاز ، وإنما فيه : أي جناناً من جنان الدنيا ، واحدتها : حديقة . مجاز القرآن ٢/ ٩٥ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٧ ، وذكره ابن جرير ٢٠/ ٣ ، ولم ينسبه . وقال الزَّجَّاج ٤/ ١٢٨ : الحديقة : البستان ، وكذلك الحائط ، وقيل : القطعة من النخل .

وقال ابن قتيبة : إنما يقال حديقة ؛ لأنها يُحدَق عليها ؛ أي يُحْظَر[١] .

قال ابن عباس : يريد الأجنة والشجر[٢] .

وقال مقاتل : يعني حيطان النخل والشجر[٣] .

وقال الكلبي : الحدائق من البساتين : ما أحيط عليه حائط[٤] .

قوله : ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ . قال الكلبي : ذات منظر حسن[٥] .

وقال ابن عباس ومقاتل : ذات حُسْن[٦] .

وقال قتادة : النخل الحسان[٧] .

والبهجة : الحُسْن يبتهج به مَنْ رآه ؛ أي يُسَرُّ .

قوله : ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ ؛ أي ما ينبغي لكم ذلك ؛ لأنكم لا تقدرون عليها[٨] .

---

(١) غريب القرآن ٣٢٦ بلفظ : (يحظر عليها حائط) . وفي الحاشية : أي يقام عليها حظيرة من قصب وخشب .

(٢) ذكره الزَّجَّاج ٤/ ١٢٨ ، ولم ينسبه .

(٣) هكذا في نسخة (ج) : (حيطان) ، وكذا عند مقاتل ٦١أ ، وفي نسخة (أ) و(ب) : (حظار النخل والشجر) . وقال عكرمة : الحدائق : النخل . إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٧ .

(٤) ذكره الهوَّاري ٣/ ٢٦٠ عنه بلفظ قريب من قول مقاتل ، فقد قال : الحديقة : الحائط من الشجر والنخل . وفي تنوير المقباس : ٣٢٠ : بساتين ؛ ما أحيط عليها من النخل والشجر .

(٥) تنوير المقباس : ٣٢٠ ، وذكره ابن جرير ٢٠/ ٣ ، ولم ينسبه .

(٦) تفسير مقاتل ٦١أ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٧ عن الضحاك ، وهو قول ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٦ ، والزَّجَّاج ٤/ ١٢٨ .

(٧) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٨٥ ، وعنه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٧ .

(٨) قال الثعلبي ٨/ ١٣٣ب : (ما) : هي ما النفي ، بمعنى : ما قدر عليه .

ثم قال مستفهماً منكراً عليهم : ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي هل معه معبود سواه أعانه على صنعه[١] ؟ ﴿بَلْ﴾ ؛ أي ليس معه إله . ﴿هُمْ قَوْمٌ﴾ : يعني كفار مكة . ﴿يَعْدِلُونَ﴾ : يشركون به غيره . هذا معنى قول المفسرين[٢] ، وقال أبو إسحاق : يعدلون عن القصد والحق ؛ أي يكفرون[٣] .

٦١. وقوله : ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ . قال مقاتل : مستقراً لا تميد بأهلها[٤] ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ في ما بينها[٥] ﴿أَنْهَٰرًا﴾ كقوله : ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف :٣٣] .

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ . قال ابن عباس : يريد الجبال الثوابت أَثْبَتَ بها الأرض[٦] .

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ . قال : يريد قضاء من قضائه ، وسلطاناً من قدرته ، حجز بين العذب والمالح ، فلا المالح يغير العذب ، ولا العذب يغير المالح ، وهذا قول أكثر المفسرين[٧] . ومعنى الحجز في اللغة : المنع .

---

(١) تفسير مقاتل ٦١أ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣ب ، ولم ينسبه .

(٢) تفسير مقاتل ٦١ أ ، وتفسير الهوَّاري ٣/ ٢٦٠ ، وتفسير ابن جرير ٢٠/ ٣ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٨ عن مجاهد .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٦١أ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣ب ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير ابن جرير ٢٠/ ٣ ، وقال الثعلبي ٨/ ١٣٣ب : وسطها .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٩ عن قتادة ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٣ب ، ولم ينسبه .

(٧) تفسير مقاتل ٦١ب ، وتفسير الهوَّاري ٣/ ٢٦٠ ، وتفسير ابن جرير ٢٠/ ٣ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣ب . وظاهر الآية أنه حاجز بين البحرين ، ولم يقيد أحدهما بالعذب فيبقى على أصله ، ومثله في سورة الرحمن : ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ ، وهو يختلف عن الحاجز المذكور في سورة الفرقان في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ . انظر : مجلة الإعجاز ٤٤ ، العدد الثالث ، ربيع الثاني ، ١٤١٨هـ .

قال أبو إسحاق : حجز بينهما بقدرته ، فلا يختلط العذب بالملح[١] .

وقال أهل المعاني : ويكون ذلك بكف كل واحد منهما عن صاحبه ، وفيه دليل على أن الله تعالى قادر على كف النار عن الحطب حتى لا تحرقه ، ولا تسحقه ، كما كف الماء الملح عن العذب المجاور له أن يختلط به .

وقال السدِّي : قول الله تعالى : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ هو البرزخ ، وهو الحجر المحجور ، وهو بحر الشام وبحر العراق والناس في ما بينهما ، وعلى هذا معنى الحاجز بين البحرين : الجزائر والأرض والبلاد كما بين بحر فارس وبحر الروم[٢] . والناس على القول الأول .

قوله تعالى : ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيدَ ربهم وسلطانَه وقدرتَه ، قاله ابن عباس ومقاتل[٣] .

وقال أهل المعاني : لا يعلمون ما لهم وما[٤] عليهم في العبادة إن أخلصوها أو أشركوا فيها[٥] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٧ بلفظ : (العذب بالملح) ، وهو موافق لنسخة (ب) و(ج) ، وفي نسخة (أ) : «بالمالح» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٩ عن الحسن ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٣ب ، ولم ينسبه ، وصدَّره بـ : قيل . وهذا مخالف لظاهر الآية ؛ فسياقها في بيان القدرة ، وهي في الاختلاط وعدم التمازج أظهر ، والله أعلم . وقد أثبتت الدراسات البحرية انتشار هذه الحواجز بين ملتقى الأبحر . انظر : مجلة الإعجاز ٤٤ ، العدد الثالث ، ربيع الثاني ١٤١٨هـ . وبحر فارس هو الخليج العربي ، وسُمِّي بذلك لسيطرة الإمبراطورية الفارسية عليه ، ويسمى بحر العراق . أطلس تاريخ الإسلام ٤٤ ، ٤٦ ، وبحر الروم هو البحر المتوسط ، سُمِّي بذلك لسيطرة الإمبراطورية الرومانية عليه قبل ظهور الإسلام ، ويسمى بحر الشام . أطلس تاريخ الإسلام ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) تفسير مقاتل ٦١ب .

(٤) (ما) ليست موجودة في النسخ الثلاث ، وزدتها لتمام المعنى .

(٥) لم أجده في كتب المعاني المتوافرة لديَّ .

٦٢. قوله عز وجل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[١]. قال عطاء عن ابن عباس: المضطر: المكروب، وعنه أيضاً: هو المجهود[٢].
ومعنى المضطر في اللغة: المحوج الملجأ إلى الشيء، وقد مرَّ[٣].

قال أهل المعاني: ومعنى إجابة المضطر هو فِعل ما دَعا إليه، وهذا لا يكون إلا من قادر على الإجابة مختار لها؛ لأنها وقعت على حسب ما دعا به الداعي[٤].

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾: الضر[٥]. ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾. قال السدِّي: خلفاء مَنْ قبلكم من الأمم[٦].

---

(١) عن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من بلهجيم قال: قلت: يا رسول الله إلام تدعو؟ قال: «أدعو إلى الله وحده الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك، والذي إن ضللت بأرض قفر دعوته رد عليك، والذي إن أصابتك سَنَة فدعوته أنبت عليك». قال: قلت: فأوصني. قال: «لا تسبن أحداً، ولا تزهدن في المعروف، ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وائتزر إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله ـ تبارك وتعالى ـ لا يحب المخيلة». أخرجه الإمام أحمد ٧/ ٣٥٩، رقم ٢٠٦٦١، وإسناده صحيح. مرويات الإمام أحمد في التفسير ٣/ ٣٢٥، وقد سقت الحديث بطوله لمناسبته لهذه الآية.

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣ب باللفظ الثاني فقط، وعن السدِّي بلفظ: (المضطر).

(٣) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]: قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾؛ أي فمن أحوج وألجئ، وهو افتُعل من الضرورة. قال الأزهري: معناه: ضيق عليه الأمر بالجوع، وأصله من الضرر، وهو: الضيق.

(٤) لم أجده في كتب المعاني المتوافرة لديَّ.

(٥) تفسير مقاتل ٦١ب. وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣ب، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ٤ عن ابن جريج.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٠.

وقال غيره : معناه : جعلكم خلفاء[١] يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله ، وأهلُ كل عصر أهل العصر الأول[٢] ، والمعنى : يهلك قرناً وينشئ آخرين[٣] ، وهذا معنى[٤] قول ابن عباس : يريد : أولادُكم خلفاءُ منكم .

قوله عز وجل :﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : قليلاً ما تتعظون .

ومن قرأ بالياء فالمعنى : قليلاً يذَّكر هؤلاء المشركون الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى[٥] .

٦٣. وقوله : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ ﴾ ؛ أي يرشدكم[٦] . ﴿ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ . [قال ابن عباس : يريد إلى البلاد التي يتوجهون إليها في البر والبحر ، وهذا كقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾][٧] [الأنعام :٩٧] .

٦٤. قوله تعالى : ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ . قال ابن عباس : يبدأُ الخلق في الأرحام من نطفة ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ بعد الموت[٨] .

---

(١) (خلفاء) في نسخة (ج) .

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٠ عن قتادة .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣ب من دون نسبة .

(٤) (معنى) في نسخة (ج) .

(٥) قرأ أبو عمرو ، وهشام ، وروح بالياء ، وقرأ الباقون بالتاء . انظر السبعة في القراءات ٤٨٤ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٩٩ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٨ ، قال الأزهري : من قرأ بالياء فللغيبة ، ومن قرأ بالتاء فللمخاطبة ، وكلٌّ جائز . معاني القراءات ٢/ ٢٤٣ .

(٦) تفسير مقاتل ٦١ب .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٨) تنوير المقباس :٣٢٠ .

وقال مقاتل : بدأ الخلق فخلقهم ولم يكونوا شيئاً ، ثم يعيدهم في الآخرة[١] .

﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ : المطر ، ومن ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ : النبات[٢] .

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ : حجتكم[٣] أن لي شريكاً ، قاله ابن عباس[٤] .

وقال مقاتل : هاتوا حجتكم بأنه صنع شيئاً من هذه الأشياء غيرُ الله ، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ بأن مع الله آلهة كما زعمتم[٥] .

٦٥. وقوله : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ : يعني الملائكة . ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ : يعني الناس[٦] . ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ . قال مقاتل : يعني الساعة ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وحده ، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ : يعني كفار مكة[٧] .

---

(١) تفسير مقاتل ٦١ب .

(٢) تفسير مقاتل ٦١ب ، وتفسير ابن جرير ٢٠/ ٥ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣ب .

(٣) (حجتكم) في نسخة (ج) .

(٤) تنوير المقباس : ٣٢٠ .

(٥) تفسير مقاتل ٦١ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٢ عن أبي العالية وقتادة ، وقال : روي عن مجاهد والسدِّي نحو ذلك .

(٦) تفسير مقاتل ٦١ب . قالت عائشة رضي الله عنها : ومن زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ . أخرجه مسلم ١/ ١٥٩ ، رقم ١٧٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٣ .

(٧) تفسير مقاتل ٦١ب . والساعة من الغيب . قال ابن جرير ٢٠/ ٥ : ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ الذي استأثر الله بعلمه ، وحجب عنه خلقه . . . . والساعة من ذلك . وجعل ابن جرير قوله تعالى : ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ عاماً ، فقال : وما يدري من في السموات والأرض مِن خلقه ، متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة .

قال ابن عباس : يريد : هم ولا من اتخذوه من دوني أولياء ﴿ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ متى يكون البعث[١] . وهـذا احتجاج عليهم بأن الله هو الذي يعلم ما غاب عن العباد ، وأنه هو الذي يعلم متى البعث ، لا غيره .

٦٦. قوله تعالى : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ : ﴿ ادَّارَكَ ﴾ معناه : تدارك ، فأدغم التاء في الدال لمقاربتها لها ، وكونها من حيزها ، فلمَّا سكنت للإدغام اجتلبت لها همزة الوصل ، كما اجتلبت في قوله : ﴿ فَادَّارَأْتُمْ ﴾ [البقرة :٧٢] ، و﴿ اطَّيَّرْنَا ﴾ [النمل :٤٧] ، ونحوه . ومنه قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾ [الأعراف :٣٨] ؛ أي تلاحقوا[٢] .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ ﴾[٣] .

---

(١) تنوير المقباس :٣٢٠ ، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٩٥ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٦ ، وتفسير الهوَّاري ٣/ ٢٦٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٧ ، ولم ينسبوه .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠١ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٥٤ ، وذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢١٨ ، وابن جني في المحتسب ٢/ ١٤٣ ، قال ابن الجزري :

والطَّاءُ والدَّالُ وتا منهُ ومِنْ عُليا الثَّنايا والصَّفيرُ مستكنْ

متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية ١٠ .

قوله : منه ؛ أي من طرف اللسان ، ومن أصول عليا الثنايا ، وهي الأسنان المتقدمة ؛ اثنتان فوق ، واثنتان تحت . وأمَّا قوله : (والصفير مستكن) ، فهو وصف لما ذكره بعد ذلك من الحروف . الدقائق المحكمة في شرح المقدمة لأبي زكريا الأنصاري ١٠ ، ويسمى : إدغام المتقاربين . منحة ذي الجلال في شرح تحفة الأطفال ٨٣ .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ ﴾ خفيفة بغير ألف ، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ ﴾ بالألف ممدودة ، وروى المفضل عن عاصم : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ ﴾ مثل أبي عمرو ، وروى الأعشى عن أبي بكر عن عاصم : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ ﴾ على وزن : افتعل . انظر السبعة في القراءات ٤٨٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٠ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٣٣٩ .

[ومعنى أدرك :][(١)] بلغ ولحق ، يقال : فلان أدرك الحسن ، إذا لحق أيامه . وتقول على هذا : أدركه علمي ؛ أي بلغه ولحقه[(٢)] .

وقال شمِر : أدرك ، وتدارك ، وادَّارك ، وادَّرَك واحد ؛ يقال : أَدْرَكته ، وتدارَكته ، وادَّارَكته ، وادَّرَكته[(٣)] ، وأنشد لزهير :

تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وذُبيانَ بعدَمَا[(٤)]

وأنشد للطِّرماح :

فلمَّا أدركناهُنَّ أبدينَ للَّهوَى[(٥)]

قال ابن عباس : يريد ما جهلوا في الدنيا ، وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة[(٦)] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ب) .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٠ .

(٣) في تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٣ عن شمِر : أدرك الشيء وأدركته وتدارك القوم ، وادَّاركوا ، وأدركوا ، إذا أدرك بعضهم بعضاً ، ويقال : تداركته ، وادَّاركته ، وادَّركته .

(٤) شطر بيت من معلقة زهير ، يقول : تلافيتما أمر هاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالها ، ويعني بهما : هرم بن سنان ، والحارث بن عوف . ديوان زهير ٧٩ ، وأنشد البيت الأزهري في تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٣ .

(٥) تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٣ ، وعجز البيت :

محاسنَ واستولَيْنَ دونَ محاسنِ

وهو في ديوان الطرماح ٢٦٧ .

(٦) أخرج ابن جرير ٢٠/ ٧ عن ابن عباس من طريق عطاء الخراساني : بصرهم في الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر ، ومن طريق علي بن أبي طلحة بلفظ : (غاب علمهم) ، وأخرج عن ابن زيد : ضل علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم ، واختار ابن جرير رواية عطاء ، وذكر الثعلبي ٨/ ١٣٤أ عن ابن عباس أنه قال : أي لم يدركه .

وقال مقاتل : يقول : بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شَكُّوا وعموا عنه في الدنيا[١] .

وقال السدِّي : اجتمع عليهم يوم القيامة فلم يَشُكُّوا ولم يختلفوا[٢] .

قال أبو معاذ النحوي : من قرأ : ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ أو قرأ : ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ فمعناهما واحد ، يقول : هم علماءُ في الآخرة ، [ومعناها عنده : علموا في الآخرة أن الذي][٣] ، كقوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم :٣٨][٤] .

وروى[٥] أبو تراب عن أبي سعيد الضرير[٦] أنه قال : أمَّا أنا فأقرأ : ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ، ومعناها عنده : علموا في الآخرة أن الذي كانوا يوعدون حق[٧] .

---

(١) تفسير مقاتل ٦١ب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٥ .

(٣) هكذا في نسخة (أ) و(ب) ، وهو ساقط من نسخة (ج) ، ولعل ما بعده هو أن الذي كانوا يوعدون حق .

(٤) تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٢ ، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٤٤ ، قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال قتادة : ذلك والله يوم القيامة ، سمعوا حين لم ينفعهم السمع ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر . وقال الحسن : لئن كانوا في الدنيا صُمّاً عُمياً عن الحق ، فما أبصرهم وأسمعهم يوم القيامة . الوسيط ٣/ ١٨٤ .

(٥) في نسخة (ب) : (قال أبو تراب) .

(٦) أحمد بن خالد ، أبو سعيد البغدادي ، الضرير ، اللغوي ، لقي ابن الأعرابي ، وأبا عمرو الشيباني ، قدم نيسابور ، وأقام بها ، وأملى فيها كتباً في معاني الشعر والنوادر ، وأخذ عن ابن قتيبة . انظر إنباه الرواة على أنباه النحاة ١/ ٧٦ ، وبغية الوعاة ١/ ٣٠٥ .

(٧) تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٢ ، وفيه : (روى ابن الفرج) ، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٤٤ ، وليس فيه : (وروى أبو تراب) ، وهو قول الهوَّاري ٣/ ٢٦٢ ، قال : أي علموا في الآخرة أن الأمر كما قال الله ، فآمنوا حين لم ينفعهم علمهم ، ولا إيمانهم .

وأنشد للأخطل :

وأدْركَ عـلـمي في سـواءةَ أنَّها تُقيمُ عَلَى الأوتارِ والمشربِ الكَدْرِ[١]

أي أحاط علمي بها أنها كذلك[٢] .

وأمَّـا الفـرَّاء وكثير من المفسرين وأهـل المعاني فقد تخبطـوا في هذه الآية ، [وذهبوا إلى ما لا وجه له[٣] . قال الأزهري : والقول في أدرك ، وادَّارك ، في هذه الآية][٤] ما قال السـدِّي وأبو معاذ[٥] . ولا معنى لما قال الفرَّاء ، ولم أحكِ قوله ، ولا قول من حذا حذوه ، لتشوشـه واضطرابه . وروي عـن مجاهد أنه قال : بل تواطأ علمهم في الآخرة[٦] .

قال الأزهري : وهذا يوافق قول السـدِّي ؛ لأن معنـى : تواطأ تحقق واتفق حين لا ينفعهم[٧] .

---

(١) بيت من قصيدة له في هجاء قبائل قيس . سواءة : من قيس عيلان ، مراده أن بني سواءة يرضون بما قد يصيبهم من الذل والهوان . شرح ديوان الأخطل ١٥٦ ، وذكر البيت الأزهري في تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٢ ، من إنشاد أبي سعيد الضرير .

(٢) تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٢ ، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٤٤ من إنشاد أبي سعيد الضرير .

(٣) قال الفرَّاء ٢/ ٢٩٩ : معنـاه : لعلهم تدارك علمهم ، يقول : تتابع علمهـم في الآخرة ، يريد : بعلم الآخرة أنهـا تكون أو لا تكون . وذكر نحوه ابن قتيبة في غريـب القرآن ٣٢٦ ، وابن جرير ٢٠/ ٦ ، وذكر الهوَّاري ٣/ ٢٦٢ عن الحسن : أي لم يبلغ علمهم في الآخرة ؛ أي لو بلغ علمهم أن الآخرة كائنة لآمنوا بها في الدنيا كما آمن المؤمنون .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٥) تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٢ ، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٤٤ .

(٦) أخرجـه ابن جرير ٢٠/ ٧ بلفظ : (أم أدرك علمهم من أين يـدرك علمهم) ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٤ بلفـظ : (لم يـدرك علمهم في الآخرة) . وفي تفسـير مجاهد ٢/ ٤٧٥ في قـول الله تعالى : ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ﴾ يقول الله : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ .

(٧) تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٣ .

وقال أبو إسحاق : من قرأ : ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ ، وهو الجيد ، فعلى معنى : بل تدارك ؛ أي بل تكامل علمهم يوم القيامة بالبعث ، وبأن كلَّ ما وعدوا حق ، قال : ومن قرأ : (بَلْ أَدْرَكَ) فهو على معنى التقرير والاستخبار ؛ كأنه قيل : لم يُدرك علمهم بالآخرة ؛ أي ليس يقفون في الدنيا على حقيقتها ، ثم بيَّن ذلك في قوله : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ ، وقالوا في تفسير : (بَلْ أدرَكَ) أم أدرك . هذا كلامه[١] .

وقد فَصَل الزَّجَّاج بين القراءتين ، فجعل القراءة الثانية استفهاماً بمعنى الإنكار ، وحرف الاستفهام : (بل) ، الذي هو بمعنى : (أم) ، وبهذا قال جماعة ، وأنشدوا أبياتاً ، منها قوله :

أمِ النومُ أمْ كلٌّ إليَّ حبيبُ[٢]

بمعنى : بل ، وقالوا : إن أحدهما يقوم مقام الآخر[٣] .

وإلى هذا ذهب أبو علي ، فقال : المعنى : إنهم لم يدركوا علم الآخرة ؛ أي لم يعلموا حدوثها وكونها . ومعنى قوله : ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ معنى الباء ؛ أي علمهم

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٧ ، وذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢١٨ .

(٢) أنشده الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٩٩ كاملًا ، ولم ينسبه ، وصدره :

فوالله ما أدرِي أسلْمَى تغوَّلَتْ

يقال : تغولت المرأة : إذا تلونت . تهذيب اللغة (غال) ٨/ ١٩٣ ، وأنشده كذلك ابن جرير ٢٠/ ٨ ، وذكره الأزهري من إنشاد الفرَّاء . تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٢ ، ولم ينشده الزَّجَّاج عند هذه الآية ، وأنشده الثعلبي ٨/ ١٣٤أ ، ولم ينسبه .

ونسب إلى عقبة المضرب برواية :

فوالله ما أدرِي أسلْمَى تفوَّلَتْ أمِ الحلمُ أمْ كلٌّ إلى حبيبِ

(٣) وهذا قول الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٩٩ ، ورجحه ابن جرير ٢٠/ ٨ على قراءة : ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ .

بالآخـــرة ، قال : وهذا كما تقول : أجئتني بالأمس ؛ أي لم تجئ ، والمعنى : لم يدرك علمهم بحدوث الآخرة[١] .

وهذا الوجه غير ما حكينا عن مقاتل وابن عباس والســدِّي ، ولم يَفصِل أبو علي بين القراءتين -كما فصل أبو إســحاق- وأجراهما على الاستفهام الذي معناه الإنكار ، ويؤكد هذا الوجه قراءة ابن عباس : (بَلى أَدَّارَكَ) بالاستفهام[٢] .

قــال الأزهري : هو اســتفهام فيه ردٌّ وتهكم ، ومعنــاه : لم يدرك علمهم في الآخرة[٣] .

وروى شعبة عن أبي حمزة[٤] عن ابن عباس : (بَلى أَدَّارَكَ) بقطع الألف ؛ لأنه استفهام ، فحذف ألف الوصل[٥] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٠ .

(٢) أخرج هذه القراءة ابن جرير ٢٠/ ٦ من طريق أبي حمزة ، وقال ابن جرير في ضبطها : وكان ابن عباس في ما ذكر عنه يقرأ بإثبات ياء في : بل ، ثم يبتدئ : أدَّارك ، بفتح ألفها على وجه الاستفهام ، وتشديد الدال ، ثم قال بعد ذلك : فأمَّا القراءة التي ذكرت عن ابن عباس ، فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب فخلاف ما عليه مصاحف المسلمين ؛ وذلك أن في : بلى زيادة ياء في قراءته ليست في المصاحف ، وهي مع ذلك قراءة لا نعلمها قرأ بها أحد من قُرَّاء الأمصار ، وقال عنها النحاس : إسنادها صحيح . إعراب القرآن ٣/ ٢١٨ ، وذكر هذه القراءة ابن خالويه ، ونسبها إلى ابن عباس ، وأبي حيوة ، وكتبت هكذا : (بَلْ أَدْرَكَ) . شــواذ القراءات ١١١ ، وذكرها أيضاً ابن جني في المحتسب ٢/ ١٤٢ ، وكتبت هكذا : (بَلى ادْرَكَ) ممدوداً .

(٣) تهذيــب اللغــة (درك) ١٠/ ١١٤ ، وقد كتبــت القراءة عنده هكــذا : بلى أأدرك . وأمَّــا عند الفرَّاء ٢/ ٢٩٩ ، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٣٤٥ ، فقد كتبت كما عند ابن جرير .

(٤) أبو حمزة ، عمران بن أبي عطاء الواســطي ، سمع ابن عباس ، ومحمد بن الحنفية ، وهو قليل الحديث ، صدوق له أوهام ، وحدَّث عنه ســفيان ، وشــعبة ، وأبو عوانة ، وغيرهم . انظر ســير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٧ ، وتقريب التهذيب ٧٥١ .

(٥) يعنــي أن أصل الفعل : ادَّارك خماسي أوله همزة وصل ، ثم دخلت همزة الاســتفهام فســقطت همزة الوصل لفظاً ورسماً .

قال الفرَّاء : وهو وجه جيد ؛ لأنه أشبه بالاستهزاء بأهل الجحد ، كقولك للرجل تكذبه : بلى لعمري لقد أدركتَ السلف ، فأنت تروي ما لا نروي ، وأنت تُكذِّبُه[١] ، فهذا وجهٌ عليه أهل المعاني ، والأول عليه أهل التفسير .

قال شمِر : ورُوي لنا حرفٌ عن الليث ، ولم أسمعه لغيره ، ذَكر أنه يقال : أدركَ الشيءُ إذا فَنِيَ[٢] ، فإن صح فهو في التأويل : فني علمهم عن معرفة الآخرة . هذا كلامه[٣] . و﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ على هذا القول يكون أيضاً بمعنى : بالآخرة ، كما ذكره أبو علي . وقرأ عاصم في بعض الروايات : (ادَّرَكَ) على افتعل ، وهو بمعنى : أدرك وتدارك ، كما حكينا عن شمِر .

قوله تعالى : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ . [قال مقاتل : بل هم اليوم في الدنيا في شك منها][٤] يعني : من الساعة[٥] .

وقال أبو علي : ﴿مِّنْهَا﴾ من علمها ، وحدوثها يعني : علم الآخرة[٦] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٩ . قال ابن قتيبة عن هذه القراءة : وهذه القراءة أشد إيضاحاً للمعنى ؛ لأنه قال : وما يشعرون متى يبعثون ، ثم قال : بل تداركت ظنونهم في علم الآخرة ؛ فهم يحدسون ولا يدرون . تأويل مشكل القرآن ٣٥٤ .

(٢) العين (درك) ٥/ ٣٢٨ .

(٣) تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٤ ، وقال بعده الأزهري : وهذا غير صحيح ، ولا محفوظ عن العرب ، وما علمت أحداً قال : أدرك الشيء إذا فني ، ولا يعرج على هذا القول ، ولكن يقال : أدركتِ الثمارُ ، إذا انتهى نضجها .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٥) تفسير مقاتل ٦١ب .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠١ .

﴿بَلْ هُم مِّنْهَا﴾ من علمها[١] ﴿عَمُونَ﴾ في الدنيا[٢] . والعمي عن علم الشيء أبعد منه من الشاكِّ فيه ؛ لأن الشك قد يَعرض عن ضرب من النظر ، والعمي عن الشيء : الذي لم يدرك منه شيئاً[٣] .

وقال الكلبي في قوله : ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ : يقول : هم جهلة بها[٤] .

وقال المبرِّد : ﴿عَمُونَ﴾ جمع عمٍ ، وأكثر ما يستعمل في القلب ، وأنشد :

ولكنَّني عنْ علمِ ما في غدٍ عَمِ[٥]

قال ابن عباس في هذه الآية : أعمى قلوبهم عما أعدَّ لأوليائه من النعيم ، وعما أعدَّ لأعدائه من العذاب . والكلام في العمي قد تقدَّم عند قوله : ﴿عَمِينَ﴾ في سورة الأعراف[٦] .

٦٧ . وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مُفسَّر في سورة المؤمنون[٧] ، إلى قوله : ﴿قُلْ سِيرُوا﴾ [٦٩] ، والآية ظاهرة .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٣٥٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٦١ب .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠١ .

(٤) ذكر الهوَّاري ٣/ ٢٦٢ عن الكلبي : أي لا يدرون ما الحساب فيها وما العذاب .

(٥) البيت لزهير من معلقته ، وصدره :

وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قبلَهُ

ديوان زهير ٨٦ ، وأنشد البيت الأزهري ، ونسبه إلى زهير ، وليس فيه النقل عن المبرِّد . تهذيب اللغة (عمى) ٣/ ٢٤٥ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [٦٤] . قال الواحدي : قال ابن عباس : عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته ، وشدة بطشه ، وقال الزَّجَّاج : أي قد عموا عن الحق والإيمان ، وقال الليث : يقال : رجل عمٍ إذا كان أعمى القلب ، وقال أبو معاذ النحوي : رجل عمٍ في أمره لا يبصره ، ورجل أعمى في البصر .

(٧) [المؤمنون : ٨١ ، ٨٣] .

٧٠. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾. قال مقاتل: يعني على كفار مكة إن تولوا عنك ولم يجيبوك[١] إلى الإيمان، والمعنى: على تكذيبهم إيَّاك وإعراضهم عنك[٢].

﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾ (ضِيْق)[٣]، وهما لغتان[٤]. قال ابن السكيت: يقال: في صدر فلان ضِيْق وضَيْق، ومكان ضَيِّق وضَيْق[٥]، وقد ضاق الشيء ضِيْقاً[٦]، والنعت ضَيِّق[٧] والاسم ضَيْق.

وروى أبو عبيد عن أبي عمرو: الضِّيْق: الشيء الضَّيِّق، والضَّيْق المصدر[٨].

وقال الفرَّاء: الضَّيْق: ما ضاق عنه صدرك، والضَّيِّق: ما يكون في الذي يتسع ويضيق، مثل: الدار والثوب، قال: وإذا رأيت الضَّيْق قد وقع في موضع الضِّيْق، كان على أمرين؛ أحدهما: أن يكون جمعاً للضَّيْقة، كما قال الأعشى:

كشفَ الضَّيْقةَ عنَّا وفَسحَ[٩]

---

(١) تفسير مقاتل ٦٢أ.

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٤ب بنصه.

(٣) قرأ ابن كثير بكسر الضاد، وروى خلف عن المسيبي عن نافع مثله، وقرأ الباقون بالفتح. انظر السبعة في القراءات ٤٨٥، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٢، والنشر في القراءات العشر: ٢/ ٣٣٩.

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٣.

(٥) تهذيب اللغة (ضاق) ٩/ ٢١٧.

(٦) إصلاح المنطق ٣٢.

(٧) في نسخة (ب): (الضيق).

(٨) في تهذيب اللغة (ضاق) ٩/ ٢١٧ عن أبي عمرو: الضَّيَق محركة الياء: الشك، والضَّيْق بهذا المعنى أكثر وأفشى.

(٩) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٥، وأنشد البيت من دون نسبة، ونقله عنه الأزهري ٩/ ٢١٨، وهو في ديوان الأعشى ٨٩ من قصيدة يمدح فيها إياس بن قبيصة الطائي، وصدره:

فلَئِنْ ربُّكَ منْ رحمَتِهِ

والوجـه الآخر : أن يكون مخففاً من ضَيْق ، مثل : هَيْن ولَيْن[١] . وقد حصل من هذا : أن الضَّيِّق بالتشديد : نعت ، ويجوز فيه التخفيف [في ما يتسع ويضيق ، ويكون لغة في الضيق .

قال أبو علي : والقراءة :][٢] (الضَّيق) بالفتح والتخفيف اسم ، وليس بنعت ، وهو ما يضيق عنه الصدر ، ويقال فيه بالكسر . والضيق بالكسر المصدر ، والاسم في ما يتسع ويضيق ، ويكون لغة في الضيق .

قـال أبو علي : والقراءة بالوجهين يحمل على أنهـما لغتان ، ولا يحمل الضيق بالفتـح على التخفيف مـن ضيق ؛ لأنك إن حملته على ذلـك أقمت الصفة مقام الموصوف ، ولا ينبغي أن يحمل على ذلك ما وجد مندوحة عنه[٣] .

قوله تعالى :﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد أن مكرهم يبور ، ويرجع إلى الذل والقتل .

وقال مقاتل : يقول : لا يضيق صدرك بما يقولون[٤] .

وهذه الآية مذكورة في آخر سورة النحل ، وقد مرَّ تفسيرها[٥] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٥ عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ من سورة النحل ، الآية رقم ١٢٧ ، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (ضاق) ٢١٧ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٣ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢أ .

(٥) وهـي قولـه تعـالى : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [١٢٧] .

٧١. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي تعدنا يا محمد به من العذاب[١] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ بأنه يكون، وأن العذاب نازل بنا، قاله مقاتل والكلبي[٢].

٧٢. قال الله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾: يقال: رَدِفَه يَرْدِفه[٣] رِدْفاً إذا تبعه. قال أبو زيد: يقال: رَدِفْتُ الرجلَ وأردفَته إذا ركبت خلفه، وأنشد:

إذا الجوزاءُ أردفتِ الثُّريَّا[٤]

وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩][٥].

---

(١) تفسير الهوَّاري ٣/ ٢٦٣، من دون نسبة.

(٢) تفسير مقاتل ٦٢أ، وتنوير المقباس: ٣٢١.

(٣) (يردفه) في نسخة (ج).

(٤) تهذيب اللغة (ردف) ١٤/ ٩٦ من إنشاد أبي زيد، ونسب إلى خزيمة القضاعي، وعجزه:

ظَنَنْتُ بآلِ فاطمةَ الظُّنونَا

وأنشده في لسان العرب ٩/ ١١٥، ونسبه إلى خزيمة بن مالك بن نَهْد.

(٥) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: اختلف أهل اللغة في: ردف وأردف، والأكثرون على أنهما بمعنى واحد. . . . وفصل آخرون بينهما، فقال الزَّجَّاج: ردفت الرجل إذا ركبت خلفه، وأردفته: أركبته خلفي، وأردفت الرجل إذا جئت بعده. وقال شمِر: ردفت وأردفت إذا فعلت ذلك بنفسك، فإذا فعلت بغيرك: فأردفت لا غير.

قال ابن عبـــاس في معنى ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ : قرب لكم[١] ، وهو قول مقاتل[٢] ، وقال السدِّي : اقترب لكم[٣] .

وقال قتـــادة : أزف لكم[٤] ، وقال الكلبي : دنا لكم[٥] . وهذه ألفاظ معناها واحد . قال الفرَّاء : فكأن اللام دخلت إذ كان المعنى : دنا ، كما قال الشاعر :

فقلتُ لها الحاجاتُ يطرحنَ بالفَتى
وهمٌّ تعنَّاني مُعَنًّى ركائبُهُ[٦]

فأدخل الباء في الفتى ؛ لأن معنى : يطرحـــن : يرمين ، وأنت تقول : رميت بالـــشيء وطرحته . قـــال : وتكون الـــلام داخلة ، والمعنى : ردفكـــم ، كما تقول العـــرب : نفذت له مائة ؛ أي نفذته[٧] ، وهذا قـــول الأخفش والزَّجَّاج والمبرِّد ، قالوا : المعنى : ردفكـــم ، فزيدت اللام توكيداً ، كما زادوها في : لا أبا لك ، و : يا

(١) ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم بلفظ : (اقترب) . فتح الباري ٨/ ٥٠٤ ، ووصله ابن جرير ٢٠/ ٩ من طريق علي ابن أبي طلحة بلفظ : (اقترب لكم) .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢أ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٩ عن الضحاك ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٧ عن مجاهد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٧ عن مجاهد .

(٥) تنوير المقباس :٣٢١ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٤ب ، ولم ينسبه .

(٦) أنشـــده الفرَّاء ، ولم ينسبه . معاني القرآن ٢/ ٢٩٩ ، وأنشده كذلك ابن جرير ٢٠/ ١٠ ، وهو في لسان العرب ١٥/ ١٠٦ غير منســـوب ، وفيه : (عانى الشيء : قاســـاه ، والمعاناة : المقاساة ، يقال : عاناه ، وتعناه ، وتعنى) .

(٧) في نسخة (ب) و(ج) : (نقدت) في الموضعين . وفي (ب) : (نفذت) وهو موافق لما عند الفرَّاء ٢/ ٣٠٠ بلفظ : (نفذت له مائة) ، وهو يريد : نفذتها مائة . ولا ينبني على هذا الفرق اختلاف في المعنى المقصود . ونقل هذا القول عن الفرَّاء ، ولم يسمِّه ، ابن جرير ٢٠/ ٩ ، واختاره .

بــؤس للحرب[١] ، ومثله في كتاب الله : ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ﴾ [الزمر :١٢] ؛ أي أمرت أن أكون ، وبأن أكون[٢] .

وقال أبــو الهيثم يقال : رَدِفْت فلاناً ، ورَدِفتُ لفــلانٍ ؛ أي صرت له رِدْفاً ، قال : وتزيد العرب اللام مع الفعل الواقع في الاسم المنصوب فتقول : سمع له ، وشكر له ، ونصح له ؛ أي سمعه وشكره ونصحه[٣] .

وقد ذكرنا مثل هذا في قوله : ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف :١٥٤][٤] .

وقوله :﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف :٤٣][٥] .

وقال مجاهد في قوله : ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ : عجل لكم[٦] .

---

(١) معــاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥١ ، والمقتضب ٢/ ٣٧ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٨ ، وليس فيها ذكر قول : لا أبا لك ، ويا بؤس للحرب .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥١ .

(٣) تهذيب اللغة (ردف) ١٤/ ٩٦ .

(٤) قــال الواحدي في تفســير هذه الآيــة : واختلفوا في وجــه دخول اللام في قولــه : ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ ، فقال الكســائي : لَمَّا تقدَّم المفعول على الفعل حســنت اللام ، قال : وهذا مما مــات من الغريب ، وقد كان يقال : لك أكرمت ، ولك حدثت ، فيما ، ولو قلت : أكرمت لك ، تريد : أكرمتك كان قبيحاً ، وهو جائز ، كما تقول : هو مكرم لك ، وهو ضارب لك ، بمعنى : مكرمك ، وضاربك ، فحسن في موضع وقبح في آخر ، والأصل واحد . قال النحويون : لَمَّا تقدَّم المفعول ضعف عمل الفعل فيه ، فصار بمنزلة ما لا يتعــدى فأدخل اللام . . . . فعلى هذا اللام في قولــه : ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ صلة وتأكيد ، كقوله : ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل :٧٢] ، وقال بعضهم : إنها لام أجل ، والمعنى : هم لأجل ربهم ﴿يَرْهَبُونَ﴾ لا رياء ولا سمعة .

(٥) قال الواحدي في تفســير هذه الآية : فأمَّا اللام في قوله : [الرُّؤْيَا ، فقال أحمد بن يحيى : أراد : إن كنتم للرؤيا عابرين ، وإن كنتم عابرين للرؤيا ، تســمى هذه الــلام لام التعقيب ؛ لأنها عقبت الإضافة . المعنى : إن كنتم عابري الرؤيا . وقال ابن الأنباري : دخلت اللام مؤكدة مفيدة معنى التأكيد ، وقيل : إنها أفادت معنــى : إلى ، وكأن ملخصها : إن كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا ، ثم أحال على ســورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف :١٥٤] .

(٦) تفســير مجاهد ٢/ ٤٧٥ . وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٠ بلفظ : (أعجل لكم) ، وبلفظ : (أزف) ، وذكر

وعن ابن عباس : حضركم[١] ، وقال ابن قتيبة : تبعكم[٢] .

وقال الزَّجَّاج : معناه في اللغة : ركبكم ، وجاء بعدكم[٣] .

ومعنى الآية أن الله تعالى أمر نبيه -عليه السلام- أن يقول للذين يستعجلون العذاب : إن بعض ما تستعجلون من العذاب قد دنا لكم .

قال المفسرون : فكان بعض الذي دنا لهم القتل ببدر ، وسائر العذاب لهم في ما بعد الموت[٤] ، ثم ذكر فضله في تأخير العذاب ، فقال :

٧٣. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ . قال مقاتل : يعني على أهل مكة حين لا يعجل عليهم بالعذاب . ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ : يعني أكثر أهل مكة ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ الرب في تأخير العذاب عنهم[٥] .

٧٤. وقوله : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ : تسر وتخفي صدورهم ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم[٦] ، قال ابن عباس : يعني : من عداوتك والخلاف عليك في ما جئت به[٧] . والمعنى : إنه يعلم كل ذلك فيجازيهم به[٨] .

الهوَّاري ٣/ ٢٦٣ عن مجاهد : اقترب لكم ، وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٧ .

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٤ب .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٦ .

(٣) في مجاز القرآن ٢/ ٩٦ : (جاء بعدكم) .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢أ بنصه ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٤ب ، ولم ينسبه . وذكر الهوَّاري ٣/ ٢٦٣ عن الحسن : بعض الذي تستعجلون من عذاب الله ، يعني : قيام الساعة التي يهلك الله بها آخر كفار هذه الأمة .

(٥) تفسير مقاتل ٦٢أ . وظاهر الآية أعم ، وإن كان أهل مكة يدخلون فيه دخولًا أولياً ، والله أعلم .

(٦) تفسير مقاتل ٦٢أ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٤ب .

(٧) تفسير الهوَّاري ٣/ ٢٦٤ ، ولم ينسبه . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٨ عنه بلفظ : (يعلم ما عملوا بالليل والنهار) .

(٨) تفسير ابن جرير ٢٠/ ١١ .

٧٥. قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ . قال المفسرون : ما من شيء غائب وأمر يغيب عن الخلق في السماء والأرض ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ إلَّا هو بيِّن في اللوح المحفوظ[١] .

قال مقاتل في هذه الآية : يريد علم ما تستعجلون من العذاب ، متى يكون ؟ هو مُبيَّن في اللوح المحفوظ عند الله[٢] ، وإن غاب عن الخلق فلم يعلموه .

وقيل في دخول الهاء في الغائبة : إنها إشارة إلى الجماعة الغائبة ، فهي تتضمن الإحاطة بجميع الغائبات ، لا ببعضها دون بعض ، ولا يبعد أن يقال : الغائبة هاهنا مصدر ، كالخائنة والعاقبة ، فتكون الغائبة بمنزلة : الغيب ، كأنه قيل : وما من غيب في السماء والأرض ؛ أي غائب[٣] .

٧٦. قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ . [قال ابن عباس : يريد : ما سقط عنهم من علم التوراة ، وما حرفوا ، وعلى هذا المعنى : يبيِّن لهم القرآن ما سقط من الأحكام من كتابهم واختلفوا فيه ، وما حرفوه مما هم فيه مختلفون ، وهذا معنى قول مقاتل : هذا القرآن يبيِّن لأهل الكتاب اختلافهم[٤] .

---

(١) تفسير ابن جرير ٢٠/ ١١ ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٩ عن ابن عباس ومجاهد . وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٤ب .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢أ .

(٣) لم أجده في تهذيب اللغة (غاب) .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢أ .

وقال آخرون : ﴿يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ؛ أي يبيِّن لليهود والنصارى أكثر الذي هم فيه مختلفون ؛][1] ، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى عليه السلام ، وغير ذلك من الأمور التي هم فيها مختلفون[2] .

وقال الكلبي عن ابن عباس : إن أهل الكتاب اختلفوا في ما بينهم فصاروا أحزاباً وشيعاً ، يطعن بعضهم على بعض ، ويتبرأ بعضهم من دين بعض ، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أخذوا به لسلموا[3] .

٧٧. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ : وإنَّ القرآن ﴿لَهُدًى﴾ من الضلالة ، ﴿وَرَحۡمَةٌ﴾ من العذاب لمن آمن به[4] .

٧٨. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِى بَيۡنَهُم﴾ . قال مقاتل : يعني بين بني إسرائيل[5] .

وقال الكلبي : بين أهل الكتاب .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٢) تفسير ابن جرير ٢٠/ ١١ .

(٣) بنصه في تفسير ابن الجوزي ٦/ ١٨٩ ، ولم ينسبه . وذكر نحوه الفرَّاء ٢/ ٣٠٠ ، ولم ينسبه ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٩ عن قتادة .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢أ ، وتفسير ابن جرير ٢٠/ ١٢ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٢أ ، وتفسير ابن جرير ٢٠/ ١٢ .

وقيل : بين المختلفين[١] ، وهذه أقوال متقاربة .

قال ابن عباس : يريد يوم القيامة يقضي بينهم بحكمه ، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ، فلا يمكن ردُّ قضائه بما يحكم ، فهو يقضي بين المختلفين ، وبما لا يمكن أن يُرَدَّ ، ولا يلتبس بغير الحق .

وقيل : ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من المبطلين ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالمحقِّ من المختلفين[٢] .

٧٩. ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ . قال مقاتل : يقول : فثق بالله ، وذلك حين دُعي إلى دين آبائه[٣] ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ على الدين البيِّن ، وهو الإسلام .

ثم ضرب لكفار مكة مثلاً ، فقال[٤] :

٨٠. ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ . قال قتادة : أي كما لا تسمع الميت كذلك لا تسمع الكافر[٥] .

[وقال مقاتل : شبَّه كفار مكة بالأموات ، يقول : كما لا يسمع الميت النداء كذلك لا يسمع الكافر][٦] النداء[٧] .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد بالموتى الأحياء الذين طبع الله على قلوبهم .

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٤ب ، ولم ينسبه .

(٢) تفسير ابن جرير ٢٠/ ١٢ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٢أ ، ولفظه : (وذلك حين دُعي إلى ملة آبائه ، فأمره أن يثق بالله عز وجل) .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢أ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢١ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٤ب ، ولم ينسبه .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ب) .

(٧) تفسير مقاتل ٦٢أ .

يعني : ضرب لهم المثل بالموتى وشبَّه حالهم في أنهم لا ينتفعون بما يسمعون بحال الموتى الذين لا يسمعون بتةً[١] .

(١) فهذا قولان في المراد بالموتى ؛ الأول : الميت الذي فارقته الروح ، والثاني : ميت القلب الذي لا ينتفع بما يسمع من الخير ؛ أي لا تُسمع الكفار الذين أمات الله قلوبهم . وظاهر كلام الواحدي ميله إلى القول بأن الميت في الآية : الذي فارقته الروح ، واقتصر على هذا القول في تفسيره الوسيط ٣/ ٣٨٤ ، وأمَّا في الوجيز ٢/ ٨٠٩ ، فقال : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الكفار ، ولم يزد على ذلك . والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن القول الثاني أقرب إلى الصواب ؛ وذلك لثبوت سماع الميت في قبره كما في قصة غزوة بدر ، وسماع الميت قرع نعال أصحابه إذا تولوا عنه ، وغير ذلك من الأحاديث . واقتصر ابن جرير ٢٠/ ١٢ على هذا القول ، فقال : يقول : إنك يا محمد لا تقدر أن تُفهِم الحق مَن طَبَعَ الله على قلبه فأماته ؛ لأن الله قد ختم عليه ألا يفهمه ، وأحسن الشنقيطي تقرير هذا بأدلته وشواهده . أضواء البيان ٦/ ٤١٦ - ٤٣٩ .

وممن ذهب إلى أن النفي في الآية نفي سماع الميت جميع الكلام المعتاد : أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقد ردَّت فيه على من روى تكليم النبي ﷺ لصناديد قريش بعد أن قذف بهم في القليب ، وقد أخرج ذلك البخاري في صحيحه من طريق قتادة ، قال : ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرْصة ثلاث ليال ، فلمَّا كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليه رحلها ، ثم مشى واتبعه أصحابه ، وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شَفةِ الرَّكي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : «يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان : أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، ؟» . قال : فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» . قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمةً وحسرةً وندماً . أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، رقم ٣٩٧٦ ، فتح الباري ٧/ ٣٠٠ ، ثم أخرج البخاري بعده إنكار عائشة ـ رضي الله عنها ـ لهذا ؛ حيث قالت : إنما قال النبي ﷺ : إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأتْ : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل : ٨٠] .

قال الإسماعيلي : كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه ، لكن لا سبيل إلى ردِّ رواية الثقة إلا بنص مثله ، يدل على نسخه ، أو تخصيصه ، أو استحالته ، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن ؛ لأن قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لا ينافي قوله ﷺ : «إنهم الآن يسمعون» ؛ لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمِع في أذن السامع ، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ بذلك . فتح الباري ٧/ ٣٠٤ ، والصحيح أن الميت يسمع في قبره السماع المعتاد ، والمنفي عنه السماع الذي ينفعه ، وقد قرر هذا =

﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ . قال قتادة : يقول : لو أن أصمَّ ولَّى مدبراً ثم ناديته لم يسمع ، كذلك الكافر لا يسمع ما يُدعى إليه من الإيمان ، ونحو هذا قال مقاتل[١] .

ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عما يُدعون إليه من التوحيد والدين ، كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه وإعلامه شيئاً ، وكالصم الذين لا يسمعون .

وقرأ ابن كثير : ﴿لَا يَسْمَعُ﴾ بالياء ﴿ٱلصُّمَّ﴾ رفعاً[٢] ، وقراءة العامَّة أشبه بما قبله من قوله : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ﴾ ، ومعنى قراءة ابن كثير : إنهم لا ينقادون للحق لعنادهم ، وفرط ذهابهم عنه ، كما لا يسمع الأصم ما يُقال له[٣] .

ثم ضَرب العُمي أيضاً مثلاً لهم ، فقال :

٨١. ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ : فالعمي : هم ، و﴿ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ كفرهم وجهالتهم . فالمعنى : ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى ، وأعمى قلبه عن الإيمان .

وقراءة العامَّة : ﴿بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ على اسم الفاعل مضافاً ، واسم الفاعل للحال ، أو للآتي ، وإذا كان كذلك كانت الإضافة في نية الانفصال[٤] ، وقراءة حمزة :

= بشواهده وأدلته شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فقد ردَّ على من نفى سماع الميت في قبره ، وحمل ابن تيمية النفي في الآية على السماع المعتاد الذي ينتفعون به ، أمَّا سماع آخر فلا ينفى عنهم . مجموع الفتاوى ٤/ ٢٩٨ ، وهذا اختيار ابن كثير ، فقد قال : أي لا تسمعهم شيئاً ينفعهم ، فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة ، وفي آذانهم وقر ، وهو الكفر . تفسير ابن كثير ٦/ ٢١٠ ، والقول بأن الموتى في الآية : الكفار نفى الله عنهم سماع التدبر ، تفسير ظاهر لا يرد عليه هذا الإشكال ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه عن قتادة ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢١ ، وهو في تفسير مقاتل ٦٢أ .

(٢) السبعة في القراءات ٤٨٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٣ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٣٣٩ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٣ .

(٤) هكذا (الانفصال) في نسخة (أ) و(ب) ، وهو موافق لما في الحجة ، وفي نسخة (ج) : (الاتصال) .

﴿تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾[١] على الفعل ، وحجته قوله : ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ . ومعنى الآية : إنك لا تهديهم لشدة عنادهم ، وفَرْط إعراضهم ، فإذا كان كذلك كان وجه القراءة : وما أنت تهدي العمي[٢] .

قال أحمد بن موسى : وكتب ﴿بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ في هذه السورة بياء ، وكتب الذي في الروم بغير ياء[٣] .

قال أبو علي : الوقف على : ﴿هَادٍ﴾ و﴿وَالٍ﴾ و﴿وَاقٍ﴾[٤] ونحوه ، فيه لغتان : الأكثر أن تقف بغير ياء ؛ وذلك أنه كان في الوصل متحركاً بالكسر ، فإذا وقفت حَذفت الحركة ، كما تحذفها من سائر المتحركات ، وقوم يقفون بالياء ؛ لأن حذفها إنما كان لأجل التنوين ؛ لأنهما ساكنان ، فلمَّا حذف التنوين في الوقف عادت الياء ، وحكى سيبويه اللغتين جميعاً ، فعلى هذا حَذْفُ الياء في موضع ، وإثباتها في آخر ، على أن تكون كتبت [على اللغتين جميعًا ، أو يكون أريد][٥] ﴿بِهَٰدِى﴾ الإضافة فلم ينون ، فإذا لم ينون لم يلزم أن تحذف الياء ، أو يكون أريد بـ : تهدي تفعل ، ولم يُرَد به اسم الفاعل ، فإذا أريد : تَفعَلُ ثبتت الياء في الوصل

---

(١) السبعة في القراءات ٤٨٦ ، والحجة ٥/ ٤٠٤ ، والنشر ٢/ ٣٣٩ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٤ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [الروم :٥٣] . أحمد بن موسى ، هو أبو بكر ابن مجاهد . السبعة في القراءات ٤٨٦ ، وذكره عنه أبو علي . الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٤ ، وذكر ذلك الداني في المقنع ٩٦ .

(٤) كلمة هاد (بالكسر) وردت في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج :٥٤] ، ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [الروم :٥٣] . وكلمة والٍ ، وردت في قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد :١١] ، وكلمة : واقٍ وردت في قوله تعالى : ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد :٣٤] ، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد :٣٧] ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر :٢١] .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

والوقف ، ولعل حمزة في قراءته : ﴿ تَهْدِى ﴾ اعتبر ذلك إذ كان في الخط مكتوباً بغير ألف[١] .

وقوله تعالى : ﴿ إِن تُسْمِعُ ﴾ ؛ أي ما تسمع[٢] ، [وتأويل ما تُسْمِع : ما يَسمَع منك][٣] فيَعِي ويعمل ﴿ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾[٤] . قال ابن عباس : إلا من خلقته للسعادة ، وكان في سابق علمي من المهتدين[٥] .

وقال مقاتل : إلا من صدَّق بالقرآن أنه من الله ، ﴿ فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ؛ أي مخلصون بتوحيد الله[٦] .

٨٢. قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾[٧] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٥ . قال الداني : في بعض المصاحف : ﴿ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ ﴾ بالتاء بغير ألف ، وفي بعضها (بهادي) بألف وياء بعد الدال . المقنع ٩٦ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢أ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٩ .

(٥) ذكره عنه القرطبي ١٣/ ٢٣٣ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢١ عن زهير بن محمد ، وعن ابن عباس بلفظ : (موحدون) ، وهو قول مقاتل ٦٢أ .

(٧) خروج الدابة علامة من علامات الساعة الكبرى التي ذكرها النبي ﷺ عندما اطلع على أصحابه وهم يتذاكرون ، فقال : «ما تذاكرون ؟» ، قالوا : نذكر الساعة . قال : «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف ؛ خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» . أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٢٥ ، كتاب : الفتن ، رقم ٢٩٠١ ، والترمذي ٤/ ٤١٤ ، كتاب : الفتن ، رقم ٢١٨٣ .

قال ابـــن عباس : حق العذاب عليهم[١] ، وقال مقاتـــل : وإذا نزل العذاب بهم[٢] ، ونحو هذا قال جماعة المفسرين[٣] .

قال الفرَّاء معناه : وجب السَّـــخط عليهم . وذكرنـــا وقع بمعنى وجب[٤] ، وهذا كقوله : ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾[٥] [القصص :٦٣ ، الأحقاف :١٨] .

والمعنى : حق ووجب أن ينزل بهم ما قال الله ، وحكم به من عذابه وسخطه عليهم . والكناية في : ﴿عَلَيْهِمُ﴾ للكفار الذين تخرج عليهم الدابة ، وجازت الكناية عنهم ؛ لأن ذكر الكفار قد سبق ، وهؤلاء من جنس أولئك .

وقوله : ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ . قال ابن عمر وعطية : وذلك حين لا يأمرون بمعروف ، ولا ينهون عن منكر[٦] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٣ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢٢ ، كلاهما عن مجاهد .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢أ .

(٣) تفســير مجاهد ٢/ ٤٧٥ ، وتفســير الهوَّاري ٣/ ٢٦٥ ، وأخرج ابن جرير ٢٠/ ١٣ عن قتادة : وجب القول عليهم .

(٤) قــال الواحــدي في تفســير قــول الله تعــالى : ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعــراف :٧١] : يقال : وقــع القول والحكــم إذا وجب ، ومنه قولــه : ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل :٨٢] معناه : إذا وجب ، ومثله : ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ [الأعراف :١٣٤] ؛ أي أصابهم ونزل بهم ، وأصله من الوقوع بالأرض ، يقال : وقع بالأرض مطر ، ووقعت الإبل إذا بركت .

(٥) معاني القــرآن ٢/ ٣٠٠ من دون قوله : وذكرنا وقع بمعنى . وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٥أ ، ولم ينســبه . وأخــرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢٢ عــن مقاتل بن حيان في قوله تعــالى : ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ ، قال : السخط ، وقال ابن قتيبة : وجبت الحجة . غريب القرآن ٣٢٧ .

(٦) أخرجه عبدالــرزاق ٢/ ٨٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢١ ، كلاهما عن عطية بن ســعد عن ابن عمر ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤ عن ابن عمر وعطية ، وكذا الثعلبي ٨/ ١٣٥أ .

وروي عن حفصة بنت سيرين[١] أنها سألت أبا العالية عن هذه الآية ، فقال لها مجيباً : ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود :٣٦][٢] .

قال مخلد بن الحسين[٣] راوي[٤] هذا الحديث : يعني أنه لا تخرج الدابة حتى لا يبقى أحد يريد أن يؤمن[٥] .

قال ابن عمر : وتخرج الدابة من صَدْع في الصفا[٦] ، وهو قول أكثر المفسرين ، قالوا : تخرج الدابة من أرض مكة[٧] .

---

(١) حفصة بنت سيرين ، أم الهذيل الفقهية ، الأنصارية ، البصرية ، ثقة ، روت عن أم عطية ، وأم الرائح ، وعن مولاها أنس بن مالك ، وعن أبي العالية ، وروى عنها أخوها محمد ، وقتادة ، وأيوب ، وابن عون ، وغيرهم . ماتت بعد المائة . انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٧ ، وتقريب التهذيب ١٣٤٩ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٨٣ ، وابن جرير ٢٠/ ١٣ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢٢ ، وليس في أسانيد الثلاثة مخلد بن الحسين .

(٣) مُخَلَّد بن الحُسين ، الأزدي ، أبو محمد البصري ، ثقة فاضل ، حدَّث عن موسى بن عقبة ، وهشام بن حسان ، ويونس ابن زيد ، والأوزاعي ، وغيرهم ، وحدَّث عنه الحسن بن الربيع ، وموسى بن أيوب ، وغيرهما ، توفي سنة ١٩١هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٣٦ ، وتقريب التهذيب ٩٢٧ .

(٤) هكذا في نسخة (ج) ، وفي نسخة (أ) و(ب) : (رأي) .

(٥) ذكر نحو هذا النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٢١ ، ولم يذكر قول مخلد بن الحسين . وهذا مثال على نقل الواحدي عن النحاس .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢٥ ، والثعلبي ٨/ ١٣٦أ . قال مقاتل ٦٢أ : تخرج من الصفا الذي بمكة .

(٧) أخرج ذلك عبدالرزاق ٢/ ٨٤ عن حذيفة بن اليمان ، وإبراهيم النخعي ، وابن جرير ٢٠/ ١٤ عن حذيفة ، وعبدالله بن عمرو ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢٥ عن عبدالله بن عمرو ، ولا تعارض بين القولين ؛ فإن الصفا من أرض مكة ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ . [قال مقاتل : تكلمهم][(١)] بالعربية[(٢)] . فتقول : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ يعني : أهل مكة[(٣)] ﴿ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ . قال ابن عباس : بالبعث[(٤)] والثواب والعقاب ﴿ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ، وقيل : تُخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢أ . واقتصر عليه الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٨٥ ، والوجيز ٨٠٩ ، وتخصيص مقاتل كلامها باللغة العربية ؛ لأنه قيد الناس بأهل مكة . وظاهر الآية أعم من ذلك .
وممن ذهب إلى أن المراد في الآية تحدثهم ، ولم يقيده بلغة : السمرقندي ٢/ ٥٠٥ ، أخرج ابن جرير ٢٠/ ١٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢٦ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة : تحدثهم ، وكذا عن قتادة .
وذكر ابن جرير قراءة : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ ، ونسبها إلى أبي زرعة بن عمرو ، ثم قال : والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه عامة قراء الأمصار . ولعل من هذا جَزَمَ ابن كثير ٦/ ٢١٠ أن القول بأن الدابة تكلمهم فتقول لهم : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ اختيار ابن جرير ، ثم قال ابن كثير بعد ذلك : وفي هذا القول نظر لا يخفى ، والله أعلم .
وقال ابن عباس في رواية : «تجرحهم» ، وعنه رواية : (قال : كلا ، تفعل يعني : هذا وهذا) ، وهو قول حسن ، ولا منافاة ، والله أعلم .
ونسب قراءة : ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ ابنُ خالويه وابنُ جني إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجحدري وأبي زرعة . انظر الشواذ لابن خالويه ١١٢ ، والمحتسب ٢/ ١٤٤ .
ويشهد لهذه القراءة قول النبي ﷺ : «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ، ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير ، فيقال : ممن اشتريته ؟ ، فيقول : من أحد المخرطمين» . أخرجه الإمام أحمد ٨/ ٣٠٧ ، رقم ٢٢٣٧١ ، والبغوي في مسند ابن الجعد ٤٢٧ ، رقم ٢٩١٩ ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٥٧٦ ، رقم ٣٢٢ ، فتلخص من هذا أن الدابة تفعل هذا وهذا ، ولا معارضة ، والله أعلم .

(٣) جعل الهوَّاري ٣/ ٢٦٦ لفظ الناس عاماً في المشركين كلهم ، وهو أَوْلى .

(٤) (بالبعث) في نسخة (ج) .

واختُلف في قوله : ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ ، فقُرِئ بالفتح والكسر[١] ؛ فمن فتح أراد : تكلمهم الدابة بأن الناس[٢] ، ومن كسر فلأن معنى :﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ تقول لهم : ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ ، والكلام قول ، فكأن القول قد ظهر[٣] .

وقال مقاتل والكلبي في قوله : ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ يعني بخروج الدابة ؛ لأن خروجها من آيات الله[٤] .

قال مقاتل : هذا قول الدابة : ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟﴾ بخروجي لا يوقنون[٥] .

٨٣. قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ . قال أبو علي الفارسي : الظرف هاهنا بمنزلة : إذا ، ومن ثم أجيب بالفاء في قوله : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ كما يجاب إذا بها ؛ لأنه ليس قبله عامل يعمل فيه ، وليس العامل أيضاً ﴿نَحْشُرُ﴾ لأنه فعل مستقبل ، فإذا لم يكن في هذا الكلام فعل ظاهر يتعلق به الظرف ، تعلق بما دل عليه قوله : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ، كما أن قوله : ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات :١٦ ، ٨٢ ، الواقعة : ٤٧] ، الظرف فيه متعلق بما دل عليه

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالكسر ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالفتح . انظر السبعة في القراءات ٤٨٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٦٤ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٠٠ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٦ ، وفيه وجه آخر ذكره أبو عبيد : موضعها نصب بوقوع الفعل عليها ؛ أي تخبرهم أنَّ الناس . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٢٢ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٠٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٦ ، قال أبو حاتم : من قرأ بفتح ﴿أَنَّ﴾ فالوقف على ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ ، ومن كسر ﴿أَنَّ﴾ فالوقف على ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ، وهو من الكلام . معاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٤٧ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٥أ من دون نسبة ، وتنوير المقباس :٣٢٢ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٢ب . وقد أطال الثعلبي ٨/ ١٣٥أ في ذكر الأخبار الواردة في شأن الدابة مما لا دليل عليه ، وقد أحسن الواحدي في إعراضه عنها .

﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ، كأنه قيل : أنبعث إذا متنا ، وذكر مثل هذا في قوله : ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ﴾ [الإسراء :٧١][(١)] ، فكأن التقدير في هذه الآية : إذا حشرناهم وزعوا .

والفوج : الجماعة من الناس كالزمرة[(٢)] . وأمَّا تخصيص الفوج من الأمة المكذبة ، فيحتمل أنه أريد بهم الرؤساء حشروا وجمعوا لإقامة الحجة عليهم ، وهي ما ذكر في الآية الثانية .

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ . قال ابن عباس : يدفعون[(٣)] ، وقال مقاتل : يساقون[(٤)] .

وذكرنا الكلام مستقصى في هذا الحرف في هذه السورة[(٥)] .

٨٤. قوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ ؛ أي موقف الحساب وعَرْصة القيامة[(٦)] ، قال الله لهم : ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾ . قال ابن عباس : كذبتم أنبيائي ،

---

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ : قال أبو إسحاق : يعني به يوم القيامة ، وهو منصوب على معنى : اذكر يوم ندعو ، قال : ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو . قال أبو علي الفارسي : الظرف هاهنا بمنزلة إذا ؛ لأنه لا يجوز أن يكون العامل فيه ما قبله من قوله : ﴿وَفَضَّلْنَـٰهُمْ﴾ ؛ لأنه فعل ماضٍ ، وليس العامل أيضاً يدعو ؛ لأنه فعل مستقبل ، فإذا لم يكن في هذا الكلام فعل ظاهر يتعلق به الظرف تعلق بما دلَّ عليه قوله : ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ، كما أن قوله : ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون :٨٢] على تقدير : أإذا متنا بعثنا ، كذلك هاهنا يجعل الظرف بمنزلة إذا ، فيصير التقدير : إذا دُعي كل أناس لم يُظْلموا .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٩٦ ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٧ عن مجاهد .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٦ب .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ب .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل :١٧] .

(٦) العَرْصة : الأرض الواسعة ليس فيها بناء . تهذيب اللغة (عرص) ٢/ ٢٠ ، واللسان ٧/ ٥٢ .

وجحدتم فرائضي وحدودي[١] . وهذا استفهام يتضمن الإنكار عليهم ، والتهكم بهم .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ . [قال ابن عباس : ولم تختبروا حتى تفهموا وتسمعوا ، وقال مقاتل : ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾][٢] أنها باطل[٣] ، ومعنى هذا : كذبتم بآياتي غير عالمين بها ، يعني : ولم تتفكروا في صحتها ، بل كذبتم بها جاهلين غير مستدلين لا عن خبرة ولا عن معرفة ببطلانها ، ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا فيها . هذا مذهب أهل التفسير في هذه الآية[٤] .

وذكر صاحب النظم وجهاً آخر ، فقال : قوله : ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾ منسوق[٥] على قوله : ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾ ، والاستفهام واقع عليه ، إلا أن معنى الفصلين والاستفهامين مختلفان ؛ لأن قوله : ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾ تبكيت وإنكار ، بمعنى : لِمَ كذبتم بآياتي ، وقوله : ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ﴾ [بمنزلة : أوَ لَمْ تحيطوا بها علماً][٦] ؛ أي بالآيات ، وتأويله : وقد أحطتم بها علماً ، كما قال عز وجل : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ؛ أي قد شرحنا ، فيكون التأويل : لِمَ كذبتم بآياتي وقد أحطتم بها علماً ، فلمَّا كان ﴿لَمْ﴾ استفهاماً احتمل أن يوضع موضعه ألف الاستفهام ، ثم بيَّن -عز وجل- كيف أحاطوا بالآيات علماً فصار ذلك تأييداً لمذهبنا هذا ، وهو قوله من بعده : ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ [النمل : ٨٦] ، وقد تضع العرب الاستفهام

---

(١) تنوير المقباس :٣٢٢ بلفظ : (بكتابي ورسولي) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٣) تفسير مقاتل ٦٢ب .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٦ب .

(٥) أي معطوف .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) ، وفي نسخة (ب) : (بمنزلة : أو لم تحيطوا) ، وفي نسخة (أ) بمنزلة : (لم تحيطوا) ، ويوجد طمس في الحرف الذي قبل : لم .

في غير موضعه إذا كان متصلاً بلفظ يتصل به في المعنى ، مثل قوله : ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء :٣٤] قد وقع الاستفهام هاهنا على قوله : إن مت في الظاهر ، وهو في الباطن واقع على قوله : ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ ؛ لأن تأويله : ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ إن مت[١] ، ومثله قوله : ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران :١٤٤] . والاستفهام في الظاهر واقع على الموت والقتل[٢] ، وهو في الحقيقة واقع على الانقلاب[٣] .

٨٥. قوله تعالى : ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ ووجب العذاب عليهم ، قاله ابن عباس والمفسرون[٤] . قال الحكم[٥] عن السدِّي : كل شيء في القرآن : ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ [معناه : العذاب[٦] .

---

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء :٣٤] موضع الاستفهام قوله : ﴿فَهُمُ﴾ ، ولكنه قدِّم إلى أول الكلام .

(٢) (والقتل) في نسخة (ج) .

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : ألف الاستفهام دخلت على حرف الشرط ، ومعناه : الدخول على الجزاء . المعنى : أتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل ، إلا أن شرط الجزاء معلق أحدهما بالآخر ، فانعقدا جملة واحدة ، وخبراً واحداً ، فدخلت ألف الاستفهام على الشرط ، وأنبأت عن معنى الدخول على الجزاء .

(٤) تفسير ابن جرير ٢٠/ ١٨ ، والثعلبي ٨/ ١٣٦ب ، ومجاز القرآن ٢/ ٩٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢٧ ، عن قتادة .

(٥) الحكم بن عُتَيْبَة ، أبو محمد الكندي ، مولاهم الكوفي ، من كبار علماء الكوفة من أقران النخعي ، ثقة ثبت ، فقيه ، وربما دلس ، روى عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وحدَّث عنه : الأعمش ، وشعبة ، والأوزاعي ، وغيرهم ، توفي سنة ١١٥هـ ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٨ ، وتقريب التهذيب ٢٦٢ .

(٦) وردت جملة : ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ في موضعين في القرآن الكريم من سورة النمل :﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل : ٨٢] ، و﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٧٥٧ ، وذكر ابن جرير أن معنى ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ : حق العذاب ، عن مجاهد ، وقتادة ، وابن جريج .

وقال مقاتل : نزل العذاب[١] ، وقال الكلبي : ووقع القول][٢] عليهم بالسَّخْطة[٣] .

﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : بما أشركوا[٤] ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد أنه لم يكن عند القوم جواب ، وقال الكلبي : ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ بحجة عن أنفسهم[٥] ، وهذا معنى قول ابن عباس ، وقيل : ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ ؛ لأن أفواههم مختومة[٦] .

ثم احتج عليهم بقوله :

٨٦. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ ؛ أي يبصر فيه ، كما يقال : ليل فلان نائم إذا نام ، ونهار فلان صائم إذا صام بالنهار[٧] ؛ وذلك أن الفعل لَمَّا كان يحصل في الظرف جاز أن يسند إليه ، كما قال :

فنامَ ليلي وتجلَّى همِّي

ومعنى ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ ليبتغى فيه الرزق ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ ؛ أي في ما جعلنا ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

---

(١) تفسير مقاتل ٦٢ب .
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .
(٣) تنوير المقباس :٣٢٢ .
(٤) تفسير مقاتل ٦٢ب ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٦ب ، ولم ينسبه .
(٥) تفسير ابن جرير ٢٠/ ١٨ ، ولفظه : (بحجة يدفعون بها عن أنفسهم) . وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٦ب ، ولم ينسبه .
(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٦ب ، ولم ينسبه .
(٧) مجاز القرآن ٢/ ٩٦ .

٨٧. وقولـه تعـالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[١]. قال بعض النحويين: تقديره: واذكر يوم ينفخ في الصور فيفزع[٢]. والماضي هاهنا يراد به الاستقبال.

وقال الفرَّاء: جعل: فَعَل مردوداً على: يَفْعَل؛ لأن المعنى: إذا نفخ في الصور ففزع، ألا ترى أن قولـك: أقوم يوم تقوم، كقولك: أقـوم إذا تقوم، فأجبْتَ بفَعَل؛ لأن فَعَل ويَفْعَل تصلحـان مع: إذا، فإن قلت: إذا قدرت هذا التقدير، فأين جواب إذا؟ قلت: قد يكون في فَعَل مضمر مع الواو، كأنه قيل: وذلك يقع يوم ينفخ في الصور، وإذا نفخ في الصور يعني وقوع القول عليهم، وإن شـئت قلـت: جوابه متروك كقوله: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١][٣]. وهذا كما ذكرنا في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ [النمل: ٨٣]. قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى[٤].

---

(١) عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «قَرْن يُنفخ فيه». أخرجه الترمذي ٤/ ٥٣٦، كتاب: صفة القيامة، رقم ٢٤٣٠، وقال: حديث حسـن، وأبو داود ٥/ ١٠٧، كتاب: السُّنة، رقم ٤٧٤٢، وهو في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٩٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٢٢.

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٠١، وذكره ابن جرير ٢٠/ ٢٠، ولم ينسبه.

(٤) تفسـير الثعلبي ٨/ ١٣٦ب، ولم ينسبه، ثم قال: وعلى هذا أكثر المفسرين. ونفخة الفزع هي النفخة الأولى، ثـم بعد ذلك نفخة الصعق، وهو الموت، ثـم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين؛ فعلى هذا هـي ثلاث نفخات، ذهب إلى هذا البغوي ٦/ ١٨١، وتبعه على ذلك ابن كثير ٦/ ٢١٦، والصواب -والله تعالى أعلم- أنهما نفختـان؛ الأولى: نفخة الفزع والصعق، والثانيـة: نفخة القيام لله تعالى، ويشـهد لذلك قوله تعـالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمـر: ٦٨]، ورجـح هذا القـول القرطبي ١٣/ ٢٤٠، قـال: الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لا زمان لهما؛ أي فزعوا فزعاً ماتوا منه. . . . والسُّنة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبدالله بن عمرو تدل على أنهما نفختان لا ثلاث.

ويعنـي به حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «ما بين النفختين أربعون». قالوا: يا رسـول الله، أربعون يوماً؟ قال: «أَبيتُ». قال: أربعون سنة؟ قال: «أَبيتُ»، قال: أربعون شهراً؟ قال: «أَبيتُ، =

قوله : ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : فمات ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من شدة الخوف والفزع[١] . وفزع لا تكون في اللغة بمعنى مات ، ولكن قد يبلغ الفزع من الإنسان غايته حتى يموت فزعاً ، والدليل على أن المراد بالفزع هاهنا الموت بالفزع قوله عز وجل : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر :٦٨] ؛ أي مات .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ . قال ابن عباس : يريد : الشهداء لا يموتون ، فهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وروي ذلك عن النبي ﷺ مرفوعاً في حديث أبي هريرة[٢] .

وقال الكلبي ومقاتل : يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت[٣] .

= ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجْب ذَنَبه» . أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، رقم ٤٨١٤ ، فتح الباري ٨/ ٥٥١ ، وأخرجه مسلم ٤/ ٢٢٧٠ ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، رقم ٢٩٥٥ .

(١) تفسير مقاتل ٦٢ب ، وتنوير المقباس ٣٢٢ .

(٢) يعني به حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سأل جبريل ـعليه السلامـ عن هذه الآية : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مَن الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟ قال : «هم الشهداء متقلدون سيوفهم حول العرش» . أخرجه الواحدي في الوسيط ٣/ ٥٩٣ من طريق إسماعيل بن عياش ، عن عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي هريرة يرفعه ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٨ ، بسياق آخر مطولاً من طريق إسماعيل بن رافع ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة يرفعه ، ومن الطريق نفسه رواه الطبراني في الأحاديث الطوال ٢٦٦ ، رقم ٣٦ ، وأخرجه أيضاً ابن جرير ٢٠/ ١٩ من طريق إسماعيل بن رافع موقوفاً على أبي هريرة ، وأخرجه مطولاً من الطريق نفسه الثعلبي ٨/ ١٣٧أ ، وصحَّحه ، وقال عنه : حديث صحيح جامع . فمدار الحديث على إسماعيل بن رافع بن عويمر الأنصاري ، القاص ، وهو ضعيف الحفظ . تقريب التهذيب ١٣٩ ، رقم ٤٤٦ ، وقال الذهبي : ضعفوه جداً ، وقال الدار قطني : متروك . المغني في الضعفاء للذهبي ١/ ١٣٢ ، فلعل الصواب وقف هذا الحديث على أبي هريرة ، كما أخرجه من طريق إسماعيل بن رافع موقوفاً على أبي هريرة ، ابنُ جرير ٢٠/ ١٩ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٠ ، والله أعلم .

(٣) تفسير مقاتل ٦٢ب ، وتنوير المقباس :٣٢٢ .

﴿ وَكُلٌّ ﴾ ؛ أي من الأحياء الذين ماتوا ثم أحيوا ﴿ أَتَوْهُ ﴾ يأتون الله يوم القيامة . وقرأ حمزة : ﴿ أَتَوْهُ ﴾[١] على الفعل وهم فعلوه من الإتيان ، وحجته قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ ﴾ [الزخرف :٣٨] ، فذكر بلفظ الفعل . وحجة قراءة العامَّة قوله : ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم :٩٥] ، فكما أن ﴿ ءَاتِيهِ ﴾ فاعله حمل على لفظ كل ، كذلك : ﴿ أَتَوْهُ ﴾ فاعلوه محمول على معنى كل[٢] .

وقوله : ﴿ دَٰخِرِينَ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : صاغرين[٣] ، وذكرنا تفسيره عند قوله : ﴿ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل :٤٨][٤] ، وقال مقاتل : يعني بكلٍّ : البَرُّ ، والفاجر ﴿ أَتَوْهُ ﴾ في الآخرة صاغرين[٥] .

٨٨. وقوله : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾[٦] . قال مقاتل : تحسبها مكانها[٧] ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ حتى تقع على الأرض فتستوي بها[٨] .

---

(١) قرأ حمزة وحفص عن عاصم : (أَتَوْهُ) مقصورة مفتوحة التاء ، وقرأ الباقون : (آتُوهُ) ممدودة مضمومة التاء على معنى : جاءوه ، وفي رواية أبي بكر عن عاصم كذلك مثل الباقين . انظر السبعة في القراءات ٤٨٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٦ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٩ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٧ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٣٠ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق : ٨٦/ ٢ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير : ٢٠/ ٢٠ عن ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم : ٢٩٣٢/ ٩ ، عن ابن عباس ، وابن زيد وقال : روي عن الحسن ، وقتادة والثوري مثل ذلك . مجاز القرآن : ٩٦/ ٢ .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ : أي صاغرون ، وهذا لفظ المفسرين . يقال : دَخَرَ يَدْخَر دُخُوراً ؛ أي صَغِرَ يَصْغَرُ صَغَاراً ، وهو الذي يَفعلُ ما تأمره شاء أو أبى . قال الزَّجَّاج : هذه الأشياء مجبولة على الطاعة .

(٥) تفسير مقاتل ٦٢ب .

(٦) قال النحاس : من رؤية العين ، ولو كانت من رؤية القلب لتعدت إلى مفعولين . إعراب القرآن ٣/ ٢٢٣ .

(٧) تفسير مقاتل ٦٢ب . وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٣ عن ابن عباس : قائمة ، وعن قتادة : تحسبها ثابتة في أصولها لا تحرك وقال الهوَّاري ٣/ ٢٦٨ : ساكنة .

(٨) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٨أ .

وقال ابن عباس : حتى تكون لا شيء ، مِثلُ قوله : ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ : ٢٠][(١)] .

قال عبدالله بن مسلم في هذه الآية : يريد أنها تُجمع وتُسَيِّر ، فهي لكثرتها كأنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة في رأي العين ، وهي تسير سير السحاب ، وكذلك كل جمع كثير

---

(١) ذكر البخاري عن ابن عباس معلقاً بصيغة الجزم : ﴿جَامِدَةً﴾ قائمة ، ووصله ابن جرير ٢٠/ ٢١ من طريق علي بن أبي طلحة . قال ابن كثير ٦/ ٢١٧ : أي تزول عن أماكنها ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور : ٩ ، ١٠] ، وقال تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه : ١٠٥-١٠٧] . وجمع القرطبي ١٣/ ٢٤٢ الآيات الواردة في شأن الجبال وزوالها ، وجعلها تمر بستة أحوال ، وصدَّر ذكرها بقوله : ويقال : إن الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها ، وإبراز ما كانت تواريه .

قال الشنقيطي : بعض الناس زعم أن قوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ يدل على أن الجبال الآن في دار الدنيا يحسبها رائيها جامدة ؛ أي واقفة ساكنة غير متحركة ، وهي تمر مر السحاب ، ثم نقض هذا القول من وجهين ؛ الأول : وجود القرينة الدالة على عدم صحته ، وهو قوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ معطوف على قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل : ٨٧] ؛ أي ويوم ينفخ في الصور فيفزع من في السموات ، وترى الجبال . فدلت هذه القرينة القرآنية الواضحة على أن مر الجبال مر السحاب كائن يوم ينفخ في الصور لا الآن . الثاني : إن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلها في يوم القيامة . أضواء البيان ٦/ ٤٤٢ .

وذكر الألوسي عن بعض علماء الفلك ـ ولم يسمِّه ـ أن هذا صفة للجبال في الدنيا ، وذكر وجوهاً عدَّةً يمتنع بها حمل الآية على أن ذلك في يوم القيامة ، ثم ذكر كلام المرجاني في مقدمة كتابه : وفية الأسلاف ، وتحية الأخلاف ، ذكر أن هذه الآية صريحة في دلالتها على حركة الأرض ومرور الجبال معها ، وأنه لا يمكن حمل الآية على أن ذلك يقع في النشأة الآخرة ، وذكر أدلة لفظية وسياقية في الآية تدل على ذلك ، ولم يعترض عليه الألوسي . روح المعاني ١٣/ ٨٩-٩٢ ، وممن ذهب إلى هذا القول واختاره ابن عاشور ٢٠/ ٤٨ ؛ حيث قال : وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية بأن الرائي يحسب الجبال جامدة ، ولا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب ، ولا توجيه التذييل بقوله تعالى : ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ؛ فلذلك كان لهذه الآية وضع دقيق ، ومعنى بالتأمل خليق . . . . ثم ذكر معنى الآية على هذا القول ، وفصَّله تفصيلاً حسناً . ولا مانع من حمل الآية على المعنيين ؛ إذ لا تعارض بينهما ، والله أعلم .

يقصر عنه البصر ، كأنه في حسبان الناظر واقف ، وهو يسير ، وإلى هذا المعنى ذهب الجعدي في وصف جيش ، فقال :

بِأَرْعَنَ مثلِ الطَّودِ تحسِبُ أَنَّهُمْ وقوفٌ لِحاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ[١]

وقوله : ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ . قال الزَّجَّاج : هو نصب على المصدر ؛ لأن قوله : ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ دليل على الصنعة ، كأنه قيل : صَنَع الله ذلك صُنْعاً[٢] .

وقال غيره : هو نصب على الإغراء ، على معنى : وأبصروا وانظروا ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٣] . قال ابن عباس : أتقن ما خلق[٤] .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٦ ، وذكر الثعلبي ٨/ ١٣٨ب قول ابن قتيبة ، وصدَّره بقوله : قال القتبي ، ويظهر أن الواحدي نقل قول ابن قتيبة من الثعلبي لتطابق الكلام ، ومن مواضع الاختلاف بين ما في كتاب ابن قتيبة ، وما نقله عنه الثعلبي ، قوله : وكل جيش غص الفضاء به لكثرته ، وبَعُد ما بين أطرافه ، فقصُر عنه البصر ، فكأنه في حُسبان الناظر واقف وهو يسير . وأنشد البيت ابن جرير ٢٠/ ٢١ . وفي الحاشية : الأرعن يريد به الجيش العظيم ، شبهه بالجبل الضخم ذي الرعان ، والرعن : الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً ، وقيل : الأرعن : المضطرب لكثرته ، والطود : الجبل العظيم ، والحاج : جمع حاجة ، وتهملج : تمشي الهملجة ، والهملجة : سير حسن في سرعة . والبيت شاهد على أن الشيء الضخم تراه وهو يتحرك فتحسبه ساكناً ، مع أنه مسرع في سيره جداً . والبيت في ديوان الجعدي ١٨٧ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٣٠ ، وهو قول المبرِّد في المقتضب ٣/ ٢٠٣ ، وأبي علي في المسائل الحلبيات ٣٠٣ ، ونسبه النحاس إلى الخليل وسيبويه في إعراب القرآن ٣/ ٢٢٤ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٢٤ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٨ب ، ولم ينسباه .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٢١ من طريقين بلفظ : (أحكم كل شيء) ، و : (أحسن كل شيء خلقه وأوثقه) . وباللفظين رواه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٣ ، ٢٩٣٤ ، وقال : روي عن الحسن وعطاء والثوري مثل ذلك ، ورواه عن الحسن عبدالرزاق ٢/ ٨٦ .

وقال مجاهد : أتــرص[١] وأبرم وأحكم وأحســن . كل هذه الألفاظ مروية عنه[٢] .

وقال الكلبي والسدِّي ومقاتل : أحسن[٣] .

ومعنى الإتقان في اللغة : الإحكام للأشــياء . قال الفرَّاء : يقال رجل تقن : حاذق بالأشياء ، ويقال : الفصاحة من تِقْنه ؛ أي من سُوسِه[٤] .

قال الأزهري : الأصل في هذا : ابن تِقْن ، وهو رجل من عاد ، لم يكن يسقط له سهم[٥] ، وفيه قيل :

لأكـلةٌ مــنْ أَقِــطٍ وســمــنِ ألــيـنُ مسَّــاً في حوايــا البطنِ

مـنْ يـثـربـيـاتٍ قِـذاذٍ خـشنِ يرمي بها أرمَى مِنْ ابــنِ تِقنِ[٦]

[ثــم قيل لكل حاذق بالأشــياء : تقن ، ومنه يقال : أتقن فــلان عمله ، إذا أحكمه .][٧]

---

(١) هكذا في نســخة (أ) و(ب) ، وفي نسخة (ج) : (فرض) . ومعنى : أترص : أحكم وقوَّم . مجمل اللغة ١/ ١٤٦ ، واللسان (ترص) ٧/ ١٠ .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٢١ بلفظ : (أوثق كل شيء وسوى) ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٤ بلفظ : (أبرم كل شيء) . وفي تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٦ : أترص كل شيء ؛ أي أحسن وأبرم .

(٣) تفسير الهوَّاري ٣/ ٢٦٩ ، ولم ينسبه . ولفظ مقاتل ٦٢ب : (أحكم) ، وكذا في تنوير المقباس ٣٢٢ .

(٤) ذكره عنه الأزهري في تهذيب اللغة (تقن) ٩/ ٦٠ ، ولم أجده عند الفرَّاء في تفسير هذه الآية .

(٥) تهذيب اللغة (تقن) ٩/ ٦٠ ، ونســبه إلى ابن السكيت ، ثم قال الأزهري بعد ذلك : الأصل في التِّقن : ابــن تقن هذا ، ثم قيل لكل حاذق في عمل يعمله ، عالم بأمره : تقن ، ومنه يقال : أتقن فلان أمره ، إذا أحكمه .

(٦) أنشده الأزهري عن ابن السكيت ، ولم ينسبه . تهذيب اللغة (تقن) ٩/ ٦٠ ، وهو في اللسان ١٣/ ٧٣ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) ، وهو في تهذيب اللغة (تقن) ٩/ ٦٠ .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد بما يفعل أولياؤه وبما يفعل أعداؤه . وقُرِئ : ﴿يَفْعَلُونَ﴾ بالياء والتاء[١] ؛ [فمن قرأ بالتاء][٢] فلأن ذكر الغيبة قد تقدَّم في قوله : ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ ، ومن قرأ بالتاء فهو خطاب للكافة ، وقد يدخل الغيب في الخطاب ، ولا يدخل الخطاب في الغيب[٣] .

٨٩. قوله تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ . قال ابن عباس : يريد : شهادة أن لا إله إلَّا الله ، وهو قول ابن مسعود وسفيان ومجاهد وأبي مجلز وأبي صالح والحسن والسدِّي ومقاتل وإبراهيم وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء ، كلهم قالوا : الحسنة : كلمة الإخلاص ؛ شهادة أن لا إله إلَّا الله[٤] .

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالياء ، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء . انظر السبعة في القراءات ٤٨٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٧ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٨ ، ومعاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٤٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ب . وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٨٦ عن الحسن ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ٢٢ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم النخعي ، وعكرمة ، وأخرجه عنهم كذلك ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٤ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٤٧٦ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٨ب . وأخرجه الحاكم عن عبدالله بن مسعود . المستدرك ٢/ ٤٤١ ، رقم ٣٥٢٨ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وأمَّا الهوَّاري فقد زاد على ذلك : وعمل صالحاً وعمل جميع الفرائض . تفسير الهوَّاري ٣/ ٢٦٩ ، وهذا بناءً على مذهبه الإباضي ، ولذا لَمَّا ذكر حديث جابر بن عبدالله في صحيح مسلم ١/ ٩٤ : كتاب : الإيمان ، رقم ٩٤ ، «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» ورد عنده بهذا اللفظ : «من مات لا يشرك بالله شيئاً وعمل بفرائض الله دخل الجنة» . ويشهد لدخول الجنة لمن حقق التوحيد حتى لو كان متلبساً ببعض المعاصي حديث أبي ذَرٍّ . عَنِ النبي ﷺ قَالَ : «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ : وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى ؟ قَالَ : وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى» . أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، رقم ٧٤٨٧ ، فتح الباري ١٣/ ٤٦١ ، ومسلم ١/ ٩٤ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٩٤ ، وانظر : تعليق محقق تفسير الهوَّاري ١/ ٣٨٨ ، فصاحب الكبيرة أمره إلى الله تعالى ، إن شاء غفر له ، وعفا عنه ، وإن شاء عذبه على قدر ذنوبه ، لكنه لا يخلد في النار ، والله أعلم .

والمعنى : من وافى يوم القيامة بالإيمان[١] ، وكلمة الإخلاص ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ . والخير يحتمل الاسم من غير تفضيل ، ويحتمل التفضيل إذا قلت : خير من كذا . والمذهبان في الآية رُويا عن المفسرين ، والأكثرون على أنه اسم من غير تفضيل .

قال ابن عباس : يريد : فله منها خير[٢] ، وهو : الجنة[٣] .

وقال مقاتل : فيها تقديم ، يقول : له منها خير[٤] .

قال ابن عباس : أي فمنها يصل إليه الخير[٥] .

وقال الحسن مثلَ قول مقاتل[٦] .

وقال عكرمة وابن جريج : ليس شيء خيراً من : لا إله إلَّا الله ، ولكن له منها خير[٧] ، والمعنى على هذا القول : له من تلك الحسنة خيرٌ يوم القيامة ، وهو : الثواب والأمن من العذاب والجنة[٨] ، فهذا أحد المذهبين .

والمذهب الآخر : إن خيراً يراد به التفضيل . روي عن ابن عباس : ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يعني الثواب ؛ لأن الطاعة : فعل العبد ، والثواب : فعل الله سبحانه وتعالى .

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٨ب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٥ .

(٣) ويشهد لهذا حديث جابر رضي الله عنه ، قال : أتى النبي ﷺ رجل فقال : يا رسول الله ، ما الموجبتان ؟ فقال : «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار» . أخرجه مسلم ١/ ٩٤ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٩٣ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ب ، وهو مذهب الهوَّاري ٣/ ٢٦٩ .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٢٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٢٣ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٩أ .

(٧) أخرجه عنهما ابن جرير ٢٠/ ٢٣ .

(٨) (والجنة) . في نسخة (ج) .

وقيل : ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يعني رضوان الله ، قال الله تعالى : ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة :٧٢] .

وقال القرظي وابن زيد : ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يعني الأضعاف يعطيه الله بالواحدة عشراً فصاعداً ، وهذا خير منها ، وعلى هذا الذي قالا ، يجب أن يكون تفسير الحسنة : الفِعَلة الحسنة من صلاة وصدقة وتسبيحة ، فيضعفها الله تعالى حتى تكتب أضعاف ما عمل ، فيكون الإضعاف خيراً مما عمل .

قوله تعالى : ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ : قُرِئ بالإضافة ، وبالتنوين في ﴿فَزَعٍ﴾[(١)] . واختار أبو عبيد الإضافة ، قال : لأنه أعم التأويلين ، وهو أن يكون الأمن من جميع فزع ذلك اليوم . وإذا قال : ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ صار كأنه فزع دون فزع . واختار الفرَّاء الإضافة أيضاً ، قال : لأنه فزع معلوم ، ألا ترى أنه قال : ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء :١٠٣] فصيَّره معرفة ، وإذا أضفته كان معرفةً ، فهو أعجب إليَّ[(٢)] .

قال أبو علي : إذا نون ﴿فَزَعٍ﴾ يجوز أن يُعنى به : فزع واحد ، ويجوز أن يُعنى به : كثرة ؛ لأنه مصدر ، والمصادر تدل على الكثرة ، وإن كانت منفردة الألفاظ ، كقوله : ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان :١٩] ، وكذلك إذا أضاف يجوز أن يُعنى به : مفرد[(٣)] ، ويجوز أن يعنى به : كثرة[(٤)] ؛ وعلى هذا : القراءتان سواءٌ لا فضل بينهما . قال : ومن نَوَّن قوله : ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ كان في انتصاب يوم ثلاثة أوجه ؛

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر : ﴿مِّن فَزَعِ يَوْمَئِذٍ﴾ بالإضافة ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي : ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ بالتنوين . انظر السبعة في القراءات ٤٨٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٨ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٤٠ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٠١ ، وهو اختيار ابن جرير ٢٠/ ٢٣ .

(٣) في نسخة (أ) و(ب) : (منفرد) .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٩ .

أحدهـــا : أن يكون منتصباً بالمصدر ، كأنه : وهم من أن يفزعوا يومئذٍ ، والآخر : أن يكون صفة لفزع ؛ لأن أسماء الأحداث توصف بأسماء الأزمان ، كما يخبر عنها بها ، وفيه ذكر للموصوف ، وتقديـــره في هذا الوجه أن يتعلق بمحذوف ، كأنه : من فزعٍ يحدث يومئذٍ ، والثالث : أن يتعلق باســـم الفاعل كأنه : آمنون يومئذٍ من فزعٍ . وأمَّـــا القول في إعراب (يوم) ، وبنائه إذا أضيـــف إلى (إذ) ، فقد ذكرناه في ما تقدَّم[١] .

فأمَّا تفســـير الفزع في هذه الآيـــة فإن أريد به الكثرة فهو شـــامل لكل فزع ، وهو الأَوْلى ، وإن أريد به واحد فتفســـيره ما ذكرنا في قوله : ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء :١٠٣] .

وقـــال الكلبي عن ابن عباس في هذه الآيـــة : إذا أطبقت النار على أهلها فزع أهل النار فزعة لم يفزعوا مثلها ، وأهل الجنة آمنون من فزعهم[٢] .

٩٠. وقولـــه : ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ : كلهم قالوا : يعني الشرك[٣] . ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ . قال الكلبي : أُلقيت[٤] ، وقال الضحاك : طرحت ،

---

(١) الحجة للقراء الســـبعة ٥/ ٤٠٩ ، رجعت إلى كلام الواحدي في البسيط في أكثر المواضع المتقدمة التي وردت فيها كلمة : ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ، فلم أجده فيحتمل أن يكون ذكر ذلك في سورة النساء ، الآية رقم : ٤٢ ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ، وهو من القســـم المفقود كما أفاد محقق سورة النساء د . المحيميد . وأمَّا إعرابهـــا ، فيوم : ظرف زمان منصوب ، وإذ : اســـم ظرفي في محل جر مضاف إليـــه ، والتنوين تنوين العوض عن جملة محذوفة . الجدول في إعراب القرآن ٢/ ٣٦٦ .

(٢) تنوير المقباس :٣٢٢ بنحوه .

(٣) تفسير مقاتل ٦٢ب ، والثعلبي ٨/ ١٣٩أ . وسبق ذكر من قال به عند تفسير الحسنة ، بقول : لا إله إلاَّ الله .

(٤) ذكره الثعلبي ٨/ ١٣٩أ عن ابن عباس . وفي تنوير المقباس :٣٢٢ بلفظ : (قلبت) .

وقال أبو العالية : قلبت[١] . يقال : كَبَبْتُ الإناء إذا قلبته على وجهه ، وكَبَبْتُ الرجل إذا ألقيته لوجهه فانكب ، وأكبَّ إذا انتكس[٢] .

[قوله : ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ ؛ أي وقيل لهم : هل تجزون ؟ قال مقاتل : تقول لهم خزنة جهنم :][٣] ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ﴾ ؛ أي إلا جزاء ما كنتم ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من الشرك ، قاله ابن عباس والكلبي[٤] .

٩١. وقوله : ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ : كأنه قيل للنبي ﷺ : قل للمشركين : ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : يريد مكة[٥] ، ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ جعلها حرماً آمناً من القتل فيها والسبي والظلم ، فلا يصاد صيدها ، ولا يختلى خلاها[٦] ، وحَدُّ ما حَرُم من أرض مكة معلوم بالأميال حوله والعلامات ، وذلك القدر يحرم صيده وكسر أشجاره وقلعها وخبطها ، ولكن تحش حشّاً رقيقاً ، وكذلك حرم المدينة كحرم مكة[٧] .

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٣٩أ .

(٢) قال الأصمعي : كبَّ الرجل إناءه يكبُّه كباً ، وأكب الرجل يُكبُّ إكباباً ، إذا ما نكس . تهذيب اللغة (تقن) ٩/ ٤٦٢ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ب . وذكره ابن جرير ٢٠/ ٢٤ ، ولم ينسبه . وهو في تنوير المقباس :٣٢٢ بلفظ : (تعملون في الدنيا يا محمد) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٦ عن ابن عباس ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ٢٤ عن قتادة . وتفسير مقاتل ٦٢ب . وذكره الهوَّاري ٣/ ٢٦٩ ، ولم ينسبه . وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٩أ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٩ب .

(٧) الدليل على هذا التحريم حديث عبدالله بن عباس ـرضي الله تعالى عنهماـ عن النبي ﷺ أنه قال يوم افتتح مكة : «لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا ، فإن هذا بلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها» . قال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم =

وكذلك وَجٌّ الطائف في تحريم الصيد ، وتحريم كسر الأشجار[١] ، إلا أن

= ولبيوتهم . قال : قال : «إلا الإذخر» . أخرجه البخاري ، كتاب : جزاء الصيد ، رقم ١٨٣٤ ، فتح الباري ٤/ ٤٦ ، ومسلم ٢/ ٩٨٦ ، كتاب : الحج ، رقم ١٣٥٣ .

وتحريم المدينة دليله حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : «أن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة ، كما حرم إبراهيم مكة ، ودعوت لها في مدها وصاعها ، مثل ما دعا إبراهيم ـ عليه السلام ـ لمكة» . أخرجه البخاري ، كتاب : البيوع ، رقم ٢١٢٩ ، فتح الباري ٤/ ٣٤٦ ، ومسلم ٢/ ٩٩١ ، كتاب : الحج ، رقم ١٣٦١ .

(١) وَجٌّ : قيل : هي بلد بالطائف ، وقيل : هي الطائف . تهذيب اللغة (وجج) ١١/ ٢٣٧ ، ولسان العرب ٢/ ٣٩٧ ، ومعجم البلدان ٤/ ١٠ ، هكذا ضُبط بفتح الواو ، وأمَّا أهل الطائف فينطقونه بالكسر ، وهو وادي الطائف الرئيس ، وقد عُمر اليوم جانباه بأحياء من مدينة الطائف ، فإذا تجاوز الطائف كانت عليه قرى ومزارع كثيرة ، وأمَّا سكانه ففي أعلاه هذيل ، وعند الطائف الأشراف ذوو غالب . معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ٣٣١ .

ما ذكره الواحدي واقتصر عليه من تحريم الصيد ، وكسر الأشجار في وادي وج ، هو مشهور مذهب الشافعية . قال الشيرازي : يحرم صيد وج ؛ وهو وادٍ بالطائف . لَمَّا روي أن النبي ﷺ نهى عن قتل صيد وج ، فإن قتل فيه صيداً لم يضمنه بالجزاء ؛ لأن الجزاء وجب بالشرع ، والشرع لم يرد إلا في الإحرام والحرم . المهذب مع المجموع النووي ٧/ ٤٠٤ ، قال النووي : وقال الشافعي في الإملاء : أكره صيد وج ، وللأصحاب فيه طريقان ؛ أصحهما عندهم القطع بتحريمه ، والثاني : يكره . المجموع ٧/ ٤٠٨ ، قال شيخ الإسلام : وج : وادٍ بالطائف ، فإن هذا روي فيه حديث ، رواه أحمد في المسند ، وليس في الصحاح ، وهذا حرم عند الشافعي ؛ لاعتقاده صحة الحديث ، وليس حرماً عند أكثر العلماء ، وأحمد ضعَّف الحديث المروي فيه فلم يأخذ به . مجموع الفتاوى ٢٧/ ١٥ .

والحديث الوارد فيه هو حديث الزبير بن العوام ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن صيد وَجٍّ ، وعِضاهَه حَرَم مُحَرَّم لله ، وذلك قبل نزوله وحصاره الطائف» . أخرجه الإمام أحمد ٣/ ١٠ ، رقم ١٤١٦ ، تحقيق : أحمد شاكر ، وأخرجه من الطريق نفسه أبو داود ٢/ ٥٢٨ ، كتاب : المناسك ، رقم ٢٠٣٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٠٠ ، وضعَّف إسناده محققو المسند ، ط . الرسالة ٣/ ٣٢ ؛ لضعف محمد بن عبدالله بن إنسان ، وضعَّفه أيضاً الألباني . ضعيف سنن أبي داود ١٩٨ ، رقم ٤٤١ .

قال ابن القطان عن هذا الحديث : هو حديث لا يصح ؛ فإنه من رواية محمد بن عبدالله بن إنسان عن أبيه عن عروة ، ومحمد بن عبدالله بن إنسان ، قال فيه أبو حاتم : ليس بالقوي ، في حديثه نظر ، وذكر له البخاري هذا الحديث ، وقال : لا يُتابع عليه . وذكر ابن أبي خيثمة عن ابن معين ، قال : ليس به بأس ، فأمَّا أبوه عبدالله بن إنسان فلا يعرف روى عنه غير ابنه محمد . قال البخاري : لا يصح حديثه . وممن ضعَّف الحديث النووي في المجموع ٧/ ٤٠٥ ، وابن حجر في التلخيص الحبير ٢/ ٢٨٠ . =

الصيد في حرم مكة مضمـــون بالجزاء ، وفي الحرمـــين الآخرين غير[١] مضمون بالجزاء[٢] .

وقولـــه : ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ ؛ لأنـــه خالقه ومالكـــه . ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ . قال ابن عباس : من الموحدين[٣] .

وقال مقاتل : ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من المخلصين لله بالتوحيد[٤] .

٩٢. وقولـــه : ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ : يعني تلاوة الدعـــوة إلى الإيمان . قال ابن عباس : يريد قراءته عليهم[٥] .

وقال مقاتل : وأمرت ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ عليكم يا أهل مكة[٦] .

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ : له ثواب اهتدائه ، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان بالقرآن[٧] ، [وأخطأ طريق الهدى[٨] ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ ؛ أي من المخوفين بالقرآن][٩] فليس عليَّ إلا البلاغ .

= ومع ذلك فقد صحَّح الحديث الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ؛ لذكر ابن حبان لمحمد بن عبدالله بن إنســـان الثقفي ، في الثقات . وهذا لا يكفي ؛ فإن ابن حبان من المتســـاهلين في التوثيق ، كما هو معروف عند أهل العلم ، إضافة إلى أن محمد قد تكلم فيه الحفاظ ، ولم يوجد للحديث متابعات تشـــهد له ، والله أعلم .

(١) (غير) في نسخة (ج) .

(٢) (بالجزاء) في نسخة (أ) و(ب) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٦ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ب .

(٥) تنوير المقباس :٣٢٢ .

(٦) تفسير مقاتل ٦٢ب .

(٧) تفسير مقاتل ٦٢ب .

(٨) أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٦ عن مقاتل بن حيان : ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ يقول : أخطأ .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

قال المفسرون : كان هذا قبل أن أمر بالقتال[١] .

٩٣. قوله تعالى : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ؛ أي احمده على نعمه .

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ . قال الكلبي : وقد أراهم إيَّاها ، وكان منها الدخان وانشقاق القمر[٢] .

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٩ب ، وفيه : (نسختها آية القتال) ، وهذا ليس بصواب ، بل الآية محكمة يعمل بها في أوقاتها المناسبة ، وقد سبق بيان نظير هذه الآية في سورة الفرقان : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان :٦٣] .

(٢) تنوير المقباس :٣٢٢ بلفظ : (علامات وحدانيته وقدرته بالعذاب يوم بدر) . ذهب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إلى أن الدخان قد مضى ووقع لأهل مكة ، عن مسروق قال : بينما رجل يحدث في كندة ، فقال : يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً ، فغضب فجلس ، فقال : من علم فليقل ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم : لا أعلم ، فإن الله قال لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص :٨٦] ، وإن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ ، فقال : اللَّهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها ، وأكلوا الميتة والعظام ، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان ، فجاءه أبو سفيان فقال : يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله ، فقرأ : ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله : ﴿عَآئِدُونَ﴾ [الدخان :١٠ ، ١٥] أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ؟ ثم عادوا إلى كفرهم فذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان :١٦] يوم بدر ، و﴿لِزَامًا﴾ [الفرقان :٧٧] يوم بدر ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ إلى ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم :٣] ، والروم قد مضى . أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، رقم ٤٧٧٤ ، فتح الباري ٨/ ٥١١ ، ومسلم ٤/ ٢١٥٥ ، كتاب : صفات المنافقين ، رقم ٢٧٩٨ ، قال ابن كثير ٦/ ٢٤٧ : وقد وافق ابن مسعود على تفسير الآية بهذا ، وأن الدخان مضى ، جماعة من السلف ، كمجاهد ، وأبي العالية ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وعطية العوفي ، وهو اختيار ابن جرير ، وقال آخرون : لم يمضِ الدخان بعدُ ، بل هو من أمارات الساعة ، ثم ساق الأحاديث الواردة في ذلك ، ورجح ابن كثير هذا القول ، وقال : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين ، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما ، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن .

وأمَّا انشقاق القمر فإنه أمر قد وقع . قال ابن كثير ٦/ ٤٧٢ : قوله : ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ :[القمر :١] =

وقال مجاهد : ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ في أنفسكم وفي السماء والأرض والرزق[١] .

وقال مقاتل : يعني العذاب في الدنيا ، والقتل ببدر[٢] ،كقوله في سورة [الأنبياء :٣٧] : ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[٣] وهذا القول يجب أن يكون الصحيح ؛ لأنه قال : ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ ، [وقد أراهم تلك الآيات التي ذكرها الكلبي ومجاهد ، فلم يعرفوها][٤] ، ولم يقروا بها[٥] .

وقوله : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم .

قال مقاتل : فعذبهم الله بالقتل ببدر ، وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم ، وعجلهم الله إلى النار[٦] . وقُرِئ : ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء[٧] ؛ فالتاء للخطاب ؛ لأن قبله ﴿سَيُرِيكُمْ﴾ ، والياء ؛ لأنه وعيد للمشركين[٨] .

= قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة ، وهو أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمن النبي ﷺ ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات . ثم ساق الأحاديث في ذلك ، ومنها حديث أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقين ، حتى رأوا حِراءَ بينهما . أخرجه البخاري ، كتاب : مناقب الأنصار ، رقم ٣٨٦٨ ، فتح الباري ٧/ ١٨٢ ، وعن أنس أيضاً أن ذلك وقع مرتين . أخرجه مسلم ٤/ ٢١٥٩ ، كتاب : صفات المنافقين ، رقم ٢٨٠٢ .

(١) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٢٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٧ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٤٧٦ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٩ب .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢ب .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٩ب .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٥) جعل الهوَّاري ٣/ ٢٦٠ ذلك في يوم القيامة ؛ أي الوعد والوعيد ، ولا مانع من حمل الآية على العموم ، والله أعلم .

(٦) تفسير مقاتل ٦٣أ .

(٧) قرأ عاصم في رواية حفص ونافع وابن عامر بالتاء ، وقرأ الباقون بالياء . انظر السبعة في القراءات ٤٨٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤١٠ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٢٦٣ .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤١٠ .